

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِلْمُ الْإِخْصَاءِ الْقُرْآنِيِّ غَيْرُ مَتْنَاهِ

مَجْلَدُ الْمَلَايِكَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الْجُزْءُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أساذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله على نعمائه وآلائه الظاهرة للحواس ، والخفية التي تدرك بالتدبر والإستقراء ، ويتفضل الله عز وجل ويرضى منا بالقليل من الشكر ، وتستديم النعم حتى مع تخلفنا عن هذا القليل لبيان سعة رحمة الله بالناس والخلائق ، وهل هذه الإستدامة من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، الجواب نعم.

وهذا الجزء هو الثامن والخمسون بعد المائتين من معالم الإيمان وهو الثالث من هذا السفر الذي يختص بـ(علم الإحصاء القرآني غير متناه) بعد أن صدر بخصوص هذا العلم الجزءان (٢٤٥-٢٤٧)^(٢) كما معروض في موقع مكتبنا www.marjaiaa.com.

الحمد لله الذي أنزل القرآن ﴿ثَبَاتًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣)، وهذا التبيان خير محض ، ونفع عام ، وتفضل الله عز وجل وقرن مع التبيان في ذات الآية الهدى والرحمة والبشارة للمسلمين ، لإصلاح الناس للدنيا والآخرة ، وإقامة الحجة على الذين كفروا ، وتمام الآية هو

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) في الترتيب السابق ٢٤٦-٢٤٨.

(٣) سورة النحل ٨٩.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى﴾^(١).

ومن الإعجاز في الصفات الأربعة أعلاه للقرآن مجيؤها بصيغة الإطلاق مع إتحاد الكتاب وهو القرآن ، والذي أنزل عليه وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولتكون شهادة النبي محمد على الناس بالقرآن ومن القرآن لبيانه لكل شئ ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٢).

ووصف الله عز وجل القرآن بأنه تبيان وهو رحمة وبشرى ودعوة للناس للتصديق به ، والإمتناع عن محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن المشركين رفعوا لواء العداوة له ، وتجاهروا بإيذائه وأهل بيته وأصحابه ، ولأنهم حاربوا التبيان والهداية والرحمة والبشارة فلا بد أن يبطش بهم الله سبحانه.

فانزل الله الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم تعد أسباب الترجيح المادية لجيوش المشركين مادة وعلة للنصر ، بل كانت سبباً لخسارتهم ولحقوق الخزي بهم ، وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية .

فمن تبيان القرآن لكل شئ بلحاظ عنوان هذا الجزء وهو (علم الإحصاء القرآني غير متناه) وجوه :

الأول : قانون لم يغز النبي أحداً ، والذي صدرت بخصوصه سبعة وعشرون جزء من هذا السفر المبارك وهي :

١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٨

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة الأنعام ١٤٩.

١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢

١٧٤-١٧٦-١٧٧-١٧٨

١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣

١٨٧-١٩٣-١٩٤-١٩٦-٢٠٤

٢١٢-٢١٦-٢٢١-٢٢٩-٢٣٩-٢٣٩).

الثاني : عدم إنتفاع المشركين من إيذائهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في مكة قبل الهجرة ، ومثلاً لما اشتد أذاهم طلب النبي من طائفة من أصحابه الهجرة إلى الحبشة ، حيث هاجر لها من شباب قريش ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة ليكونوا سفراء الإسلام ، وليدل ثباتهم على الدين وعدم إرتدادهم حتى بين أمة من أهل الكتاب من النصارى على معجزة غريبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصدق نبوته ، ولتكون مقدمة لهجرته وأصحابه إلى المدينة المنورة ، وسلامة المهاجرين والأنصار من الإفتتان بديانة اليهود الذين كانوا في المدينة .

الثالث : تحلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بملكة الصبر ، والإجتهاد في طاعة الله ليكون مرآة لتيان القرآن للوظائف العبادية للإنسان في الأرض ، قال تعالى ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَكَأَ تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَكَأَ تَأْكُفِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(١).

الرابع : نزول آيات القرآن بالدفاع والقتال ، ولم يرد فيه هجوم وغزو المسلمين لغيرهم ، ويدل الجمع بين آيات القتال على أن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في حال دفاع ، قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

الخامس : استئصال مفاهيم الكفر وتقديس الأصنام في البيت الحرام والجزيرة ، ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية المتصلة إلى يوم القيامة إنتفاء عبادة الأصنام في الأرض إلى يوم القيامة ، وفيه إزاحة لمانع لرحمة الله في الأرض .

لقد أحب الله عز وجل الناس وتغشاهم برحمته ، ومن حبه لهم رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للقضاء على الغزو والنهب والسلب وسلطان الظالمين والطواغيت على المستضعفين .

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا دار الرزق الكريم ، وسلامة الأبدان وتغشي اللطف الإلهي للناس ، باستدامة النعم ، ومضاعفتها ، والجمي بأصناف مستحدثة منها ، ليفوز أبناء الجيل اللاحق بنعم غير موجودة عند أسلافهم لبيان سعة خزائن الله عز وجل والنفع العظيم من دعاء وصبر وجهاد الأنبياء والصالحين ، وفي هذه النعم وحضورها واليسر في نيلها دعوة للناس للهداية والإيمان ، مع غنى الله عز وجل عن الخلائق ، قال تعالى ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

الحمد لله الذي خلق الملائكة وجعل إحصاء كثرة أعدادهم وأماكن وجودهم لا يحصيه ويعلمه إلا هو سبحانه ، وجعلهم منقطعين إلى عبادته ، وينزلون حيث يأمرهم الله عز وجل ، منها النزول بالوحي للأنبياء ونصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة البقرة ١٩٠.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

وأصحابه ، قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّنْهُنَّ وَثَلَاثَ وَرُبَاعٌ يَرْزُقُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنِ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وعن عبد الله بن مسعود (قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم .

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رأيت جبريل عند سدره المنتهى له ستمائة جناح ينفض من ريشه التهاويل والدر والياقوت)^(٢).

وتدل آيات القرآن على إحصاء الله عز وجل الأعمال وضبط أفعال بني آدم وعدم تضييع أو فوات بعض منها، فإذا كان الإنسان قد ينسى وقدم الاعتذار سلفاً عن النسيان والخطأ فإن الملائكة لا ينسون ولا يفوتهم تدوين أي فعل من أفعال الإنسان ، لذا اختتمت سورة البقرة بقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) سورة فاطر ١.

(٢) الدر المنثور ٣١٦/٩.

(٣) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٤) تقدم تفسير هذه الآية في الجزء الواحد والخمسين من هذا السفر .

وتبدو هنا موضوعية إقرار المؤمنين بالملائكة فمن وظائف الملائكة احصاء أعمال بني آدم، والاقرار بهم تثبيت لحضورهم في الوجود الذهني الأمر الذي يكون له شأن في نوع العمل، والحرص على تدوين الحسنات واجتناب فعل السيئات خشية كتابتها من قبل الملائكة.

وهل تحصى الملائكة كل نوايا وأفعال الناس ، الجواب لا ، فالإحصاء التام يختص به الله تعالى ، منه قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وتنتهى الآية في مفهومها عن الجحود والإستكبار عن المسألة وطلب العفو وتخبر بأنه حاجة وان المؤمنين استطاعوا الوصول إلى هذه الحقيقة أي لزوم طلب العفو والمغفرة .

ولم تقل الآية ربنا اجعلنا لا ننسى أو نخطأ لأنه لا يتناسب مع طلب العفو والمغفرة ولأنه من التكليف بما لا يطاق.

وقد يتعلق موضوع آيات الإحصاء بغير لفظ ، كما في قوله تعالى ﴿فَلْتَقَضْنَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

كما في مادة كتب ، قال تعالى ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادًى إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٢٨٤.

(٢) سورة الأعراف ٧.

(٣) سورة الحجر ٩٢-٩٣.

(٤) سورة التوبة ١٢١.

وقال تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١) (٢).

وقد تحمل مادة ﴿أَخْصَى﴾ على غير العد والحساب ، (وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من طاف بالبيت سبعا يحصيه كتبت له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له به درجة وكان له عدل رقبة)^(٣).

وقيل المراد من كلمة يحصيه اعلاه هو إتقان وإكمال الطواف بشروطه وآدابه ، والمختار أن المعنى أعم ، ومنه إحصاء أشواط الطواف لحجية الظاهر.

وهل يمكن القول بقانون القرآن كتاب الإحصاء السماوي ، الجواب نعم.

ففي كل زمان تتجلى ذخائر من كنوز وعلوم القرآن ، وهو من الشواهد على بقاء آياته غضة طرية ، وعلى سلامته من التحريف ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^(٤).

وجاءت الأحاديث بالحض على عمارة البيوت بقراءة القرآن. (وعن الرضا عليه السلام يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: اجعلوا لبيوتكم نصيبا من القرآن، فان البيت إذا قرء فيه يسر على أهله، وكثر خيره، وكان سكانه في زيادة، وإذا لم يقرأ فيه القرآن ضيق على أهله، وقل خيره، وكان سكانه في نقصان)^(٥).

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) أنظر الجزء التسعين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة.

(٣) البيهقي / السنن الكبرى ١١٠/٥ .

(٤) سورة الأنعام ٥٧ .

(٥) البحار ٢٠٠/٨٩ .

ليان النفع العظيم في قراءة القرآن في البيوت والمساجد ودور العبادة مطلقاً ، والمنتديات ووسائل النقل ونحوها .

وفي المقام مسألتان :

الأولى : هل يشترط القراءة الجهرية ، الجواب لا ، وإن كانت الجهرية هي الأفضل إلا مع وجود مانع .

الثانية : هل قراءة القرآن في الصلاة في البيت للرجل أو المرأة من مصاديق الحديث أعلاه ، أم أن القدر المتيقن هو النافلة خارج الصلاة ، الجواب هو الأول .

ومن عظيم قدرة الله عز وجل إحصاؤه كل شئ ، دق أو كبير ، قال تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾^(١).

حرر في الثالث من شعبان ١٤٤٥هـ

٢٠٢٤/٢/١٤

تجدد موضوع الآية

من خصائص الآية القرآنية أنها قد تنزل لسبب مخصوص يسمى سبب النزول ولكنها تبقى غضة طرية في رسمها ومضامينها القدسية وموضوعها ويتجدد حكمها كل يوم إلى يوم القيامة .

ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١)، التي نزلت بخصوص قطيفة حمراء فقدت من غنائم معركة بدر قبل القسمة ليصلح الله عز وجل حال المسلمين في غنائم المعارك اللاحقة والتي كان فيها مشركو قريش هم الغزاة المعتدون ، وفي معركة حنين التي جرت بتعدي وهجوم ثقيف وهوازن المباغت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة وبعد فتح مكة ، هزم الله عز وجل المشركين فوق في أيدي المسلمين أكثر من (٤٠) ألف رأس غنم و(٢٤) ألف بعير ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، وحبسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجعرانة لينظر في قسمتها بعد الفراغ من الطائف وينتظر بالوحي قدوم وفد هوازن وثقيف ، فلم يتعد عليها أحد ، وهو من الإعجاز الغيري لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢).

ولا تختص الآية بالغنائم إذا انتهت المعارك والبشارة بتحقيق النصر فيها بل تشمل كل من يتولى أمراً من شؤون المسلمين ويدل على هذا العموم ما ورد (عن عدي بن عميرة الكندي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها الناس من عمل منكم لنا

(١) سورة آل عمران ١٦١.

(٢) سورة آل عمران ١٦١.

في عمل فكتمنا منه مخيطاً فما فوقه فهو غل ، وفي لفظ فإنه غلول يأتي به يوم القيامة^(١).

ويدل حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على العموم من لفظ الغلول .

(وَقَالُوا الْغُلُولُ وَالْإِغْلَالُ الْخِيَانَةُ إِلَّا أَنْ الْغُلُولَ فِي الْمَغْنَمِ خَاصَّةٌ وَالْإِغْلَالُ عَامٌ (وَمِنْهُ) لَيْسَ عَلَى الْمُسْتَعِيرِ غَيْرِ الْمَغْلِ ضَمَانٌ أَيْ غَيْرِ الْخَائِنِ)^(٢).

أتى أبو ذر معاوية فقال (ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله الساعة .

قال: يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله والمال ماله .
قال: فلا تقله . قال: سأقول مال المسلمين)^(٣).

إحصاء أسماء السور والآيات

من إعجاز القرآن تقسيمه إلى سور وعددها (١١٤) سورة ، وتقسيم كل سورة إلى آيات متعددة ، وليس من عدد ثابت ومتساو للآيات في سور القرآن ، فمنها ما تكون آياتها كثيرة ، ومنها قليلة كما مبين في باب إحصاء حروف وكلمات القرآن^(٤).

وأكثر سور القرآن آيات هي سورة البقرة التي تأتي بعد سورة الفاتحة وفق نظم القرآن ، وعدد آياتها (٢٨٦) آية ، وأقل سور القرآن آيات هي سورة العصر وسورة الكوثر وسورة النصر .
ومجموع آيات كل منها ثلاث آيات.
وأكثر سور القرآن كلمات هي سورة البقرة ، وعدد كلماتها

(١) الدر المنثور ٢/٤٧٦.

(٢) أبو الفتح المطرزي / المغرب في ترتيب المعرب ٩٧/٤ .

(٣) ابن الأثير / الكامل في التاريخ ١/٤٩٣ .

(٤) أنظر ص ١٤ من هذا الجزء.

(٦١٤٤) كلمة.

وأقل سور القرآن كلمات هي سورة الكوثر ، وعدد كلماتها (١٠) كلمات وهي أيضاً أقل آيات القرآن حروفاً إذ أن عدد حروفها (٤٢) حرفاً.

ومن إسرار التوقيف في نظم القرآن وتيسير حفظه مجئ السور الطوال في بدايات القرآن ، والسور القصار في آخره ، وفيه عون على تقسيم سور القرآن إلى المكي والمدني .

وقد ذكر لكل سورة اسم ، للبيان والتوضيح ، والترغيب بالتلاوة ، ومن السور ما لها أكثر من اسم مثل سورة الإسراء التي تسمى سورة بني إسرائيل ، وسورة سبحان لأنها تبدأ بقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

وتسمى سورة الإخلاص بأربعة أسماء والثلاثة الأخرى :

الأول : سورة التفريد .

الثاني : سورة التجريد .

الثالث : سورة التوحيد^(٢).

ومن السور ما تسمى بأسماء أحد الأنبياء مثل : سورة هود ، سورة يوسف ، سورة إبراهيم ، سورة محمد ، سورة نوح .

(١) سورة الإسراء ١.

(٢) تفسير الرازي ١٧/٢٩٣ .

قسمة تفصيلية للمكي والمدني

عدد الحروف	عدد الكلمات	عدد الآيات	عدد السور	
٢٠٤٥٤٧	٤٩٥٨٩	٤٧٤٢	٨٩	السور المكية
١١٨٢٠٩	٢٨٢٠٢	١٤٩٤	٢٥	السور المدنية
٣٢٢٧٥٦	٧٧٧٩١	٦٢٣٦	١١٤	المجموع

وفي هذا الجدول مسائل :

الأولى : هناك سور مختلف فيها هل هي مكية أو مدنية ، وقد ذكر الاختلاف في نحو ثلاثين سورة ، اجتهدت هنا باضافتها إلى المكي أو المدني.

الثانية : قد لا تتطابق أرقام هذا الجدول مع غيره من الإحصائيات في المقام ، وإحصائيات العلماء المتقدمين المتسالم عليها هي الأولى والأقرب.

الثالثة : هذا الجدول تقريبي ففيه هامش .

إحصاء حروف وكلمات القرآن

قد تقدم مثل هذا الجدول في الجزء السبعين بعد المائة ، وفيه إضافة هنا بقسمة تفصيلية للمكي والمدني.

ترتيب السورة	اسم السورة	ترتيب النزول	عدد آياتها	عدد كلماتها	عدد حروفها	مكان النزول
١	الفاتحة	٥	٧	٢٩	١٣٩	مكية
٢	البقرة	٨٧	٢٨٦	٦١٤٤	٢٥٦١٣	مدنية
٣	آل عمران	٨٩	٢٠٠	٣٥٠٣	١٤٦٠٥	مدنية
٤	النساء	٩٢	١٧٦	٣٧١٢	١٥٩٣٧	مدنية
٥	المائدة	١١٢	١٢٠	٢٨٣٧	١١٨٩٢	مدنية
٦	الأنعام	٥٥	١٦٥	٣٠٥٥	١٢٤١٨	مكية
٧	الأعراف	٣٩	٢٠٦	٣٣٤٤	١٤٠٧١	مكية
٨	الأنفال	٨٨	٧٥	١٢٤٣	٥٢٩٩	مدنية
٩	التوبة	١١٣	١٢٩	٢٥٠٦	١٠٨٧٣	مدنية
١٠	يونس	٥١	١٠٩	١٨٤١	٧٤٢٥	مكية
١١	هود	٥٢	١٢٣	١٩٤٧	٧٦٣٣	مكية

ترتيب السورة	اسم السورة	ترتيب النزل	عدد آياتها	عدد كلماتها	عدد حروفها	مكان النزل
١٢	يوسف	٥٣	١١١	١٧٩٥	٧١٢٥	مكة
١٣	الرعد	٩٦	٤٣	٨٥٤	٣٤٥٠	مكة
١٤	إبراهيم	٧٢	٥٢	٨٣١	٣٤٦١	مكة
١٥	الحجر	٥٤	٩٩	٦٥٨	٢٧٩٧	مكة
١٦	النحل	٧٠	١٢٨	١٨٤٥	٧٦٤٢	مكة
١٧	الإسراء	٥٠	١١١	١٥٥٩	٦٤٨٠	مكة
١٨	الكهف	٦٩	١١٠	١٥٨٣	٦٤٢٥	مكة
١٩	مريم	٤٤	٩٨	٩٧٢	٣٨٣٥	مكة
٢٠	طه	٤٥	١٣٥	١٣٥٤	٥٢٨٨	مكة
٢١	الأنبياء	٧٣	١١٢	١١٧٤	٤٩٢٥	مكة
٢٢	الحج	١٠٣	٧٨	١٢٧٩	٥١٩٦	مكة
٢٣	المؤمنون	٧٤	١١٨	١٠٥١	٤٣٥٤	مكة
٢٤	النور	١٠٢	٦٤	١٣١٧	٥٥٩٦	مكة
٢٥	الفرقان	٤٢	٧٧	٨٩٦	٣٧٨٦	مكة
٢٦	الشعراء	٤٧	٢٢٧	١٣٢٢	٥٥١٧	مكة
٢٧	النمل	٤٨	٩٣	١١٦٥	٤٦٧٩	مكة
٢٨	القصص	٤٩	٨٨	١٤٤١	٥٧٩١	مكة
٢٩	العنكبوت	٨٥	٦٩	٩٨٢	٤٢٠٠	مكة
٣٠	الروم	٨٤	٦٠	٨١٨	٣٣٨٨	مكة
٣١	لقمان	٥٧	٣٤	٥٥٠	٢١٢١	مكة
٣٢	السجدة	٧٥	٣٠	٣٧٤	١٥٢٣	مكة
٣٣	الأحزاب	٩٠	٧٣	١٣٠٣	٥٦١٨	مكة
٣٤	سبا	٥٨	٥٤	٨٨٤	٣٥١٠	مكة
٣٥	فاطر	٤٣	٤٥	٧٨٠	٣١٥٩	مكة
٣٦	يس	٤١	٨٣	٧٣٣	٢٩٨٨	مكة
٣٧	الصافات	٥٦	١٨٢	٨٦٥	٣٧٩٠	مكة
٣٨	ص	٣٨	٨٨	٧٣٥	٢٩٩١	مكة
٣٩	الزمر	٥٩	٧٥	١١٧٧	٤٧٤١	مكة
٤٠	غافر	٦٠	٨٥	١٢٢٨	٤٩٨٤	مكة
٤١	افصلت	٦١	٥٤	٧٩٦	٣٢٨٢	مكة
٤٢	الشورى	٦٢	٥٣	٨٦٠	٣٤٣١	مكة
٤٣	الزخرف	٦٣	٨٩	٨٣٧	٣٥٠٨	مكة
٤٤	الدخان	٦٤	٥٩	٣٤٦	١٤٣٩	مكة

ترتيب السورة	اسم السورة	ترتيب النزل	عدد آياتها	عدد كلماتها	عدد حروفها	مكان النزل
٤٥	الباقية	٦٥	٣٧	٤٨٨	٢٠١٤	مكية
٤٦	الأحقاف	٦٦	٣٥	٦٤٦	٢٦٠٢	مكية
٤٧	محمد	٩٥	٣٨	٥٤٢	٢٣٦٠	مدنية
٤٨	الفتح	١١١	٢٩	٥٦٠	٢٤٥٦	مدنية
٤٩	الحجرات	١٠٦	١٨	٣٥٣	١٤٩٣	مدنية
٥٠	ق	٣٤	٤٥	٣٧٣	١٤٧٣	مكية
٥١	الذاريات	٦٧	٦٠	٣٦٠	١٥١٠	مكية
٥٢	الطور	٧٦	٤٩	٣١٢	١٢٩٣	مكية
٥٣	النجم	٢٣	٦٢	٣٥٩	١٤٠٥	مكية
٥٤	القمر	٣٧	٥٥	٣٤٢	١٤٣٨	مكية
٥٥	الرحمن	٩٧	٧٨	٣٥٢	١٥٨٥	مدنية
٥٦	الواقعة	٤٦	٩٦	٣٧٩	١٦٩٢	مكية
٥٧	الحديد	٩٤	٢٩	٥٧٥	٢٤٧٥	مدنية
٥٨	المجادلة	١٠٥	٢٢	٤٧٥	١٩٩١	مدنية
٥٩	الحشر	١٠١	٢٤	٤٤٧	١٩١٣	مدنية
٦٠	الممتحنة	٩١	١٣	٣٥٢	١٥١٩	مدنية
٦١	الصف	١٠٩	١٤	٢٢٦	٩٣٦	مدنية
٦٢	الجمعة	١١٠	١١	١٧٧	٧٤٩	مدنية
٦٣	المنافقون	١٠٤	١١	١٨٠	٧٨٠	مدنية
٦٤	التغابن	١٠٨	١٨	٢٤٢	١٠٦٦	مدنية
٦٥	الطلاق	٩٩	١٢	٢٧٩	١١٧٠	مدنية
٦٦	التحريم	١٠٧	١٢	٢٥٤	١٠٦٧	مدنية
٦٧	الملك	٧٧	٣٠	٣٣٧	١٣١٦	مكية
٦٨	القلم	٢	٥٢	٣٠١	١٢٥٨	مكية
٦٩	الحاقة	٧٨	٥٢	٢٦١	١١٠٧	مكية
٧٠	المعارج	٧٩	٤٤	٢١٧	٩٤٧	مكية
٧١	نوح	٧١	٢٨	٢٢٧	٩٤٧	مكية
٧٢	الجن	٤٠	٢٨	٢٨٦	١٠٨٩	مكية
٧٣	الزمل	٣	٢٠	٢٠٠	٨٤٠	مكية
٧٤	المدثر	٤	٥٦	٢٥٦	١٠١٥	مكية
٧٥	القيامة	٣١	٤٠	١٦٤	٦٦٤	مكية
٧٦	الإنسان	٩٨	٣١	٢٤٣	١٠٦٥	مدنية
٧٧	المرسلات	٣٣	٥٠	١٨١	٨١٥	مكية

ترتيب السورة	اسم السورة	ترتيب النزل	عدد آياتها	عدد كلماتها	عدد حروفها	مكان النزل
٧٨٠	النبا	٨٠	٤٠	١٧٤	٧٦٦	مكة
٧٩٠	النازعات	٨١	٤٦	١٧٩	٧٦٢	مكة
٨٠٠	عبس	٢٤	٤٢	١٣٣	٥٣٨	مكة
٨١٠	التكوير	٧	٢٩	١٠٤	٤٢٥	مكة
٨٢٠	الإنفطار	٨٢	١٩	٨١	٣٢٦	مكة
٨٣٠	المطففين	٨٦	٣٦	١٦٩	٧٤٠	مكة
٨٤٠	الإنشقاق	٨٣	٢٥	١٠٨	٤٣٦	مكة
٨٥٠	البروج	٢٧	٢٢	١٠٩	٤٥٩	مكة
٨٦٠	الطارق	٣٦	١٧	٦١	٢٤٩	مكة
٨٧٠	الأعلى	٨	١٩	٧٢	٢٩٣	مكة
٨٨٠	الغاشية	٦٨	٢٦	٩٢	٣٧٨	مكة
٨٩٠	الفجر	١٠	٣٠	١٣٩	٥٧٣	مكة
٩٠٠	البلد	٣٥	٢٠	٨٢	٣٣٥	مكة
٩١٠	الشمس	٢٦	١٥	٥٤	٢٤٩	مكة
٩٢٠	الليل	٩	٢١	٧١	٣١٢	مكة
٩٣٠	الضحى	١١	١١	٤٠	١٦٤	مكة
٩٤٠	الشرح	١٢	٨	٢٧	١٠٢	مكة
٩٥٠	التين	٢٨	٨	٣٤	١٥٦	مكة
٩٦٠	العلق	١	١٩	٧٢	٢٨١	مكة
٩٧٠	القدر	٢٥	٥	٣٠	١١٢	مكة
٩٨٠	البينة	١٠٠	٨	٩٤	٣٩٤	مكة
٩٩٠	الزلزلة	٩٣	٨	٣٦	١٥٦	مكة
١٠٠٠	العاديات	١٤	١١	٤٠	١٦٤	مكة
١٠١٠	القارعة	٣٠	١١	٣٦	١٥٨	مكة
١٠٢٠	التكاثر	١٦	٨	٢٨	١٢٢	مكة
١٠٣٠	العصر	١٣	٣	١٤	٧٠	مكة
١٠٤٠	الهمزة	٣٢	٩	٣٣	١٣٣	مكة
١٠٥٠	الفيل	١٩	٥	٢٣	٩٦	مكة
١٠٦٠	قريش	٢٩	٤	١٧	٧٣	مكة
١٠٧٠	الماعون	١٧	٧	٢٥	١١٢	مكة
١٠٨٠	الكوثر	١٥	٣	١٠	٤٢	مكة
١٠٩٠	الكافرون	١٨	٦	٢٧	٩٥	مكة
١١٠٠	النصر	١١٤	٣	١٩	٧٩	مكة

ترتيب السورة	اسم السورة	ترتيب النزول	عدد آياتها	عدد كلماتها	عدد حروفها	مكان النزول
١١١	المسد	٦	٥	٢٩	٨١	مكية
١١٢	الإخلاص	٢٢	٤	١٥	٤٧	مكية
١١٣	الفلق	٢٠	٥	٢٣	٧١	مدنية
١١٤	الناس	٢١	٦	٢٠	٨٠	مدنية

قانون توالي النعم

الحمد لله الذي جعل الناس يعجزون عن إحصاء نعمه عليهم تلك التي تأتيهم في أي ساعة من ساعات الحياة الدنيا ليكون من مصاديق تقدير المضر في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١) على وجوه :

الأول : وإن تعدوا نعمة الله في كل ساعة من ساعات الدنيا لا تحصوها.

الثاني : وإن تعدوا نعمة الله على كل إنسان لا تحصوها .

الثالث : وإن تعدوا نعمة الله عليكم في معركة بدر لا تحصوها ، لذا قال تعالى ﴿وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

الرابع : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فاجتهدوا بالشكر لله .

الخامس : وإن تعدوا نعمة الله على الناس لا تحصوها .

السادس : وإن تعدوا نعمة الله على الخلائق لا تحصوها.

السابع : يا أيها الذين آمنوا إن تعدوا نعمة الله عليكم لا تحصوها.

الثامن : يا أيها الناس إن تعدوا نعمة الله على أي فرد منكم لا تحصوها.

(١) سورة النحل ١٨.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

ليكون من باب الأولوية العجز عن إحصاء النعم على الأسرة الواحدة والطائفة وأهل القرية وأهل البلد والأمة .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَزَكَّنَّا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ثُبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، إخبار القرآن عن تخلف وعجز الناس عن إحصاء النعم .

هل ﴿نِعْمَةٌ﴾ اسم جنس

ورد لفظ ﴿نِعْمَةٌ لِلَّهِ﴾ ثماني مرات في القرآن في الآيات التالية :

الأولى : قوله تعالى ﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

الثانية : قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَثَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣).

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

الرابعة : قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٥).

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة البقرة ٢١١.

(٣) سورة المائدة ٧.

(٤) سورة المائدة ٢٠.

(٥) سورة ابراهيم ٦.

الخامسة : قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

السادسة : قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ فَضْلَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٢).

السابعة : قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾^(٣).

الثامنة : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٤).
وينقسم اسم الجنس لغة إلى قسمين :

الأول : اسم الجنس الجمعي ، وهو الذي يراد منه الجنس كله ، أو يكون صالحاً للدلالة عليه ، وعلى شطر من الجنس ، أو بعض أفراده مثل : ثمر ، شجر ، شاء^(٥) ، ليل ، عرب ، ترك .
ويفرق بينه وبين مفردة بالتاء للمفرد مثل : ثمرة ، شجرة ، ليلة ، أو ياء النسب مثل عربي ، تركي ، وكما في قوله تعالى ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١).

(١) سورة النحل ١٨.

(٢) سورة النحل ٧١.

(٣) سورة العنكبوت ٦٧.

(٤) سورة الأحزاب ٩.

(٥) شاء جمع كثرة والمفرد شاة ، وجمع القلة شياء (قيل : هذه شاء كثيرة) الصحاح في اللغة ٣٧٤/١ .

ومع قلة كلمات الآية أعلاه ففيها اسم جنس جمعي من جهات :

الأولى : جنات .

الثانية : نخيل .

الثالثة : أعناب .

الرابعة : فواكه .

وجمعها ضمير مفرد ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ لبيان تعدد معاني اللفظ القرآني ، وبلاغة اللغة العربية وتفرع المسائل عن هذا التباين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

الثاني : اسم الجنس الإفرادي : وهو الذي يقصد به الجنس كله أو شطر منه من غير لحاظ للقلة أو الكثرة مثل ماء ، مطر .

ولا يختص اسم الجنس بواحد دون آخر من أفراد جنسه مثل قلم ، رجل ، وتدخل فيه أسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وأسماء الشرط ، وأسماء الإستفهام ، فهي أسماء أجناس لا تختص بفرد واحد منها فمثلاً (هو) ضمير لكل مذكر غائب إلا مع القرينة التي تدل على إرادة فرد مخصوص.

اسم العلم

يقابل اسم الجنس اسم العلم الذي يدل على معين بحسب وضعه أي أن الإشتراك بالاسم على نحو الصدفة والإتفاق لا يضر مثل اسم جعفر ، زيد ، فاطمة ، ومنه أسماء الأمصار والأنهار والقبائل بخلاف النكرة مثل رجل .

وينقسم اسم العلم إلى علم مفرد ، مثل : سليمان ، مركب إضافي مثل : عبد الله ، وعبد الرزاق.

(١) سورة المؤمنون ١٩.

(٢) سورة يوسف ٢.

ومركب مزجي مثل : بعلبك ، ومنه الكنية التي تصدر بأب مثل : أبي الحسن ، أو أم مثل : أم هانئ .

ومنه اللقب مثل الذي يكون صفة مثل زين العابدين ، المهدي ، أو نسبة إلى قبيلة مثل القرشي ، أو إلى بلدة مثل المكي ، المصري ، الكوفي .

وإذا اجتمع الاسم واللقب في جملة واحدة يقدم الاسم ويؤخر اللقب وجوباً ، كما في قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(١) .

ومن الإعجاز في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢) ، القطع والجزم بتخلف الناس عن إحصاء نعم الله عليهم ، مما يملئ عليهم الشكر له سبحانه .

اليوم في القرآن

من إعجاز القرآن مجئ لفظ (اليوم) ليشمل الحياة الدنيا والآخرة مع التباين بلحاظ القرائن وسياق الآية وموضع كلمة (اليوم) ومشتقاته فيها .

أختلف في اليوم في الإصطلاح على وجوه :

الأول : اليوم المدة المحصورة بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وبه قال المالكية وهو ظاهر مذهب الشافعية .

الثاني : اليوم هو المدة المحصورة بين طلوع الشمس إلى غروبها ، وبه قال أهل الحساب والفلك ، وجماعة من الحنابلة .

الثالث : ساعات النهار من طلوع الشمس إلى مغيبها ، وساعات الليل من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر ، أما الساعة التي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فهي ساعة مستقلة ولما سئل الإمام

(١) سورة الفتح ٢٩ .

(٢) سورة النحل ١٨ .

الباقر عليه السلام (عن ساعة ما هي من الليل ولا هي من النهار أي ساعة هي ، قال : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس)^(١).
وعن الإمام (الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿فَالْمُتَسَمِّاتِ أُمَرَاءَ﴾^(٢) قال : الملائكة ، تقسم أرزاق بني آدم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه)^(٣).

واليوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، قال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِْ النَّهَارِ﴾^(٤) ، وتقام صلاح الصبح عند طلوع الفجر الصادق .

ومن بديع صنع الله جعل اليوم الوحدة الزمانية التي عليها مدار الحياة ، ويدرك كل إنسان هذه الحقيقة ، وإن كان أعمى ، ليكون وصف عالم الآخرة بأنه يوم القيامة تقرب للمدركات العقلية بالوسائط الحسية الظاهرة.

وقد ورد لفظ اليوم ومشتقاته نحو (٤٧٢) مرة في القرآن ، أي أكثر من عدد أيام السنة .

وتبين آيات الخلق والتكوين ، ودلالة أفراد الزمان على المسافة والسرعة ، وأحوال الناس يوم القيامة .

وفي إحصاء كلمة (اليوم) و(يوماً) يكون المجموع (٣٦٥) مرة بعدد أيام السنة ، مع ترك يومكم ، يومهم ، يومئذ .



(١) البحار ١٠/١٥٠.

(٢) سورة الذاريات ٤.

(٣) الوسائل ١٤/١٦٤.

(٤) سورة هود ١١٤.

من معاني اليوم في القرآن

من معاني اليوم في القرآن وجوه :

الأول : يوم من أيام الدنيا .

الثاني : يوم التغيير التاريخي كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ

عِبَادِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

والمراد يوم معركة بدر ولم يرد لفظ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾^(٢)، في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وفيه تفضيل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوة للمسلمين والمحققين لبيان وإحصاء فضائل هذا اليوم ، وما يميزه عن باقي الوقائع في قصص الأنبياء ، والسنة والنبوة .

الثالث : أوان الوقائع التاريخية وإن كانت مدتها ساعة من نهار ، كما في الجمع بين يوم التغيير بقوله تعالى ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ وواقعة بدر في ساعة من نهار يوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بقوله تعالى ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ﴾^(٣).

الرابع : مدة زمان منظورة .

الخامس : مدة واقعة غير محدودة بموعد مخصوص ، كما في قوله

تعالى ﴿وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾^(٤).

(١) سورة الأنفال ٤١.

(٢) سورة الفرقان ٤١.

(٣) سورة الأنفال ٤١.

(٤) سورة الأنفال ٤٨.

السادس : عالم الآخرة ، مع شدة أهوالها وطول مدتها ، وتعدد المواطن التي يحشر ويحاسب بها الناس ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾^(١).

ليبان وجوب الإيمان بالمعاد وهو أصل من أصول الدين .
وورد لفظ يوم القيامة في القرآن (سبعين) مرة .

ومن معاني تسمية الآخرة يوماً تقريب معنى الآخرة إلى الأذهان ، قال تعالى ﴿ يَوْمَهُ بُعِيدًا * وَتَرَاهُ قَرِيبًا ﴾^(٢) ، وكما يتعاقب الجديدان ، الليل والنهار ، فان الآخرة لا بد أن تأتي ليكون كل يوم من أيام الحياة الدنيا مقدمة وتذكيراً بعالم الآخرة ، ودعوة للتدبر في أهواله ، وسبل النجاة منها .

ويختص الله عز وجل وحده في المقام بأمور منها :
الأول : إحصاء عدد أيام الحياة الدنيا .

الثاني : إحصاء الوقائع في الظرف الزمني الطولي من خلق آدم إلى يومنا هذا .

الثالث : إحصاء الوقائع التي صرفها الله ومنع من وقوعها رحمة بالناس عامة ، والأنبياء والمؤمنين خاصة .

الرابع : العلم بأوان يوم القيامة ، قال تعالى ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

(١) سورة التوبة ١٨.

(٢) سورة المعارج ٦-٧.

(٣) سورة الأعراف ١٨٧.

ويدل عجز الناس عن تعيين أوان يوم القيامة بالدلالة الإلزامية على جهل الناس بعدد أيام الحياة الدنيا في المستقبل ، كما يدل على أن حسابات تعيين يوم القيامة وفق الظواهر الكونية والفلكية ليس بتام.

وأكثر ما ذكر اليوم في القرآن هو بخصوص يوم القيامة .

الخامس : تعيين مدة الإقامة أوان السفر والترحال سواء طلباً للعشب والماء ، أو للإنتقال إلى سكن جديد ، أو للسفر مطلقاً ، قال تعالى ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾^(١) ، ومنه المقدمة العقلية للحج بقطع المسافة إلى البيت الحرام ، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢).

ليبان تعذر إحصاء خطوات وفد الحاج على الخلائق ، والمشاق التي لاقوها في طريق الحج ، والله عز وجل وحده هو الذي يحصيها ، ويشيب عليها في الدنيا والآخرة .

إحصاء الشفاعة

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار التراحم والتوادد بين الناس وتفضل وتغشاهم برحمته ، ومنها هدايتهم إلى الشفاعة فيما بينهم في المعاملات والأحكام والنكاح ، ولا يحصي أفراد الشفاعة ومواضيعها بين الناس في الدنيا إلا الله عز وجل .

ولم تقع شفاعاة الصلاح والعفو والتعاون والتكافل إلا بتوفيق وهداية من الله عز وجل ، وتكون الشفاعة في الدنيا عند السلطان

(١) سورة النحل ٨٠.

(٢) سورة الحج ٢٧.

والأمراء ، وفي التجارات والمكاسب والخصومات ونحوها أما في الآخرة فتتصف الشفاعة بأمور :

الأول : ليس من مُشفع إلا الله عز وجل ، فهو الذي يتوجه له الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنين يسألون الشفاعة .

الثاني : قانون خصال الشفيع في الآخرة ، كما في قوله تعالى ﴿وَكَا يَلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١) ، إذ بينت هذه الآية صفات الشفيع :

الأولى : قانون وجوب تنزه الشفيع في الآخرة عن مفاهيم الشرك في الدنيا ، وفيه ذم وتبكيث ووعيد الكافرين ، قال تعالى ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٢).

الثانية : قانون وجوب إقرار الشفيع بالتوحيد والحق .

الثالثة : علم الشفيع بحال الذي يشفع له ، وأنه من المؤمنين ، ولم يغادر الدنيا إلا عن توبة واناة .

ولا يحصي الشفاعة بين الناس في الدنيا إلا الله عز وجل ، وكذا الشفاعة في الآخرة فلا أحد يحصيها غير الله عز وجل لكثرتها ، وتعدد مصاديقها ، وعلم الله وحده بها من يوم خلق السموات والأرض ، وهي من مصاديق رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لا شفيع أنجح من التوبة)^(٤).

(١) سورة الزخرف ٨٦.

(٢) سورة المدثر ٤٨.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) البحار ٥٨/٨.

والشفاعة للملائكة وللأنبياء والأوصياء والمؤمنين والقرآن.
وفي المؤمنين من يشفع لمثل ربيعة ومضر، وأقل المؤمنين شفاعة
من يشفع لثلاثين إنسانا والشفاعة لا تكون لاهل الشك والشرك، ولا
لاهل الكفر والجحود بل تكون لأهل التوحيد.
و(عن أبي قلابة قال: يدخل الله بشفاعة رجل من هذه الأمة
الجنة مثل بني تميم، أو قال: أكثر من بني تميم، وقال الحسن: مثل
ربيعة ومضر)^(١).

إحصاء مصاديق التقوى

التقوى لغة هي الوقاية والإحتراز ، وحفظ الشيء عما يضره ،
قال تعالى ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٢).

و(عن عدي بن حاتم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما
منكم أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب يحجبه
ولا ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أوتك مالاً؟ فيقول : بلى .
فيقول : ألم أرسل إليك رسولاً .

فيقول : بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، وينظر عن
يساره فلا يرى إلا النار ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار.

فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة)^(٣).

والتقوى في الإصطلاح على شعبتين متداخلتين :

الأولى : العمل بطاعة الله .

الثانية : ترك معاصي الله .

ومن مصاديق التداخل بينهما التوقي بطاعة الله عن عقوبته ،
ولا يحصي عدد المتقين ، وموارد التقوى ، وأفراد التقوى إلا الله عز

(١) تفسير الطبري ٣٨/٢٤ .

(٢) سورة الدخان ٥٦ .

(٣) الدر المنثور ٦٣/٧ .

وجل ، وهو سبحانه وحده يعلم أفراد وكيفية الرحمة التي تتوجه للمتقين ، ومن يلوذ بهم بسبب التقوى ، قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكُفُّهُمْ أَزْوَاجَهُمْ الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

والتقوى هي الخشية من الله عز وجل ، وإدراك العبد أن الله يراه ويدون قوله وفعله ، فيخشى الله عز وجل في موارد التقوى باتيان مصاديق الطاعة ، واجتناب أفراد المعصية ، لأن هذا الاجتناب من التقوى.

وورد عن (أبي سعيد الخدري قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة إلى مغيربان الشمس ، حفظها ونسيها من نسيها ، وأخبر ما هو كائن إلى يوم القيامة.

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى ، فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، ومنهم من يولد كافراً ويموت مؤمناً .

ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم ألم تروا إلى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فليلزم بالأرض .

ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب ، سريع الفيء .

وشر الرجال من كان بطيء الفيء ، سريع الغضب .

فإذا كان الرجل سريع الغضب سريع الفيء فإنها بها ، وإذا كان بطيء الغضب بطيء الفيء فإنها بها .

ألا وإن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب ، وشر التجار من كان سيء القضاء سيء الطلب .

فإذا كان الرجل حسن القضاء سيء الطلب فإنها بها ، وإذا كان الرجل سيء القضاء حسن الطلب فإنها بها .

ألا لا يمنع رجلاً مهابة الناس أن يقول بالحق إذا علمه . ألا إن لكل غادر لواء بقدر غدرة يوم القيامة .

ألا وإن أكبر الغدر أمير العامة . ألا وإن أفضل الجهاد من قال كلمة الحق عند سلطان جائر .

فلما كان عند مغرب الشمس قال : ألا إن ما بقي من الدنيا فيما مضى منه كمثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى^(١) .

وهل من حد أدنى وحد أعلى للتقوى في كل زمان ، المختار نعم . ولا يحصي كل منهما إلا الله إذ يهدي الله عز وجل الناس

للتقوى والخشية منه ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) .

والنسبة بين العبادة والتقوى العموم والخصوص المطلق فالعبادة أعم . والتقوى ملكة نفسانية ولها مبرز خارجي في القول والفعل .

وليس من حاجب أو برزخ بين الإنسان والتقوى ، وكل فرد من الناس مؤهل أن يكون من المتقين سواء كان غنياً أو فقيراً .

والتقوى أمر وجودي له شأن وموضوعية في سُنْخِية عمل الإنسان ، ويكون حاضراً معه في الآخرة ، قال تعالى ﴿وَزَادُوا فِإِنَّ

خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٣) ، لبيان قانون منافع التقوى في الدنيا والآخرة .

(١) الدر المنثور ٢/٤٣٢ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

(٣) سورة البقرة ١٩٧ .

وسئل الإمام علي عليه السلام عن التقوى (فقال : هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل)^(١). وتقوى الله أمر واجب بالسعي لمرضاة الله عز وجل ، وجعل واقية بينك وبين عذاب الله بالإمتثال لأوامره والتحلي بالخلق الحميد واجتناب معاصيه ، ولا يحصي عدد المتقين ، ومصاديق التقوى في الأرض إلا الله عز وجل .

فمن مصاديقها ما هو في السر ، مثل العزم على فعل الحسنة ووجود برزخ خارجي دونها والإمتثال النفسي عن اقتحام وفعل الفاحشة مع تهيئة مقدماتها ، ومن التقوى في المقام ما ورد في قصة يوسف عليه السلام بعصمته من الفاحشة خشية وقربة إلى الله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢).

قانون التقوى الذاتية والغيرية

لقد تكرر في القرآن الأمر ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خمساً وخمسين مرة ، منها ما جاء من عند الله عز وجل خطاباً للناس جميعاً كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٣) ، أو خطاباً للذين آمنوا ومنها ما ورد على لسان الأنبياء .

(١) النووي / الأربعين النووية ٤٣/١.

(٢) سورة يوسف ٢٤.

(٣) سورة النساء ١.

وورد على لسان نوح مكرراً لقومه ، بقوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مِّنْهُ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي أَنَا عَلَىٰ رُبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * فاتقوا الله وأطيعوا ﴿١﴾.

وورد على لسان شعيب ، وهود ، ولوط ، وموسى ، وورد على لسان عيسى في القرآن ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ * ﴿٢﴾.

وورد الأمر بالتقوى خطاباً للناس جميعاً بقوله تعالى ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ثلاث مرات في القرآن ﴿٣﴾ ، وهو من مصاديق صبغة العالمية في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
ومن معجزات القرآن وجوه :
الأول : قانون إنتفاع المسلمين من أوامر الأنبياء لقومهم بتقوى الله.

الثاني : قانون حمل المسلمين لألوية التقوى إلى يوم القيامة .
الثالث : تعدد موضوع التقوى في القرآن ، وفيه ترغيب للمسلمين والمسلمات بتقوى الله ، والخشية منه في السر والعلانية .
الرابع : وجوب تحلي المسلمين بأسمى مراتب التقوى لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ * ﴿١﴾.

(١) سورة الشعراء ١٠٨-١١٠.

(٢) سورة آل عمران ٥٠.

(٣) سورة النساء ١ ، سورة الحج ١ ، سورة لقمان ٣٣ .

وفي الآية أعلاه إكرام وتشريف للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ، وأهليتهم للخلافة في الأرض بأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسلامتهم من الإرتداد .

وهل يدل قوله تعالى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣) ، على سلامة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان إلى يوم القيامة ، الجواب نعم .

من أقسام التقوى

لقد وتوجهت أكثر أوامر تقوى الله في القرآن إلى المسلمين والمسلمات ، كما أنهم ينتفعون من الأوامر الموجهة إلى الأمم السابقة ، وهو من مصاديق وراثتهم لهذه الأمم ، وتوثيق القرآن لإقامة الله الحجة عليهم إلى يوم القيامة بذكر أمر الله وانبيائه إليهم بتقوى الله ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٣) .

فكل آية من آيات التقوى حجة على الناس بلزوم الخشية والخوف من الله ، ورجاء نواله ، ويتجلى هذا الخوف والرجاء بأداء الفرائض العبادية .

ويمكن تقسيم التقوى تقسيماً استقرائياً إلى أقسام :

الأول : التقوى الذاتية : التي تتجلى بقول وفعل المكلف ، وأدائه الفرائض العبادية واجتنابه ما نهى الله عز وجل عنه ، وهل تشمل التقوى النوايا ، الجواب نعم ، وفي التنزيل ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^(٤) .

(١) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٩ .

(٤) سورة النمل ٢٥ .

الثاني : التقوى التي تأتي بفضل الله عز وجل كما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)، فلا يصل الرجس والقبائح إلى السنة وجوارح أهل البيت ويدل قوله تعالى في يوسف عليه السلام ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢)، على أن الفوز بمرتبة صرف السوء لا تختص بالنبي يوسف عليه السلام أو الأنبياء وحدهم ، إنما الملاك فيها هو إخلاص العبادة لله عز وجل ، وفيه بعث للعمل الصالح.

ومن التقوى الغيرية إنعدام المعصية فقد يعزم الإنسان على فعل المعصية ولكنها تغيب عنه ، أو تكون دونها حواجز وبرزخ بلطف من الله عز وجل ، ومنه قوله تعالى ﴿يَسْأَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣).

الثالث : التقوى الغيرية : منها الإعتاظ من الناس الأحياء منهم والأموات ومن قصص القرآن ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤).

قانون تعدد مصاديق التقوى

من معاني الأمر بتقوى الله وجوه :

الأول : إرادة تقوى الله والخشية منه بخصوص مضامين الآية القرآنية.

الثاني : المقصود تقوى الله في العبادات والمعاملات .

الثالث : قانون التحذير والإنذار من الإضرار بالكاتب والشاهد ، قال

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

(٢) سورة يوسف ٢٤.

(٣) سورة الرعد ٣٩.

(٤) سورة يوسف ١١١.

تعالى ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾^(١).

الرابع : قانون ترغيب المسلمين بالتدائين فيما بينهم .

وقانون كتابة الديون التي تجري بين المسلمين أو بينهم وبين غيرهم من أهل الملل ، بلحاظ أن هذه الكتابة شاهد على ضبط وعدالة المسلمين ، وبرزخ دون تحريف وتبديل تفاصيلها وآجالها ، ومانع من الإفتراء والنسيان بخصوص الديون ، إذ أنها حصانة للمسلمين من الربا ، وإخبار للناس جميعاً بأن المسلمين يقرضون المال قربة إلى الله عز وجل ، ويتزهون عن الربا وأن الله حرمه عليهم ، وحرمة عامة تتغشى الناس جميعاً لقوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢).

لقد أمرت آيات القرآن بالعدل في الحكم والمعاملات ، قال تعالى ﴿إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنْ اللَّهُ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٣).

والنسبة بين التقوى والعدل هي العموم والخصوص المطلق ، فالعدل فرع التقوى ومصدق لها .

ومن معاني الآية أعلاه البشارة للمسلمين بالإمارة والسلطنة والحكم وتولي شؤون القضاء ، وذكرت الآية الناس لبيان تعدد مذاهب وملل الناس الذين يلجأون للمسلمين في القضاء والحكم فيجب العدل والإنصاف.

ولم يأت هذا الحكم والعدل بالسيف والغزو إنما جاء بالمعجزات العقلية والحسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة ٢٧٥.

(٣) سورة النساء ٥٨.

المعنى الإصطلاحي للإيمان

الإيمان لغة : التصديق والإقرار ، وهو في الإصطلاح سور جامع للقول باللسان ، والتصديق بالجنان بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله وترشح المصاديق العملية للإيمان على الجوارح والأركان.

وهل هذا الترشح من أصل الإيمان ، أم يطلق عليه الإيمان مجازاً ، المختار هو الأول .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الإيمان بضع وسبعون باباً ، أدناها إمطة الأذى عن الطريق ، وأعلىها شهادة أن لا إله إلا الله)^(١).

ليان وحدة موضوع الإيمان وشموله للقول والعمل ، لتكون النسبة بين المعنى الإصطلاحي واللغوي للإيمان عموماً وخصوصاً مطلقاً .

ولا يتعارض مع هذا المعنى بعض الأحاديث الواردة بخصوص الإيمان بالتصديق بالقلب والجنان إنما هي في طوله ، خاصة وأن الأثر الخارجي يترتب على القول والفعل ، وأن الحساب يوم القيامة على عالم الإيمان.

وهل النفاق برزخ بين الإيمان والكفر لأنه إيمان باللسان وكفر بالقلب والجنان ، الجواب لا.

إذ أخبر الله عز وجل في آيات متعددة على أن النفاق كفر ، منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٢) ، وقال تعالى في ذم

(١) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٧٠/١ .

(٢) سورة المائدة ٤١ .

المنافقين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١) ،
وقال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(٢) .

قانون الهداية إلى الإيمان

من إعجاز القرآن هداية آياته للإيمان ، وبيانها للحسن الذاتي
للإيمان وشروطه والثناء على المؤمنين بحسن عاقبتهم ، وذم الكفر ،
والإخبار عن قبحه والنفاق ، وسوء عاقبة كل منهما .
ولو دار الأمر بين المعنى الأعم للإيمان الشامل للتصديق القلبي
وعالم الأفعال ، وبين الإكتفاء بالتصديق بالجنان ، فالمختار هو
الأول ، لأصالة الإطلاق ، وللسنة النبوية .

إذ جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الإيمان القولي والفعلية ،
قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) .

إذ أدرك المشركون أن الإيمان صلاة وأفعال عبادية فحاربوا النبي
صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين الأوائل وقاموا بحصار ظالم
على بني هاشم لأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يدعو
إلى الله بالقول والفعل .

وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال لهم (هل تدرون ما الإيمان قالوا : الله ورسوله أعلم قال :
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمسا من المغنم الحديث وكذلك

(١) سورة المنافقون ٣ .

(٢) سورة التوبة ٦٨ .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ .

قوله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناها إمطة الأذى وأرفعها قول لا إله إلا الله^(١).

وعن الإمام علي عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان معرفة بالقلب ، وإقراراً باللسان ، وعمل بالأركان.

وعن علي بن الحسين زين العابدين قال : حدثنا أبي سيد شباب أهل الجنة قال : حدثنا أبي سيد الأوصياء قال : حدثنا محمد سيد الأنبياء قال : الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول)^(٢).

ويدل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الإيمان بضع وسبعون باباً ، أدناها إمطة الأذى عن الطريق ، وأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله)^(٣).

على تعدد مصاديق وأفراد الإيمان لتشمل الاعتقاد والقول وعمل الصالحات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإجتنابه وسائر المعاصي ، قال تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ لَهُ وُجُوهُهُ خَشْيَةً لِرَسُولِهِ لَمْ يَفْرِقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾^(٤).

وفي مريم ورد قوله تعالى ﴿ وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ ﴾^(٥) ، أي المطيعين لله.

(١) تفسير القرطبي ٤/٤٧ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١/٧٠ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١/٧٠ .

(٤) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٥) سورة التحريم ١٢ .

وهل يفيد الغيرية والتعدد بين إيمانها وقنوتها ، وكما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِينَ وَالْقَاتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمُ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

المختار لا ، إنما النسبة بين الإيمان والقنوت عموم وخصوص مطلق ، والإيمان أعم ، بدليل وصف الله عز وجل للمؤمنين بحسن السمات والعمل في طاعة الله ، وما يتضمن القنوت والخشوع والطاعة لله عز وجل ، إذ قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢).

ويشمل ذكر المؤمنين في الآية أعلاه ونحوها المؤمنات أيضاً. إنما ورد التذكير للفرد الغالب في لغة التخاطب فذات شروط الإيمان تنطبق على النساء إلا ما خرج بالدليل.

فكل من المسلم والمسلمة مأموران بالإيمان ، وطاعة الله ، والإمتثال لأوامره ، وإجتنب نواهيه ، والتقيد بموارد التكاليف الخمسة ، من الوجوب ، والإستحباب ، والإباحة ، والكراهة ، والمحرمة .

(١) سورة الأحزاب ٣٥.

(٢) سورة الأنفال ٢-٤.

إحصاء مصاديق الإيمان في القرآن

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الإيمان ، وهو علة خلق الناس إذ قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

وتدل هذه الآية على تقريب الله الناس إلى ذكره وعبادته وطاعته ، ومن اللطف الإلهي في المقام نزول الكتب السماوية من عند الله عز وجل لوجوه في المقام منها :

الأول : بيان معنى ومفاهيم الإيمان .

الثاني : إرادة فرض التكاليف على الناس ، لقانون التكاليف العبادية رحمة ، يؤديها فريق من الناس فيعم الفضل الإلهي الناس جميعاً .

الثالث : قانون مصاحبة النبوة للحياة الدنيا إذ هبط آدم إلى الأرض نبياً رسولاً.

فان قلت قد انقطعت النبوة بانتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، والجواب هذا صحيح ، ولكنها بقيت بالقرآن معجزة عقلية تتلى آياته يومياً من قبل الملايين من المسلمين والمسلمات على نحو الوجوب العيني ، قال تعالى ﴿فَاقرءُوا مَا تَسْرَرْنَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٢).

وبقيت بتعاهد المسلمين والمسلمات للسنة النبوية القولية والفعلية ، وهو من الإعجاز في تثبيت سنن العبادة في الأرض لقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣).

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة المزمل ٢٠.

(٣) سورة الأحزاب ٢١.

قانون كل آية دعوة للإيمان

من إعجاز القرآن قانون كل آية منه دعوة للإيمان سواء في منطوقها أو مفهومها ، ومع أن المراد بالإيمان هو الإيمان بالله عز وجل إلهاً ورباً ، فقد ذكرت آيات القرآن الإيمان بالملائكة والكتب السماوية والأنبياء واليوم الآخر ، وهو من فضل ولطف الله عز وجل بأن جعل وجوب الإيمان بخلقه المكرمين مصاحباً للإيمان به لبيان لزوم التصديق بالوسائط بين الله وعباده ، وبما يؤدي إلى حفظ الشرائع وسنن العبادات.

ومن مصاديق الإيمان قانون دعوات الآيات المتعددة للإيمان ، فتجد في الآية الأمر والنهي والخبر والإنشاء والشرط ، وكل فرد منها دعوة للإيمان ولا يحصي أفراد دعوة الإيمان في القرآن إلا الله عز وجل . وكذا لا يحصي أعداد الذين يعملون بمصاديق الإيمان في القرآن إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق إحاطة الله علماً بكل شيء ، وفيه ترغيب للناس بالإيمان فحينما يعلم العبد أن سيده مطلع على عمله وما تحدثه به نفسه فانه يجتهد في الصالحات ، ويصرف عن ذهنه الهم بالمعصية ، وجاء على لسان الهدد في ذم قوم بلقيس قبل إسلامهم ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^(١).

ثم خاطب الله عز وجل الناس بتعقب الحساب للعلم بقوله تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢٨٤.

ليدرك الناس انفراد الله عز وجل بالعلم وإحصاء ما في النفوس وعالم الأعمال والمحاسبة عليه قال تعالى ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(١)، فينجذب إلى الإيمان طوعاً وقهراً ليبان فضل الله عز وجل بالآية القرآنية ، ودعوتها للناس والإيمان .

إحصاء دقيق وجديد للآيات المكية والمدنية

لقد تضمنت السور المكية والمدنية الإنذار والتخويف والوعيد ، وكان نسبة الإنذار والوعيد من مجموع الآيات المكية أكثر من نسبتها في الآيات المدنية والسور المدنية .

وتتصف الآيات المكية وهي التي نزلت قبل الهجرة بالقصر ، والإعجاز والإنذار ، والوعيد ، لحمل الأذهان للإنجذاب إليها ، ولينقلها الناس إلى من خلفهم ، وعدد السور المكية هو (٨٩) تسع وثمانون سورة منها أغلب السور القصار ، ومنها سورة الأنعام ، والأعراف ، ويونس ، ومريم ، والشعراء ، والشورى ، والسجدة ، والنمل ، والفرقان ، والصفات ، ولقمان ، والدخان ، والواقعة ، والإنفطار .

أما الآيات والسور المدنية فهي التي نزلت بعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وتتصف ببيان أحكام التشريع في العبادات والمعاملات وأنظمة الأسرة، والصلات الإجتماعية العامة من غير أن تبتعد عن لغة البشارة والإنذار .

وعدد السور المدنية هو خمس وعشرون سورة ، ولا بد من إحصاء دقيق للمكي والمدني وفق عدد الآيات وليس السور ، فمع أن عدد السور المكية هو ضعف عدد السور

(١) سورة القيامة ٣٦.

المدنية إلا أن عدد كلمات الآيات المدنية أكثر من عدد كلمات الآيات المكية ، إلى جانب إتصاف أغلب الآيات المدنية بالطول مقابل القصر في الآيات المكية .

ولا بد من تأليف هيئة من العلماء لهذا الإحصاء ، فهو لا يختصر على إحصاء الآيات حسب عددها في كل سورة ، ولكن لتضمن بعض السور المكية آيات مدنية ، وتضمن بعض السور المدنية آيات مكية .

هل هذه السور مكية أو مدنية

من السور المختلف فيها هل هي مكية أو مدنية :

الأولى : سورة الرعد والمختار أنها مكية.

الثانية : سورة الرحمن والمختار أنها مدنية.

الثالثة : سورة الصف والمختار أنها مدنية .

الرابعة : سورة التغابن والمختار أنها مدنية .

الخامسة : سورة المطففين والمختار أنها مكية.

السادسة : سورة الزلزلة والمختار أنها مكية.

ويتضمن هذا الجزء جدولاً بتقسيم كل سور القرآن إلى مكي ومدني.

ترى لماذا توجد آيات مكية في سورة مدنية وبالعكس ، الجواب ترتيب آيات وسور القرآن توقيفي ، وكان جبرئيل عليه السلام ينزل بالآيات .

ويدعو النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض كتاب الوحي ويقول (ضَعُوا هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذًا وَكَذَا ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذًا وَكَذَا)^(١).

(١) ابن العربي / أحكام القرآن ٤/ ١٨٨ .

كما كان جبرئيل يعارض ويتدارس القرآن مع النبي مرة كل سنة ومنها التلاوة وفق الترتيب التوقيفي ، وعارضه في السنة التي توفي فيها مرتين ، فعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه الأجل والانتقال إلى الرفيق الأعلى.

وقد ينزل شطر من سورة قبل الهجرة ثم تنزل منها آيات بعد الهجرة ، إذ أن تقسيم القرآن إلى مكّي ومدني استقرائي ، لذا اختلف في المراد منه .

وعن (ابن عباس قال: كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء)^(١).

علامات تختص بها السور المكية وأخرى المدنية

هناك علامات تختص بها السور المكية أو المدنية وهذه العلامات ليس على نحو الدقة العقلية ، إنما هي على الفرد الغالب ، منها :
الأولى : كل سورة فيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وليس فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهي مكية ، وفي الحج اختلاف ، والمختار أنها مكية.

الثانية : كل سورة فيها (كلا) فهي مكية ، وورد ﴿كلا﴾ بفتح اللام في القرآن (٣٣) مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الثاني من القرآن ، وحرف ﴿كلا﴾ يفيد التنبيه ، كما يفيد الردع والزجر والوعيد ، لتناسب صيغ إنذار القرآن للذين كفروا ، منها ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفٍفٍ﴾^(٢) ، ومنها ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ

(١) الإتيان ١٠/١.

(٢) سورة العلق ٦.

لَفِي سَجِينٍ»^(١)، ومنها ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ»^(٢)، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ»^(٣).

وقال ثعلب (كلا) مركبة من كاف التشبيه و(لا) النافية.

ونسب إلى الكسائي أن (كلا) إذا وردت بمعنى (حقاً) فهي اسم.

الثالثة : كل سورة أولها حروف المعجم مكية ، إلا سورة البقرة ، وآل عمران ، وفي الرعد خلاف ، والمختار أنها مكية .

الرابعة : كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية ، عدا سورة البقرة.

الخامسة : كل سورة فيها ذكر المنافقين مدنية ، سوى سورة العنكبوت.

السادسة : كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية .

السابعة : كل سورة ذكرت فيها القرون السالفة فهي مكية .

الثامنة : لم تنزل آيات الدفاع والقتال والمدد الملكوتي إلا في المدينة ، لأن المشركين جهزوا الجيوش للهجوم عليها.

وقيدت هذه الآيات قتال المسلمين بأنه في سبيل الله ، كما في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَكَانَ يُغْنِي عَنْكُمْ اللَّهُ لِيَأْخُذَ الْمُعْتَدِينَ»^(٤) ، للدلالة على أن صبغة قتال النبي صلى الله عليه وآله وآله وسلم الدفاع.

ووردت هذه الآيات في سور منها : آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنفال ، التوبة .

(١) سورة المطففين ٧.

(٢) سورة المطففين ١٨.

(٣) سورة المطففين ١٥.

(٤) سورة البقرة ١٩٠.

كما ورد بصيغة النفي منها قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١).

ويرد بلفظ الجهاد وإن كان هذا اللفظ أعم من القتال وميادينه ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وأكثر السور التي وردت فيها مادة القتال هي :

الأولى : سورة البقرة في الآيات ١٧٨-١٩٠-١٩١-١٩٣-٢١٦-٢٤٤-٢٤٦.

الثانية : سورة النساء في الآيات ٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٨٤-٨٩-٩١.

الثالثة : سورة التوبة في الآيات ٥-١٢-١٣-١٤-٢٩-٣٦-١١١-١٢٣.

وكل واحدة من هذه السور الثلاث مدنية.

ومن وجوه التمييز بين المكي والمدني أسباب النزول والوقائع.

تنقيح أسباب النزول :

يمكن تقسيم آيات القرآن تقسيماً استقرائياً إلى جهات منها :

الأولى : الآيات التي لها سبب نزول حاضر ويكون قطعي الدخول في موضوع الآية ، ولا يخرج بتخصص أو تخصيص ، وفي قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٣).

(١) سورة التوبة ١٢٢.

(٢) سورة المائدة ٣٥.

(٣) سورة المجادلة ١.

ورد (عن ابن عبد الله بن سلام، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في-والله-وفي أوس بن الصامت أنزل الله صَدْرَ سورة "المجادلة"، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه.

قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعته بشيء.

فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أمي.

قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي.

قالت : قلت : كلا والذي نفس خويلة بيده ، لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت ، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

قالت : فوائبني وامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني .

قالت : ثم خرجتُ إلى بعض جاراتي ، فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجتُ حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه.

قالت : فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يا خويلة ابنُ عمك كبير ، فاتقي الله فيه .

قالت : فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن ، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ، ثم سري عنه .

فقال لي : يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ، ثم قرأ عليّ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ

يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا إِنْ اللَّهَ سَمِعَ بِصِيرٍ﴾^(١) ، إلى قوله تعالى ﴿وَالْكَافِرِينَ

عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^(٢).

(١) سورة المجادلة ١.

(٢) سورة المجادلة ٤.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَرِيه فليعتق رقبة.

فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

قال : فليصم شهرين متتابعين .

فقلت : والله إنه شيخ كبير ما به من صيام.

قال : فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر .

فقلت : يا رسول الله ما ذاك عنده.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإننا سنعيّنه بعرقٍ من تمر.

فقلت : يا رسول الله وأنا سأعيّنه بعرقٍ آخر،

قال : فقد أصبت وأحسنْتَ ، فأذهبي فتصدقِي به عنه ، ثم

استوصي بابن عمك خيراً ، قالت : ففعلت^(١).

الثانية : عدم ثبوت بعض ما ذكر بخصوص أسباب بعض الآيات

، كما في أسباب قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ

سُكَارَى﴾^(٢)، وقراءة أحد الصحابة على اختلاف في اسمه وتارة

لم يذكر اسمه في قراءة سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾^(٣) - بعد شرب

الخمير .

الثالثة : الآيات التي اختلفت في أسباب نزولها ، والذي يدل

بالدلالة التضمنية على وجود أسباب نزول لها ، منها قوله تعالى

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) ، وفيه

أقوال :

(١) تفسير ابن كثير ٣٥/٨ .

(٢) سورة النساء ٤٣ .

(٣) سورة الكافرون ١ .

(٤) سورة البقرة ١١٥ .

الأول : (خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وذلك قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فاصابهم الضباب فحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فمنهم من صلى إلى المشرق ومنهم من صلى إلى المغرب. فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا. فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية^(١)).

الثاني : (قال عبدالله بن عامر بن ربيعة : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلاً فجعل الرجل يتخذ أحجاراً فيعمل مسجداً يصلي فيه ، فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول الله : لقد صلينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة فأنزل الله هذه الآية^(٢)).

الثالث : (قال عبد الله بن عمر : نزلت في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهت به راحلته تطوعاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على راحلته جائياً من مكة إلى المدينة)^(٣).

الرابع : (قال عكرمة : نزلت في تحويل القبلة لما حوت إلى الكعبة. فأنزل الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾^(٤))^(٥).

والأولى التقيق بلحاظ آيات القرآن الأخرى ، وعلم الحديث رواية وعلم الحديث دراية مع توثيق الكتب السابقة للروايات الخاصة بأسباب النزول في المقام.

(١) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢٢٠/١ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢٢٠/١ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢٢١/١ .

(٤) سورة البقرة ١١٥ .

(٥) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢٢١/١ .

كنوز الإحصاء في سبب النزول

إذا كان سبب نزول آية قرآنية قضية عين ، وواقعة في زمان مخصوص كالساعة الواحدة فان موضوع الآية متجدد وباق إلى يوم القيامة.

وهناك أفراد ومسائل تتعلق بأسباب النزول لا يحصي كثرة أفرادها إلا الله عز وجل ، ويعجز الناس عن إحصائها منها :
الأولى : عدد المسلمين والمسلمات الذين يعلمون بأحكام هذه الآية .

الثانية : عدد الآيات التي يتجدد فيها ذات سبب النزول .

الثالثة : سعة موضوع الآية ، وانطباقه على شواهد كثيرة .

الرابعة : عجز الناس عن إحصاء الأجر والثواب للذين يعملون بمضامين الآية ، ويتتهون عما نهت عنه .

الخامسة : تفضل الله بسبل تيسير العمل بمضامين الآية ، وهو الأمر الذي يتكشف للناس يوم القيامة ، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(١) ، فمن مصاديق الرحمة الإلهية قانون تقريب الناس إلى الإمتثال للإحكام الشرعية ، وقانون إزاحة الموانع دون العمل بأحكام الشريعة .

السادسة : عجز الناس عن إحصاء عدد الذين يتكرر عندهم ذات سبب نزول الآية ، ويعملون بها .

السابعة : العجز عن إحصاء الذين انتفعوا من الآية الكريمة ، ولا يختص هذا الانتفاع بالذين يعملون بمضامين الآية ، بل يشمل غيرهم القريب والبعيد ، والمسلم وغير المسلم .

الثامنة : كم وكيف تفقه الناس بالمعارف الإلهية للعلم بالوقائع التي صارت سبباً لنزول آيات القرآن .

التاسعة : إحصاء أسئلة الناس عن أسباب النزول وقراءتهم لها ، وإخبار الآخرين عنها ابتداءً .

العاشرة : إحصاء التدبر العام بالقرآن بسبب الوقائع التي نزلت بخصوصها الآيات .

الحادية عشرة : إحصاء معالم الإيمان الظاهرة والخفية بسبب أسباب النزول ، لبيان قانون أسباب النزول سبب للهداية والصلاح .

الثانية عشرة : إحصاء أسباب النزول الخاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة عشرة : إحصاء أسباب النزول بخصوص أهل البيت ، قال تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

الرابعة عشرة : إحصاء أسباب النزول بخصوص أزواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿النَّبِيِّ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيَانِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٢).

الخامسة عشرة : إحصاء منافع تعلق الآية بأسبابها حال النزول .

السادسة عشرة : إحصاء صيرورة سبب النزول وسيلة لحفظ المسلمين آيات القرآن والتثبت من معناها .

(١) سورة آل عمران ٦١.

(٢) سورة الأحزاب ٦.

السابعة عشرة : إحصاء وضبط كون أسباب النزول برزخاً دون اختلاف المسلمين وعلمائهم في معنى ودلالات الآية القرآنية .

الثامنة عشرة : مع أن ﴿نِعْمَ اللَّهُ﴾ في الآية تفيد الجنس ، إلا أنها أيضاً تفيد المفرد في المقام .

وهو من إعجاز القرآن بأن يأتي اللفظ جامعاً للجمع والمفرد ، إذ أن لفظ نعمة من أسماء الجنس الجمعي ، والجنس الإفرادي ، واسم المفرد أي النعمة الواحدة ، ومن مصاديقه عجز الناس عن إحصاء نعمة واحدة عليهم كما وكيفاً وعدداً مثل نعمة الرزق ونعمة المطر ونزول الغيث ، ونعمة الصحة ، ومحو الأمراض والأدران عن الناس ، وحال الشفاء بعد المرض ، قال تعالى ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِشْنِي﴾^(١) .

يَشْفِينِ^(١) .

ومن وجوه تقدير مفرد النعمة : وإن تعدوا نعمة الله في رزقكم لا تحصوها ، وإن تعدوا نعمة الله في سلامتكم من الأدران لا تحصوها خاصة وأن الكثير يحوها الله من غير أن يعلم بها صاحبها ، وهو من مصاديق اللطف في قوله تعالى ﴿يُنَحُّ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) .

الاختلاف في سبب نزول آية المواريث

وفيه وجوه :

الأول : (أخبر محمد بن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما يتمشيان ، فأغشي عليّ فدعا بماء فتوضأ ثم صبّه عليّ فأفقت . فقلت : يا رسول الله كيف أمضي في مالي ، كيف أصنع في مالي .

(١) سورة الشعراء ٨٠ .

(٢) سورة الرعد ٣٩ .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت في آية المواريث.
الثاني : قال عطاء : استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك امرأة وابنتين وأخاً ، فأخذ الأخ المال فأتت امرأة سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هاتين ابنتي سعد ، وإن سعداً قُتل يوم أحد معك شهيداً ، وإن عمهما أخذ مالهما ولا ينكحان إلاّ ولهما مال.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ارجعي فلعل الله سيقضي في ذلك فأقامت حيناً ثم عادت وشكت وبكت ، فنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(١) إلى أَوْلَادِكُمْ﴾^(٢) إلى آخرها.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمهما وقال : أعط بنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك ، فهذا أول ميراث قُسم في الإسلام.

الثالث : قال مقاتل والكلبي : نزلت في أم كحة.

الرابع : قال السدي : نزلت في عبد الرحمن أخي حسان الشاعر ، وذلك أنه مات وترك امرأة وخمس أخوات ، فجاء الورثة فأخذوا ماله ولم يعطوا امرأته شيئاً ، فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آية المواريث^(٣).

قانون صلاة الجماعة معجزة للنبي محمد (ص)

قد تقدم هذا العنوان في الجزء الخمسين بعد المائتين من هذا السفر ، لتكون صلاة الجماعة خمس مرات كل يوم في مشارق ومغارب الأرض إلى يوم القيامة معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحصي أفراد صلاة الجماعة في الأزمنة المتعاقبة إلا الله

(١) سورة النساء ١٠.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/٣٦٠.

عز وجل ، وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية بأن يتعاهد المسلمون والمسلمات صلاة الجماعة في كل جيل وفي الصيف والشتاء ، والحل والترحال.

واختلف في صلاة الجماعة من جهة الوجوب والإستحباب على وجوه:

الأول : صلاة الجماعة مستحبة مؤكداً : وهو المختار ، ويدل عليه قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (من صلى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق)^(١).

وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي بأنها ليست واجبة إنما هي سنة مؤكدة.

الثاني : وجوب صلاة الجماعة : على المكلف ، ونسب إلى عبد الله بن مسعود ، وبه قال عطاء والأوزاعي .

الثالث : حضور المسجد واجب : وجوباً عينياً لمن كان قريباً منه لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد).

لتكون النسبة بين الوجه الثاني أعلاه وبين هذا الوجه عموماً وخصوصاً مطلقاً .

واختلف في عدد الدور التي تكون جيراناً للمسجد ، منها أربعون داراً من كل جانب ، وقول أن جار المسجد من سمع النداء ، وهل يشمل السماع بمكبرات الصوت الحديثة ، الجواب لا .

ولا ملازمة بين صلاة الجماعة وأدائها في المسجد ، فتصح في البيت والسكن ، نعم الصلاة في المسجد أكثر ثواباً سواء كانت جماعة أو فرادى ، لما فيه من عمارة المسجد ، وتعاهد حق جواره .

وورد كل من لفظ ﴿يَعْمُرُوا﴾ و﴿يَعْمُرُ﴾ مرة واحدة وفي آيتين متجاورتين ، قال تعالى ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِهِمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

الرابع : صلاة الجماعة واجبة وجوباً كفائياً ، أحياء للسنة.
وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ^(٢) بسبع وعشرين درجة)^(٣)^(٤).
وإذ يعجز الناس عن إحصاء أفراد صلاة الجماعة للمسلمين في أرجاء الأرض فمن باب الأولوية عجزهم عن إحصاء منافعها وثوابها في الدنيا والآخرة .

قوانين في صلاة الجماعة

الأول : قانون تشريع صلاة الجماعة رحمة ولطف من عند الله عز وجل.

الثاني : قانون ترشح المنافع عن صلاة الجماعة .

الثالث : قانون صلاة الجماعة معجزة حسية غيرية متجددة كل

يوم.

الرابع : قانون صلاة الجماعة مصداق للإيمان ودعوة للإيمان .

(١) سورة التوبة ١٧-١٨.

(٢) ومعنى الفذ : المفرد .

(٣) تفسير القرطبي ١/ ٣٨٢ .

(٤) البحار ٤/ ٨٥ .

الخامس : قانون صلاة الجماعة سلام وأمن وسكينة ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

السادس : قانون صلاة الجماعة تأديب وإصلاح للنفوس والمجتمعات.

السابع : قانون صلاة الجماعة مرآة الأخوة الإيمانية ومناسبة لإزاحة الضغائن والكدورة ، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكْعِينَ﴾^(٢).

الثامن : قانون صلاة الجماعة حفظ للقرآن ، ومنع من ضياع آياته ومضامينها القدسية ، لتكون الصلاة من معاني ومصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣).

ومن مصاديق حفظ الله للقرآن وأحكامه تشريع إقامة المسلمين الصلاة خمس مرات في اليوم ، وتهيئة مقدماتها بفضل من الله عز وجل.

وقد ورد لفظ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ بصيغة الجمع المكرر خاصاً بالله عز وجل في خمس آيات وهي :

الأولى : قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤).

الثانية : قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾^(٥).

(١) سورة الرعد ٢٨.

(٢) سورة البقرة ٤٣.

(٣) سورة الحجر ٩.

(٤) سورة الحجر ٩.

(٥) سورة مريم ٤٠.

الثالثة : قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

الرابعة : قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَآلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾^(٢).

الخامسة : قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^(٣).

إحصاء صلاة وسلام الأجيال على النبي محمد (ص)

لقد نزل القرآن بالثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووجوب تعاهد المسلمين لهذا الثناء ومنه صلاة وسلام أجيال المسلمين المتعاقبة عليه على نحو الوجوب العيني ، والذي يتجلى بالأمر الإلهي في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤).

وصلاة الله عز وجل على النبي رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن المؤمنين دعاء لزيادة رفعة ومرتبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الشاتين .

ليبان قانون عجز الناس عن إحصاء ما أعطاه الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَن تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥) ، لشكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتبليغه الرسالة بالصلاة عليه ، وبيان وجوب هذه الصلاة في

(١) سورة يس ١٢.

(٢) سورة ق ٤٣.

(٣) سورة الإنسان ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب ٥٦.

(٥) سورة الأعراف ٤٣.

القرآن وفيها تأديب للمسلمين ، وإرشاد لنوع الصلة بينهم وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتي تتجلى باتباعه في طاعة الله.

وقد أمر الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليخاطب المسلمين والمسلمات ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ومن لطف الله عز وجل في الآية أعلاه من سورة الأحزاب الجمع بين صلاته وصلاة الملائكة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٢)، وفيه دلالة على رضا وغبطة الملائكة بعمل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

وجوه في رد الملائكة

يحتمل قوله تعالى ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٤)، وجوهاً :

الأول : احتجاج الملائكة على خلافة الإنسان في الأرض ، ثم قاموا بالوحي إلى الأنبياء ، ورؤية عباده المؤمنين لله عز وجل ، وهي شهادة عملية على حكمة الله في جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران ٣١.

(٢) سورة الأحزاب ٥٦.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

الثاني : لم يكن قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١) ، احتجاجاً ، إنما كان توسلاً وتضرعاً إلى الله بهداية جميع أهل الأرض للإيمان.

الثالث : استبشار الملائكة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي يدل عليه حديث الإسراء عند عروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ، ثم أخذ جبرئيل (بيدي فصعد بي إلى السماء ، فلما انتهينا إلى الباب استفتح ، قالوا : من أنت . قال : جبريل . قيل : ومن معك ، قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه .

قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وبمن معك^(٢) . وهكذا كان كل خزنة لاحدى السموات يرحب بالنبي بما يفيد علمهم بأنه سيبعث ، وانتظارهم لبعثته . وهل انقطعت صلاة الله والملائكة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند وفاته ، أم أنها مستمرة . الجواب هو الثاني فهي متصلة ومستمرة إلى يوم القيامة ، وتدل عليه صيغة المضارع (يصلون) التي تفيد الإستمرار والدوام .

إحصاء الصلوات على النبي (ص)

ينفرد الله عز وجل باحصاء كل من :

الأول : عدد صلوات الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأفراد رحمته له وللأجيال المتعاقبة من أمته .
الثاني : كيفية صلوات الله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) الدر المنثور ١٨٨/٦ .

الثالث : المنافع الخاصة والعامة لصلوات الله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : أوان صلاة الله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : عدد الملائكة الذين يصلون على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السادس : عدد صلوات الملائكة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السابع : كيفية صلاة الملائكة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثامن : منافع صلاة الملائكة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للنبي ذاته ولأئمة ومنها الإستغفار والدعاء .

و(عن كعب بن عجرة قال : لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ

عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) قلنا : يا

رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ، قال :

قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على

إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى

آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد

مجيد^(٢) .



(١) سورة الأحزاب ٥٦ .

(٢) الدر المنثور ١٩٧/٨ .

مسائل في الصلاة على النبي (ص)

وفي آية الصلاة على النبي مسائل :

الأولى : تشريف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمه .

الثانية : تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء .

الثالثة : دعوة المسلمين للإقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابعة : بيان فضل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامسة : قانون سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل في المعارك ، والإغتيال ببركة صلاة الله وملائكته عليه ، لقانون صلاة الله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقية له في حياته وبعد وفاته ، والنسبة بين القانونين أعلاه عموم وخصوص مطلق ، فالثاني أعم من الأول .

السادسة : تهذيب الأخلاق .

السابعة : قانون الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عبادة الله .

الثامنة : الأجر والثواب لمن يكثر من الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

التاسعة : عجز الخلائق عن إحصاء صلوات الله وملائكته على النبي وعن معرفة كيفيتها ، وهل هي كيفية ثابتة أم متعددة ، المختار هو الثاني .

فليس من حصر لوجوه ومقدار صلاة الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهل هي متصلة أم منقطعة ، الجواب هو الأول .

وتسمى الصلاة على النبي التصلية وهي عبادة ، وتقرب إلى الله عز وجل لصيغة الأمر في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

وهي مقدمة في الدعاء والمسألة لأن الله عز وجل يقبل هذه الصلاة ، وهو سبحانه كريم فعندما يقبل جزء وطرفاً من الدعاء لا يرد غيره .

ومن معاني الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء له ، وسؤال رفع درجته ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ومن إعجاز القرآن تجلي اللطف الإلهي في صلاة الله على المسلمين وهي من اللامتناهي بقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٣).

ليان قانون الدنيا دار صلاة الله على المؤمنين ، وهذا القانون فرع قانون الدنيا دار رحمة الله على المؤمنين والناس جميعاً .



(١) سورة الأحزاب ٥٦.

(٢) سورة التوبة ١٠٣.

(٣) سورة الأحزاب ٤٣.

إحصاء السلام على النبي (ص)

من معجزات القرآن الغريبة تعاهد وحرص المسلمين على الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تمر دقيقة من دقائق وساعات الدنيا إلا وهناك من يقيم الصلاة ذات الركوع والسجود ، ويصلي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو أمر لا يحصي كثرتة إلا الله عز وجل .

ومن إعجاز القرآن في المقام أن نزول آية قرآنية واحدة تجعل الإمثال لها ينفذ إلى البيوت ، ويجهر به في المساجد والمتنديات ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) لبيان قانون الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرض في الإسلام ، لأن الأصل هو حمل الأمر المتعدد في ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾ على الوجوب .

وقال الشافعي ببطلان الصلاة بترك الصلاة على النبي ، وقال مالك هي سنة .

والمختار أنها واجب في الصلاة وخارجها ، ولكن الإكتفاء بالمرة والمرات القليلة في المقام لا يخلو من فوات الثواب .
والمختار أن الصلاة لا تبطل بتركها .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّيْ عَلَيَّ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلَيْقِلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكْثَرُ)^(٢) .

وعن (عبد الرحمن بن عوف : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : إني لقيت جبريل عليه السلام فبشرني ، وقال :

(١) سورة الأحزاب ٥٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦/٤٦٣ .

إن الله يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله شكراً^(١).

وهل تنحصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة معينة وهل يشترط العربية فيها ، المختار لا ، فتجزي الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأي لغة كانت .

نعم الأولى كيفية الصلاة التي وردت في النصوص (عن كعب بن عجرة قال : لما نزلت { إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً }^(٢) قلنا : يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ، قال قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد)^(٣).

لماذا الصلاة على النبي (ص)

ترى لماذا يصلي المسلمون على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب من جهات :

الأولى : الطاعة والإمثال لأمر الله تعالى .

الثانية : بيان المنزلة الرفيعة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالثة : إستحضار ذكر الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الوجود الذهني .

الرابعة : طرد الشياطين والإحتراز من أهل المعاصي .

(١) الدر المنثور ١/٣٠٧ .

(٢) سورة الأحزاب ٥٦ .

(٣) الدر المنثور ٨/١٩٧ .

الخامسة : قانون تجديد الإيمان بذكر الله عز وجل ، ومن أسماء النبي محمد الذكر ، قال تعالى ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾^(١).

السادسة : الفوز بمحبة ورضوان الله عز وجل بالإكثار من سؤال الله عز وجل الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ أنها دعاء ومسألة وتوسل إلى الله عز وجل بأن يرحم النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ويبارك له في أمته .
وكما أن لفظ (قل) الذي ورد في القرآن خطاباً خاصاً إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٣٢٨) مرة يشمل الأمة إلا ما خرج بالدليل ، فإن سؤال الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تضرع إلى الله عز وجل أن يرحم أجيال أمته ، وأن يأذن له بالشفاعة يوم القيامة .

السابعة : من صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الله عليه ، قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾^(٢).

الثامنة : رد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على من يصلي ويسلم عليه بعد وفاته سواء القريب عند قبره الشريف أو البعيد عنه في الأمصار .

(١) سورة الطلاق ١٠-١١ .

(٢) سورة الأحزاب ٤٣ .

ولا يعلم بعدد صلوات المسلمين على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا الله لكثرتها ، ولأن الملايين من المسلمين يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم على نحو الإنفراد ، سواء في الصلاة أو خارجها ، وبالجهر والإخفات ، فلا يسمعون إلا الله عز وجل .

التاسعة : الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باب هداية للقاتل والسامع ، وهل تدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الجواب نعم.

العاشر : الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باعث للسكينة في النفوس ، وبرزخ دون غلبة النفس الغضبية والسبعية.

إحصاء الأسئلة للنبي محمد (ص)

لقد وردت كلمة ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ خمس عشرة مرة في القرآن ، ووردت مادة ﴿سَأَلَ﴾ نحو مائة وتسعاً وعشرين مرة لبيان موضوعية السؤال في تأريخ النبوة ، وإذا أريد من السؤال التعريف فانه يتعدى إلى مفعول به ثان سواء بنفسه أو بالجر ، فتقول : سألته عن كذا .

وتختص كلمة ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في القرآن بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيها ذكر له ، وتشريف له ، وبيان لجهاده في سبيل الله ، والمدد من الله له بالوحي ، والجواب الذي تستفح منه الأجيال ، وأكثر سورة وردت فيها مادة ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ سورة البقرة كما يأتي :

الأولى : سبع مرات في سورة البقرة ، منها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ

اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

الثانية : مرتان في سورة الأعراف .

الثالثة : مرة واحدة في كل من سورة ، المائدة ، الأنفال ، الإسراء ، الكهف ، طه ، النازعات .

وأخرج (عن ابن عباس قال : ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ما سأله إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض ، كلهن في القرآن ، منهن ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٢) ، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾^(٣) ، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَمَامِ﴾^(٤) و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾^(٥) ، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^(٦) ، و﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^(٧) ، ما كانوا يسألونك إلا عما كان ينفعهم)^(٨).

والمختار توجه مئات الأسئلة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل البيت وزوجاته وأصحابه ومن غيرهم ، إذ تتجلى معالم النبوة بالسؤال .

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) سورة البقرة ٢١٩.

(٣) سورة البقرة ٢١٧.

(٤) سورة البقرة ٢٢٠.

(٥) سورة البقرة ٢٢٢.

(٦) سورة الأنفال ١.

(٧) سورة البقرة ٢١٩.

(٨) الدر المنثور ١/٤٩٠.

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا لم يسأله أحد عن مسائل مخصوصة يبادر هو للسؤال عنها ثم الجواب عليها ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

قانون السؤال سبب للنزول

قد يكون سؤال المسلمين وغيرهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبباً لنزول آية قرآنية في موضوع عام أو خاص . من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قربه من الناس وإنصاته لهم ، وإجابته على الأسئلة ، وكثير منها لم يكن عند النبي لها جواب ، فينزل الوحي عليه ، لتتفع الأجيال من أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدليل ورود أجوبة أسئلة كثيرة في القرآن من عند الله بلفظ (قل) ، كما في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وهناك أسئلة كثيرة لم ترد في القرآن ، ولكن ورد ذكرها في السنة النبوية منها (عن معاذ بن جبل : أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان؟ قال : أن تحب الله وتبغض الله ، وتعمل لسانك في ذكر الله . قال : وماذا .

(١) سورة المائدة ٦٧.

(٢) سورة البقرة ١٨٩.

قال : وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره نفسك ، وأن تقول خيراً أو تصمت^(١).

وعن (معاوية بن حيدة القشيري : أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما حق المرأة على الزوج؟ قال : أن تطعمها إذا طعمت ، وأن تكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت)^(٢).
وهناك عدد من أسباب نزول الآيات يتعلق بأسئلة توجهت إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سواء من المسلمين أو غيرهم مثلاً (عن قتادة في قوله ﴿لَيْسَ الْبِرُّ...﴾ الآية).

قال : ذكر لنا أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر ، فأنزل الله هذه الآية ، فدعا الرجل فتلاها عليه .
وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ثم مات على ذلك يرجى له في خير ، فأنزل الله ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(٣) وكانت اليهود توجهت قبل المغرب والنصارى قبل المشرق ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾^(٤)^(٥).

واحياناً يأتي مصداق واقعي لمضامين الآية القرآنية ، و(عن إبراهيم التيمي : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فسكت حتى جاء رجل فأسلم ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى قاتل فاستشهد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا منهم من الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)^(٦).

(١) الدر المنثور ٣٠١/١ .

(٢) الدر المنثور ٥٥/٢ .

(٣) سورة البقرة ١٧٧ .

(٤) سورة البقرة ١٧٧ .

(٥) الدر المنثور ٣٤١/١ .

(٦) الدر المنثور ٩١/٤ .

و(عن عبد الله بن جرّاد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم : هل يزني المؤمن؟ قال : قد يكون ذلك .
 قال : هل يسرق المؤمن .
 قال : قد يكون ذلك .
 قال : هل يكذب المؤمن .
 قال : لا . ثم أتبعها نبي الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) ^(٢).

قانون الجواب النبوي حجة

جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة ودعوة للإيمان لأنه من الوحي.
 و(عن جابر قال : سأل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من اليهود يقال له بستان ، فقال : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها.
 فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هل أنت مؤمن إن أخبرتُ بأسمائها .
 قال : نعم .
 فقال : حرثان والطارق والذّيال وذو النقباب وقابس ووثاب وعمودان والمصبح والفليق والضروح وذو الفرغ)^(٣).
 وقد يأتي السؤال من قبل ملك ينزل من السماء ليتفقه المسلمون في أمور دينهم .
 و(عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه إذا جاءه رجل ليس عليه ثياب السفر يتخلل الناس حتى

(١) سورة النحل ١٠٥.

(٢) الدر المنثور ١٧٢/٦.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٤٢/٧ .

جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده على ركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ما الإسلام .

قال : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

قال : فإذا فعلت فأنا مؤمن .

قال : نعم .

قال : صدقت .

قال : يا محمد ما الإحسان .

قال : أن تخشى الله كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك .

قال : فإذا فعلت ذلك فأنا محسن .

قال : نعم .

قال : صدقت .

قال : يا محمد متى الساعة .

قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .

وأدبر الرجل فذهب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليّ بالرجل ، فاتبعوه يطلبونه فلم يروا شيئاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم^(١) .

وقريب منه عن أبي ذر يرفعه .



تأليف مجلدات عن الأجوبة النبوية

ولا بأس بتأليف مجلدات خاصة بالأسئلة التي وجهت إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأجوبته عليها وشرحها ، والإستدلال بها ، وموافقتها للقرآن ، في أبواب وفصول مستقلة مثل:

الأول : الأسئلة الموجهة من قبل المسلمين .

الثاني : الأسئلة الموجهة من قبل أهل الكتاب ، كما في أسئلة اليهود المتعددة له صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث : الأسئلة التي نزل بها الملك ليعلم المسلمون أمور دينهم.

الرابع : الأسئلة التي وردت في القرآن بلفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ولفظ

﴿قَالُوا﴾ ونحوه ليتولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجواب بالوحي والتزيل ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) ، ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا لَنْؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

الخامس : الأسئلة المكية قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة .

السادس : الأسئلة المدنية بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة .

(١) سورة آل عمران ١٦٨.

(٢) سورة آل عمران ١٨٣.

السابع : أسئلة أهل البادية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(و) عن أنس قال: جاء رجل من أهل البادية - وكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الله عليه وآله - فقال يارسول الله: متى قيام الساعة؟ فحضرت الصلاة.

فلما قضى صلاته قال: أين السائل عن الساعة .
قال : أنا يارسول الله .

قال : فما أعددت لها ؟ قال: والله ما أعددت لها من كثير عمل: صلاة ولا صوم، إلا أنني أحب الله ورسوله .
فقال له النبي صلى الله عليه وآله: المرء مع من أحب، قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشئ أشد من فرحهم بهذا^(١).

الثامن : توجه الأسئلة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص القرآن وإعجازه وبيان مضامين آياته .

التاسع : أسئلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس .

العاشر : أسئلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للملائكة .

(و) عن عمر مولى غفرة قال: سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبرئيل، فقال: إني أحب أن أعلم أمر السحاب، فقال جبرئيل: هذا ملك السحاب فاسأله، فقال: تأتينا صكاك مختمة: اسق بلاد كذا وكذا، وكذا وكذا قطرة^(٢).

الحادي عشر : طلب العفو من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإجابته بالإيجاب .

(١) البحار ١٣/١٧ .

(٢) البحار ٢٨٧/٥٦ .

الثاني عشر : الأسئلة الموجهة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص بر الوالدين وشؤون الأسرة.

وعن الصادق عليه السلام (قال: جاء رجل وسأل النبي صلى الله عليه وآله عن بر الوالدين فقال: ابرر أمك ابرر أمك ابرر أمك ، ابرر أباك ابرر أباك ، وبدأ بالأم قبل الأب)^(١).

الثالث عشر : الأسئلة للنبي حول الآيات الكونية .

الرابع عشر : الأسئلة للنبي بخصوص قصص الأنبياء .

الخامس عشر : الأسئلة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم التي صارت أسباباً لنزول آيات القرآن .

السادس عشر : أسئلة الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

السابع عشر : أسئلة أهل البيت وأزواج النبي له صلى الله عليه وآله وسلم .

الثامن عشر : الأسئلة بالواسطة ، التي ينقلها إليه غير السائل .

التاسع عشر : الأسئلة المكتوبة ، والأجوبة النبوية المكتوبة .

العشرون : الأسئلة عن الصلاة .

الواحد والعشرون : الأسئلة عن الزكاة .

الثاني والعشرون : الأسئلة عن الصيام .

الثالث والعشرون : الأسئلة عن الحج .

الرابع والعشرون : الأسئلة عن الخمس .

الخامس والعشرون : الأسئلة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الأوامر والواجبات العبادية .

السادس والعشرون : الأسئلة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن المستحبات .

السابع والعشرون : الأسئلة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن النواهي والمحرمات .

الثامن والعشرون : الأسئلة عن الشفاعة .

و(عن عوف بن مالك الأشجعي قال : عرس^(١) بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتش كل واحد منا ذراع راحلته وانتبهت بعض الليل فإذا ناقة للنبي ليس قدامها أحد فانطلقت أطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا معاذ بن جبل وعبد الله بن قيس قائمان فقلت أين رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا : ما ندري غير أنا قد سمعنا صوتا بأعلى الوادي.

فاذا مثل هدير الرحمن فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة.

فقلنا يا رسول الله نناشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل الشفاعة.

قال : إنكم من أهل شفاعتي .

فانطلقنا معا نستبق إلى الناس فإذا الناس قد فزعوا وفقدوا نبيهم. فقال : إنه أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة والشفاعة فاخترت الشفاعة.

قالوا : يا رسول الله نناشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك فلما أضبوا.

قال : أشهدكم أن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا^(٢).

(١) عرس بنا : أي نزلوا آخر الليل للإستراحة .

(٢) الطبراني / المعجم الكبير ٧٣/١٨ .

التاسع والعشرون : الأسئلة عن عالم الآخرة ، وأجوبة النبي عنها .

الثلاثون : ويمكن تقسيم الأسئلة إلى قسمين :

الأول : الأسئلة التي وردت أجوبتها في القرآن .

الثاني : الأسئلة التي وردت أجوبتها في السنة النبوية .

الواحد والثلاثون : الأسئلة وأجوبتها مما ورد في حديث متواتر أو حديث خبر الواحد .

وقد تجد أجوبة للعلماء في مجلدات مثل أجوبة السيد المرتضى عن المسائل الطرابلسيات ، والمسائل الرازية ، والمسائل الطبرية ، والمسائل الموصليات ، والمسائل الحليية ، وغيرها ، وثلاث مسائل بعنوان : المسائل التبانيات .

فمن باب الأولوية أن تؤلف المجلدات والرسائل الجامعية في أبواب متعددة تخص أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قوانين في أجوبة النبي (ص)

وفيها وجوه :

الأول : قانون موافقة أجوبة النبي محمد لآيات القرآن ، وهو علم مستقل .

الثاني : قانون أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي .

الثالث : قانون حاجة الأجيال لأجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل كانت الأسئلة التي توجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتوفيق من الله ، أما أنها على نحو الصدفة ، المختار هو الأول .

الرابع : قانون استنباط المسائل والأحكام من أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأسئلة التي توجه إليه من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

السادس : أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأسئلة معجزة له.

السابع : تجدد الشواهد على صحة أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثامن : قانون اقتباس العلوم والمسائل من أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

علم الإحصاء في الحديث النبوي

كما وردت مادة ﴿أَخْصَى﴾ في مواضع من القرآن فانها جاءت في الحديث النبوي لبيان قانون الحديث النبوي مرآة وتفسير للقرآن منها ما ورد في الحديث القدسي عن أبي ذر (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي. إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)^(٢).

و(عن الهروي عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه ، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً، من دعا الله بها استجاب له، ومن أحصاها دخل الجنة)^(٣).

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٧٧/٤.

(٣) البحار ١٨٧/٤.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لمعاذ بن جبل : كم تذكر ربك كل يوم ؟ تذكره كل يوم عشرة آلاف مرة ، قال : كل ذلك أفعل ، قال : أفلا أدلك على كلمات هن أهون عليك ، وهن أكثر من عشرة آلاف وعشرة آلاف مرة ؟ تقول : لا إله إلا الله عدد حصاه ، لا إله إلا الله عدد كلماته ، لا إله إلا الله عدد خلقه ، لا إله إلا الله زنة عرشه ، لا إله إلا الله ملء سماواته ، لا إله إلا الله ملء أرضه ، لا إله إلا الله مثل ذلك لا يحصيه محص : ملك ولا غيره^(١)).

والمراد هنا من الإحصاء العدد والحفظ والتوثيق وترتب الثواب عليه ، فلا يقف إحصاء الله عز وجل للأمور والأعمال عند العد والحساب إنما هي فاتحة الأجر والثواب وتوالي النعم ، والعفو والمغفرة .

وعن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يقولُ مَنْ طَافَ أَسْبُوعًا يُحْصِيهِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كَانَ لَهُ كَعْدِلِ رَقَبَةٍ)^(٢). وقد تقدم أن الإحصاء في الحديث لا ينحصر بكمال أداء الطواف ، إنما يشمل ذات الإحصاء والعد ، بسبعة أشواط ، تعاهاً لللسنة النبوية.

الإختفاء في دار الأرقم

يؤدي المسلمون في مشارق ومغارب الأرض الصلاة خمس مرات في اليوم ، ويصدح الأذان بالتوحيد وذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصفة الرسالة من عند الله ، ومع هذا يعلمون أنه اضطر للإختفاء في دار الأرقم بن أبي الأرقم من المشركين لبيان جهاده وصبره وسرية الدعوة مع نزول الوحي عليه .

(١) الاصبهاني / معرفة الصحابة ١٩٣/٢٢ .

(٢) مسند أحمد ٢٦٧/٩ .

و(الأرقم بن أبي الأرقم: واسمه عبد مناف بن أسد بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم يكنى أبا عبد الله).

قال ابن السكن: أمة تماضر بنت حذيم السهمية ويقال بنت عبد الحارث الخزاعية كان من السابقين الأولين قيل: أسلم بعد عشرة^(١).

وشهد الأرقم معركة بدر، وأحد، والمشاهد كلها، وأقطعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم داراً بالمدينة.

والأرقم من بني مخزوم، وهناك صحابي آخر اسمه الأرقم بن أبي الأرقم الزهري، وكان على بيت المال لعثمان بن عفان.

ويدرك المسلمون الأوائل مع قلتهم يومئذ أن القرآن ينزل عليه وأنه رسول الله من عند الله، ويرون المعجزات الحسية التي تجري على يديه والتي تصاحبه.

ليكون دار الرقم بن أبي الأرقم المخزومي مركز إنطلاق الدعوة الإسلامية.

ويقع دار الأرقم على جبل الصفا المطل على المسجد الحرام، وسميت فيما بعد دار الإسلام.

ولاختيار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدار الأرقم في الدعوة السرية، وعجز قريش عن اكتشاف وفود الصحابة لها كل يوم مع طول مدة إقامته فيها معجزة حسية له.

وفيها مسائل:

الأولى: علو جبل الصفا، وانعزاله عن حركة الناس اليومية.

الثانية: كان الأرقم شاباً يبلغ عمره نحو ثماني عشرة سنة، ولم يكن إسلامه معروفاً أو شائعاً، ولا يخطر على أذهان رؤساء الشرك أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يجعلها مركزاً للدعوة

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١١/١.

والتبليغ ، إذ كانوا يظنون أنه يقيم في دار أبي طالب ، أو أحد دور كبار الصحابة .

الثالثة : قرب دار الأرقم عن البيت الحرام ، فهي على نحو مائة متر منه .

الرابعة : وقوع دار الأرقم في منتصف المسافة بين المسجد الحرام ودار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في شعب أبي طالب ، فلا يقدر المشركون على رصد حركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فاذا خرج من البيت الحرام فكأنه يتوجه إلى داره .

الخامسة : إمكان الوافدين إلى مكة دخوله من غير إثارة شكوك مثل أبي ذر لقربه من المسعى بين الصفا والمروة .

وهل كان إختيار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدار الأرقم بالوحي أم إجتهداً منه ، الجواب هو الأول لعمومات قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(١).

ومن الشواهد على الإعجاز في هذا الإختيار سلامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مدة إقامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دار الأرقم .

وكان الصحابة يأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دار إقامته هذا ويتلو عليهم ما نزل من آيات القرآن ، وأحكام الشريعة ويتدارس معهم الأحوال العامة وشؤون أهل مكة وزوارها ، وينصت لشكواهم من أذى قريش لهم .

لتكون تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن وتعليمهم أمور دينهم خير مواساة ودعوة للصبر ، والتطلع إلى الفرج وحسن العاقبة .

ولما بلغ عدد الصحابة في دار الأرقم أربعين رجلاً خرجوا وكأنهم لم يعودوا يخشون كفار قريش فكبروا وطافوا بالبيت .

توثيق القرآن لإيذاء قريش للنبي (ص)

من السور المكية سورة العلق التي تبين أذى قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ووجوب ثباتهم على الإيمان ، وقرب بطش الله بالمشركين ، قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى *﴾^(١).

و(عن ابن عباس في قوله ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾^(٢)، قال أبو جهل بن هشام : حيث رمى رسول الله بالسلا على ظهره وهو ساجد لله عز وجل)^(٣).

و(كان علي بن الحسين عليه السلام إذا سافر صلى ركعتين ثم ركب راحلته، وبقي مواليه يتنفلون فيقف ينتظرهم ف قيل له ألا تنهاهم ؟ فقال: إني أكره أن أنهى ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾^(٤) والسنة أحب أحب إلي)^(٥).

ليان إنتفاع المسلمين من الآية القرآنية التي تضمن ذماً للذين كفروا.

وتسمى دار الأرقم التي على جبل الصفا دار الإسلام ، وجعلها الأرقم صدقة على ولده وكتب بها كتاباً (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قضى الأرقم في ربه ما حاز الصفا إنها محرمة بمكانها من

(١) سورة العلق ٩-١٢.

(٢) سورة العلق ٩-١٠.

(٣) الدر المنثور ٣٠٢/١٠.

(٤) سورة العلق ١٠.

(٥) البحار ٣٤/٨٤.

الحرم لا تباع ولا تورث، شهد هشام بن العاص وفلان مولى هشام بن العاص.

فلم تزل هذه الدار صدقة قائمة فيها ولده يسكنون ويؤجرون ويأخذون عليها حتى كان زمن أبي جعفر^(١).

وكانت هذه الدار مطلة على المسعى بين الصفا والمروة ، ف وقعت في نفس أبي جعفر المنصور ، وحينما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن (ذو النفس الزكية) كان عبد الله بن عثمان بن الأرقم ممن تابعه ، ولكنه لم يخرج معه ولم يحمل سيفاً.

(فتعلق عليه أبو جعفر بذلك فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجسه ويطرحه في حديد، ثم بعث رجلاً من أهل الكوفة يقال له شهاب بن عبد رب وكتب معه إلى عامل المدينة أن يفعل ما يأمره به، فدخل شهاب على عبد الله بن عثمان الحبس وهو شيخ كبير بن بضع وثمانين سنة وقد ضجر بالحديد والحبس .

فقال له : هل لك أن أخلصك مما أنت فيه وتبيعي دار الأرقم؟ فإن أمير المؤمنين يريدّها وعسى إن بعته إياها أن أكلمه فيك فيعفو عنك. قال: إنها صدقة ولكن حقي منها له ومعى فيها شركاء إخوتي وغيرهم، فقال: إنما عليك نفسك، أعطنا حقك وبرئت .

فأشهد له بحقه وكتب عليه كتاب شرى على حساب سبعة عشر ألف دينار ثم تتبع إخوته ففتنتهم كثرة المال فباعوه فصارت لأبي جعفر ولمن أقطعها ثم صيرها المهدي للخيزران أم موسى وهارون فبنتها وعرفت بها^(٢).

ثم تعاقب على شرائها جماعة حتى صارت جزءً من المسعى .

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٣/ ٢٤٣ .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٣/ ٢٤٣ .

(وقيل توفي الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي سنة خمس وخمسين بالمدينة وهو ابن بضع وثمانين سنة وكان قد أوصى أن يصلى عليه سعد بن أبي وقاص وكان بالعقيق فقال مروان أيجبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب وأراد الصلاة عليه فأبى عبيد الله بن الأرقم ذلك على مروان وقامت بنو مخزوم معه ووقع بينهم كلام ثم جاء سعد فصلى عليه^(١)).

سوء عاقبة أعداء النبوة

من خصائص النبوة وجود طائفة تعادي النبي ، وتجدد بنبوته ، وهذا الجحود من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة شدة ضعفاً.

ولاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أشد العداوة من الكفار ، فكان رجالات قريش يؤذونه وأصحابه في مكة قبل الهجرة ، وفرضوا حصاراً إجتماعياً واقتصادياً قاسياً على بني هاشم وبني المطلب لحملهم على تسليم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم ليقتلوه.

وعندما خاب سعيهم وأكلت حشرة الأرضة وثيقتهم التي علقت في الكعبة ، خططوا باتقان لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه فأمره الله عز وجل بالهجرة إلى المدينة في ذات ليلة الإغتيال إذ نزل جبرئيل بالأمر ، ليكون أوان الهجرة على نحو الدقة العقلية معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .
واشتد العداء والأذى على النبي وأصحابه بعد الهجرة .

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤١/١ .

ومن إعجاز القرآن كثرة آيات الإنذار والوعيد للذين كفروا ،
وشموله لأمر الدنيا وأهوال الآخرة ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَّاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(١).

ولم يرد لفظ (تعسا) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، والتعس
مصدر معناه السقوط والبعد والعتار ، وقال الشاعر :

(يا سيدي إن عثرت خذ بيدي ... ولا تقل : لا ، ولا تقل تعسا)^(٢).

ومن الآيات إبتلاء الكافر بضيق الصدر والكآبة الخفية التي قد
تصدر في عالم القول والفعل .

ولم يرد لفظ (ضيقاً) في القرآن إلا مرتين :

الأولى : إرادة الحالة النفسية للكافر ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُرِدْ
أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ
الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

ولا تدل الآية على إرادة إضلال الإنسان ابتداءً من عند الله ،
إنما في الآية حذف ، وهو إختار الكفر فترتب عليه الضلالة كعقوبة
عاجلة ، ولنع الناس من الإفتتان به.

الثانية : سوء عاقبة الذين كفروا في النار ، إذ قال تعالى ﴿وَإِذَا أُلْقُوا
مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ بُرُورًا﴾^(٤) ، ولا يحصي طرائق وسبل
الإبتلاء التي تصيب الكفار مجتمعين ومتفرقين إلا الله عز وجل ، فان
قلت إن الإبتلاء يصيب المؤمنين أيضاً ، الجواب من جهات :

(١) سورة محمد ٨.

(٢) المحرر الوجيز ١٣٠/٦ .

(٣) سورة الأنعام ١٢٥.

(٤) سورة الفرقان ١٣.

الأولى : التباين الموضوعي في الإبتلاء بين المؤمنين والكفار .

الثانية : سرعة زوال ابتلاء المؤمنين وإيجاد سبل النجاة منه .

الثالثة : تحلي المؤمنين بالصبر في تلقي البلاء ، وهو من مصاديق التخفيف ، قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(١).

الرابعة : الأجر والثواب العظيم للمؤمنين على الإبتلاء ، وسوء عاقبة الذين كفروا بعد الإبتلاء .

استهزاء قريش بالنبوة

تتعدد الشواهد اليومية لتجاهر قريش بالسخرية من التنزيل والنبوة ، فمثلاً كان (الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو ابن خال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان من المستهزئين ، وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى)^(٢).

لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول لقريش إن الله عز وجل سيفتح له كنوز كسرى .

وكانه يقول كيف يقدر هؤلاء الأفراد الفقراء إزاحة ملك كسرى مع قوته وعشرات الآلاف من رجاله ، ولم يكتف الأسود بالسخرية من الصحابة الأوائل ، بل كان يسخر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا لاقاه إذ يقول له : أما كلمت اليوم من السماء يا محمد .

وفي قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(٣) ، كان الرجل من العرب يعبد الحجر ، وإذا رأى أحسن منه استبدله .

(١) سورة النساء ٢٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ١/ ٢٦٢ .

(٣) سورة الفرقان ٤٣ .

وكان (الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي، كان أحد المستهزئين الذين يؤذون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو ابن الغيطلة، وهي أمه، وكان يأخذ حجراً يعبده، فإذا رأى أحسن منه ترك الأول، وعبد الثاني. وكان يقول: قد غر محمد أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا إلا الدهر)^(١).

وقيل أن الآية أعلاه نزلت فيه، ولكن موضوعها أعم. لقد اتخذ الذين كفروا السخرية سلاحاً، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾^(٢).

وقامت قريش بتجهيز الجيوش لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد رزقهم الله عز وجل الجاه بين القبائل وعند الروم والفرس، مع كثرة الأموال، وإبل التجارة، فمثلاً كانت قافلة أبي سفيان التي أدعي أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أراد الاستيلاء عليها تتألف من ألف بعير، وموقرة بتجارة من خمسين ألف دينار ذهب ليس معها إلا أربعين رجلاً.

وفي كتيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بواط في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة مرت غير لقريش برئاسة أمية بن خلف، وفيها ألفان وخمسمائة بعير محملة بالبضائع، وليس معها إلا مائة رجل. وكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائتان من الصحابة لو شاء لاستولى على القافلة بسهولة.

(١) الكامل في التاريخ ١/٢٦٢.

(٢) سورة المطففين ٢٩-٣٣.

وهو من الشواهد على عدم تعرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقافلة أبي سفيان التي صارت ذريعة لمعركة بدر .
ولم يقع قتال ، ولم يغز النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أحداً لذا يقال (فرجع ولم يلق كيداً) ^(١).

ففي معركة بدر كان عدد الصحابة في الميدان أقل من ثلث جيش المشركين ومع هذا انتصر المسلمون فمن باب الأولوية إذا كان عددهم ضعف عدد المشركين أن يهزم موهم لبيان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطمع بمال ، إنما كان يدعو الناس لكلمة التوحيد.

وقبل الهجرة نزلت سورة قريش وهي خاصة بهم ولكنها عبرة للقبائل الحليفة لها ، وموعظة لأجيال الناس المتعاقبة وتتضمن مصاديق متعددة للرحمة الإلهية لقريش ، وفضل الله عليهم ، قال تعالى ﴿إِلَافٍ قُرَيْشٍ * إِبْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ^(٢).

ومن معاني (ليعبدوا الله) التصديق بنزول القرآن ونبوة محمد ، ولكنهم اختاروا الإقامة على الكفر وعبادة الأصنام ، وجهزوا الجيوش لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

قانون النبي محمد (ص) رسول

لقد بين الله عز وجل وظائف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس وأنها رحمة ورأفة بهم جميعاً والإختلاف في مقدار الإنتفاع من هذه الرحمة ، واستجابتهم للأوامر والنواهي ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٣).

(١) الكامل في التاريخ ٢٧٩/١ .

(٢) سورة قريش ١-٣ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

ولا تختص هذه الحرمة بأيام التنزيل إنما هي متجددة إلى يوم القيامة ، فلذا قال تعالى ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لبيان أن رسالته رحمة لكل من :

الأول : المسلمون .

الثاني : أهل الكتاب .

الثالث : الكفار .

وليس المقصود من الكفار هنا الذين تابوا ودخلوا الإسلام بل المقصود الذين بقوا على الكفر أو توارثوه من آبائهم ، إذ يتفعون من الرحمة العظمى لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ، ومن مصاديق هذه الرحمة إنقطاع عبادة الأوثان في الأرض .

إحصاء إخوة النبي (ص) من الرضاعة^(١)

لقد ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أخوة له من الرضاعة ليكون هذا الذكر والبيان تفسيراً للآية التي تتضمن نشر الحرمة بالرضاعة كما في قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَمِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢).

وأخوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة هم :

(١) قد تقدم مثل هذا الموضوع في الجزء ٢٢٧ من هذا السفر .

(٢) سورة النساء ٢٣ .

الأول : حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، و(عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي (عليه السلام) قال : قلت يا رسول الله مالك تنوق في قريش وتدعنا . قال : وعندك أحد .

قلت : نعم بنت حمزة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنها لا تحل لي إنها ابنة أخي من الرضاعة^(١).

والتي أرضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمه حمزة هي ثوية مولاة لأبي لهب .

الثاني : أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ، وهو ابن عمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم برة بنت عبد المطلب .

وعن (أم حبيبة قالت: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان -وفي لفظ لمسلم : عزة بنت أبي سفيان . قال : أو تحبين ذلك .

قالت : نعم ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيةَ ، وأحب من شاركني في خير أختي.

قال : فإن ذلك لا يحل لي .

قالت : فإننا نحدثُ أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة.

قال : بنت أم سلمة .

قالت : نعم.

قال : إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حَلَّتْ لي ، إنها لبنت أخي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثوية فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن.

وفي رواية للبخاري : إني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت لي^(١).

(١) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ٢٨٠ .

وأبو سلمة من السابقين هاجر إلى الحبشة ، ثم شهد بدرأً وجرح في معركة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، والتأم جرحه ، ثم انفجر عليه ، فمات في شهر جمادى الآخرة من السنة الرابعة للهجرة .

وتزوج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعده زوجته أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية والتي روت نحو (٣٧٨) حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحاديث عائشة (٢٢١) حديثاً منها (١٧٤) متفق عليها .

الثالث : مسروح ابن ثوية مولاة أبي لهب ، وأسلمت ثوية ، ولم تهجر ، وماتت بعد صلح الحديبية .

الرابع : الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى ، وقيل اسمها حذافة ، والشيماء لقبها ، وكانت توركه مع أمها حليلة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ أنها تكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بست سنوات ، ووقعت شيماء في الأسر عند المسلمين يوم حنين مع سبايا قومها من هوازن ، وقد عنف بها المسلمون في الطريق فقالت لهم (تعلمون والله إنى لاخت صاحبكم من الرضاعة.

فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبيد السعدى - هو أبو وجزة - قال: فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله إنى أختك من الرضاعة . قال : وما علامة ذلك .

قالت : غضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك .

قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال : إن أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعني إلى قومك فعلت .

قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي .

فتمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها إلى قومها ، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية^(١) .

وأسلمت الشيماء ، واعتق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جميع سبايا هوازن وثقيف .

الخامس : عبد الله بن الحارث ابن حليمة السعدية .

السادس : أنيسة بنت الحارث ابنة حليمة السعدية .

خبر لا أصل له

هناك رواية بأن أبا طالب جعل الله له ثدياً فرضع منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن جاءت حليمة السعدية فدفعه إليها .

وهي رواية ساقطة دلالة وسنداً فيها ثلاثة لم يوثقوا ، منهم علي بن المعلّى وأخوه محمد ، ودرست بن أبي منصور من الواقعة .

كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وعمر النبي ثمان سنوات .

إنما رضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ثدي ثوية مولاة أبي لهب ، وكان حمزة بن عبد المطلب أخاه من الرضاعة .

لذا لما ذكرت ابنة حمزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أما علمت أنها ابنة أخي من الرضاعة ، وأشكل بعدم إمكان اشتراكهما في الرضاعة وأبي سلمة بلبن ابنها مسروح ، للتباين في العمر بين حمزة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث سنوات ،

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦٨٩/٣ .

إلا أن يقال الفارق سنتين وأرضعت حمزة في أول أيام ولادته وأرضعت النبي في آخر أيامه.

ولا تصل النوبة لعموم المنزلة في الرضاعة ، إنما تتحقق الأخوة في الرضاعة وتنشر الحرمة مع اتحاد الفحل وإن كان مع تفاوت المدة كما لو أرضعت الأم زيدا مع ولدها حسن ، وأرضعت هدى مع ابنها حسين ، من ذات الزوج ، فتحرم هدى على زيد .

أما ما ورد عن فاطمة بنت أسد أنها قالت (كنت مريضة فكان محمد يمص عليا لسانه في فيه فيرضع بإذن الله) (١).

فلا يتعلق بأحكام الرضاعة بوجوب مص المرتضع من ثدي .

ويدل زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء وامتناع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الزواج من بنت حمزة على صحة زواج الإمام علي وعدم وجود رضاع ينشر الحرمة في البين ، إلى جانب العصمة.

وما رضا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا النكاح المبارك ومباركة جبرئيل إلا من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣).

إنما الأخوة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي أخوة الإيمان ، والمراد من المنزلة هي الولاية ، وقد وصف القرآن الإمام علي عليه السلام أنه نفس رسول الله ، قال تعالى ﴿فَنَسُ

(١) البحار ٣٨/٣١٨ .

(٢) سورة النجم ٣-٤ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ .

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾.

أسباب الهجرة إلى الحبشة

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هجرة رهط من أصحابه إلى الحبشة بدينهم ، وكان عدد المهاجرين الأوائل أحد عشر رجلاً وأربع نسوة هاجروا في شهر رجب من السنة الخامسة للهجرة (٢) (٣).

ترى لماذا هاجروا إلى هذه البلاد البعيدة ذات الديانة السماوية ، فيه مسائل :

الأولى : إزدیاد إيذاء قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الثانية : قيام بيوتات وقبائل قريش بإيذاء ابنائهم الذين دخلوا الإسلام وسجنهم ، وإكراههم على الإفتان والردة .

الثالثة : قانون الحاجة إلى نجاة المسلمين الأوائل في دينهم لمنع الفتنة والريب ، قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

الرابعة : قانون حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سلامة المسلمين في أنفسهم ومنع إيذائهم أو قتلهم كما تجلّى في عزم رؤساء قريش على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في

(١) سورة آل عمران ٦١.

(٢) هذا اليوم هو الخامس والعشرون من شهر رجب سنة ١٤٤٥هـ ومن جوار أمير المؤمنين عليه السلام اكتب هذه السطور .

(٣) أنظر الجزء السادس والتسعين بعد المائة من هذا السفر.

(٤) سورة آل عمران ١٣٩.

فراشه ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

ليان شدة بطش قريش بالصحابة الأوائل أيضاً ، ومن الشواهد عليه الحصار الإقتصادي والاجتماعي الذي فرضته قريش على أهل البيت بعد هجرة رهط من الصحابة إلى الحبشة بستتين إذ ابتداء الحصار في السنة السابعة للهجرة .

لذا فمن أسباب الهجرة إلى الحبشة النجاة من القتل .

قانون هجرة الحبشة سد للذرائع

من مصاديق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إزدياد عدد الذين يدخلون الإسلام كل أسبوع سراً وعلانية ومنذ السنين الأولى للدعوة ، أما في السنين الأخيرة فقد نزل القرآن شاهداً بقوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(٢).

ومن معاني سد الذرائع ترك الفعل المباح والخالٍ من المفسدة إذا كان يؤدي إلى مفسدة وأمر محذور وضرر خاص أو عام ومنه بقاء الصحابة في مكة بجوار البيت الحرام وبقرب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسمعون ما ينزل من القرآن ويتلقون أحكام الشريعة من في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن من الهجرة إلى عالم مجهول ، ولكن تركت هذه الإقامة سداً للذرائع قريش ، ودفعاً للفتنة .

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة النصر ١-٢.

ومن أمثلة الذرائع قوله تعالى ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١)، فكان المسلمون يقولون راعنا يا رسول الله من المراجعة فرغ سمعك لكلامنا وليسعنا حلمك. ولكن معنى هذه الكلمة عند يهود المدينة : اسمع لا سمعت ، فنهى الله عز وجل المسلمين عن قولها سداً لذريعة المشابهة اللفظية. وفي باب مناسك الحج حرمة استعمال الطيب على المحرم لما فيه من دواعي ومقدمات الإفتتان .

ولقد رأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شدة إيذاء قريش لأصحابه ، وإزدیاد هذا الأذى طردياً مع كل من : الأول : توالي نزول آيات القرآن ، ومنها ما يتضمن ذم الذين كفروا وعبادتهم للأوثان وانقطاعهم للدنيا ، قال تعالى ﴿يُلْكَلُّ هُمْزَةُ لُْمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلَعُ عَلَى الْأَقْفِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ * فِيهِ عَمَدٌ مُّمدَّدةٌ﴾^(٢).

الثاني : إزدیاد عدد المسلمين ودخول الإسلام إلى بيوت رؤساء الشرك من قريش باسلام ابنائهم وبناتهم ومواليهم ، ليسمعوا القرآن يتلى في بيوتهم وكأنه مرآة لتلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في المسجد الحرام اثناء الصلاة .

الثالث : ثبات المسلمين الأوائل في مقامات الإيمان .

الرابع : كثرة الشباب بين المسلمين الأوائل .

(١) سورة البقرة ١٠٤.

(٢) سورة الهمزة ١٠٨.

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الظَّالِمِينَ﴾^(١) ، أم أن القدر المتيقن من الآية أعلاه ما يقذفه الله من الرعب في قلوب المشركين من غير سبب من البشر .

المختار هو الأول ، فكثرة المسلمين الأوائل وثباتهم على الإيمان ، وكون أكثرهم من فئة الشباب فضل من عند الله ، ومعجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسبب لنفاذ الرعب إلى قلوب ومجتمع المشركين ، مع أنهم كانوا يقومون بضرب وإهانة الصحابة . فصاروا يخططون للانتقام من الصحابة الأوائل خصوصاً المستضعفين منهم ، ولا بد أن خططهم تصل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه (تفرقوا في الأرض فان الله تعالى سيجمعكم قالوا إلى أين نذهب قال إلى ها هنا وأشار بيده إلى أرض الحبشة فهاجر إليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه حتى قدموا أرض الحبشة)^(٢) .

فان قلت قد أدت هجرة رهط من الصحابة إلى الحبشة إلى إزدياد أذى قريش إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت على نحو الخصوص لاسيما وأن حصارهم لبني هاشم بدأ بعد سنتين من هجرة المسلمين الأوائل ، الجواب نعم .



(١) سورة آل عمران ١٥١ .

(٢) عيون الأثر ١/ ١٥١ .

إحصاء منافع هجرة الحبشة

لقد امتازت قريش من بين قبائل العرب بتولي شؤون التجارة الدولية لوجوه :

الأول : التيسير من الله عز وجل .

الثاني : قوانين بركة جوار البيت الحرام .

الثالث : هذه التجارة مقدمة لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : وجوب التصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : الصبغة الدولية لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لذا جاء إرساله من عند الله بصيغة الماضي ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(١).

السادس : إكرام الله عز وجل لجوار البيت الحرام .

السابع : حاجة وفد الحاج للتسوق ، والبيع والشراء لذا اتخذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سوق عكاظ والمنجة ونحوها من أسواق مكة مناسبة ومحلاً لدعوته إلى الله وتبليغ الناس الرسالة.

ولم تكن تجارة قريش منحصرة باليمن في الشتاء والشام في الصيف ، فمن إعجاز القرآن الإطلاق وعدم التقييد والحصر ببلاد مخصوصة ، قال تعالى ﴿إِلَيْكَ قُرَيْشٌ * إِلَيْكَ رَحْلَةُ الشَّاءِ وَالصَّيْفُ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(٢).

(١) سورة سبأ ٢٨.

(٢) سورة قريش ١-٣.

ليان مسير قوافل قريش في أيام السنة كلها ، والوصول إلى البلاد البعيدة والنائية ، ومنها رحلة اليمن لجلب العطور والسيوف والأحجار والخير من بلاد الهند وما خلفها كالصين.

ورحلة قريش إلى بلاد الشام لجلب الحبوب ونحوها من المحاصيل الزراعية والأقمشة والذهب والفضة.

وكذا تشد قريش الرحال إلى الحبشة للتجارة في البحر بدليل أن الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة خرجوا من مكة سرّاً بين راكب وماش ، وعندما وصلوا إلى الشعيبة وهي الميناء على البحر الأحمر آنذاك قريباً من جدة التي انشئت فيما بعد أيام عثمان وجدوا سفينة تجارية تريد أن تبحر إلى الحبشة .

(وروى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب ، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة)^(١).

فأجرة نصف دينار لكل واحد منهم .

لقد أقلعت السفينة حالماً ركب فيها الصحابة المهاجرون وكأنها على موعد بانتظارهم ، وقيل كانتا سفينتين .

وما أن علم رجالات قريش بتوجه هؤلاء النفر من الصحابة إلى الحبشة حتى خرجوا من مكة للحاق بهم ، وإعادتهم قهراً إلى مكة لمعرفتهم بمنافع هذه الهجرة في بناء صرح الإسلام دولياً ، ولكنهم ما أن وصلوا إلى ميناء الشعيبة تفاجأوا بركوب الصحابة البحر حال وصولهم للميناء من غير تأخير ولو ساعة واحدة خلافاً للمتعارف بأن السفينة التجارية ، وكذا الوسائط التجارية حتى في هذا الزمان كالسيارات والبواخر تترث وتنتظر الركاب والحمولة.

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٣/٢ .

لتكون نجاة الصحابة من بطش قريش من المعجزات الغيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولتكون نجاتهم مقدمة لخروج جماعة من الصحابة من مكة .

لقد كان هؤلاء الصحابة أول سفراء الإسلام ، وفازوا بسلامة دينهم ، ورأوا الإكرام من قبل النجاشي ، كما وصفت الحال أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة التي تزوجها فيما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ (قالت: لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا خير جار النجاشي، آمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم، أن يبعثوا إلينا رجلين جليدين، وأن يهدوا إلى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقه بطريقا إلا أهدوا له هدية وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم)^(١).

ومن منافع ضرب قريش للتجارة بين البلدان ومنها الحبشة معرفة أحوال الملوك وحاشيتهم وكيفية التقرب إليهم ، وسؤالهم ، فبعثت قريش رجلين من أهل الدهاء هما :

الأول : عمرو بن العاص .

الثاني : عبد الله بن أبي ربيعة .

وهل تختص منافع هجرة الحبشة بذات الواقعة ورجالاتها ، ونسائها ، الجواب لا ، فهذه المنافع متعددة ومتصلة وهي مقدمة لهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى المدينة ، وتجدد مصاديق الهجرة بالدين والإيمان في كل زمان لبيان قانون إختصاص حصر منافع هجرة الحبشة بالله عز وجل وحده .

(١) تفسير ابن كثير ٢٩٠/٦ .

تأريخ الذين ولدوا في الحبشة

من معجزات القرآن خروج الصحابة وزوجاتهم مهاجرين إلى الحبشة ، ولم تتخلف زوجات بعضهم عنهم ، بل خرجن من مكة مؤمنات ، وكن من بيوتات قريش ، وهو من أسرار خروجهم سراً من مكة إلى ميناء الشعبية على البحر الأحمر ، وعن جدة ٧٥ كم ، ويعد عن مكة (٩٠) كم أي مع بعده عن جدة فإن المسافة بينه وبين مكة قريبة من المسافة بين مكة وجدة.

التي هي (٧٩) كم ، بلحاظ خط سير القوافل ، المستقيم بين مكة والشعبية.

وهل خرجت النسوة تبعاً لأزواجهن المهاجرين ، الجواب إنما خرجن باسلامهن ، وهو فضل وجهاد للمسلمات الأوائل ، فأنعم الله عز وجل عليهم في الحبشة بأداء الفرائض العبادية وتلاوة القرآن والتدبر في آياته يسر وأمن ولا يعلم كيف كانت المشاق في معيشتهم وسبل التخفيف الذاتية والغيرية إلا الله سبحانه .

ولكن من قوانين الهجرة في سبيل الله تيسير الرزق ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).



إحصاء منافع معجزات الأنبياء

من مصاديق قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، نزول الوحي والأمر من عند الله عز وجل إلى الأنبياء ، وجريان المعجزة الخارقة على أيديهم ، وكل معجزة لطف من عند الله بالنبي وقومه.

ثم صارت هذه المعجزة ميراثاً للأجيال المتعاقبة بذكرها وتوثيقها في القرآن الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ﴾^(٢).

ولا يحصي معجزات الأنبياء ومنافعها إلا الله عز وجل ، إذ أن عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ، ومن الأنبياء من جرت على يديه أكثر من معجزة ، كما أن المعجزة الواحدة قد يتكرر وقوعها ويكثر الذين يشهدون عليها ، وينتفعون وينفعون بها .

ومنها ما تعدد وظائفها ، ومنها عصا موسى عليه السلام ، وفي التنزيل ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾^(٣).

وكان موسى عليه السلام يتكئ على عصاه حينما يمشي ، ويتحامل عليها عندما يقف اثناء رعي الأغنام ، ويهش بها الأغنام ، ويحرك بها الشجر لتساقط الثمار والأوراق فيأكل هو ، وتأكل الأغنام.

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) سورة فصلت ٤٢.

(٣) سورة طه ١٧-١٨.

وهل المآرب الأخرى في الآية أعلاه معجزات لموسى عليه السلام ، المختار هي أعم ، وهو الذي يدل عليه نظم الآيات ، وقد ذكرت المعجزة من الآية التالية ﴿قَالَ أَفَهِيََا مُوسَى * فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(١) ، ولا يعني هذا ابتداء معجزة العصا.

ولا يحصي منافع معجزات الأنبياء إلا الله وحده ، وشاء الله أن تكون بنزول القرآن متجددة كل يوم ، ومنها :

الأول : بيان مصاديق لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

الثاني : حب وإكرام الله للأنبياء وبيان المائز بينهم وبين عامة البشر ، وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَنْكَرُ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣).

الثالث : قانون الصلة والقرب بين السماء والأرض ، إذ يدل الوحي والمعجزة على عدم وجود ثمة مسافة بين السماء والأرض .

الرابع : إقامة الحجّة على الناس جميعاً بالمعجزة ، ولا يحصي أفراد الحجّة بمعجزات الأنبياء إلا الله عز وجل .

الخامس : قانون المعجزة سبيل هداية للناس .

السادس : بيان إتحاد سنخية النبوة ، والجامع المشترك بينهم .

السابع : التخفيف من عند الله عز وجل عن الأنبياء والناس بالمعجزة ، فهي حجة وبرهان ولها لسان وشفقتان .

(١) سورة طه ١٩-٢٠.

(٢) سورة فاطر ١.

(٣) سورة الكهف ١١٠.

الثامن : قانون المعجزة دعوة سماوية للإيمان بالغيب ، وفي الثناء على المتقين ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾^(١).

التاسع : قانون جذب الناس إلى مقامات الإيمان بالمعجزة الحسية والعقلية.

العاشر : قانون توثيق المعجزة الحسية بالمعجزة العقلية ، فقد أراد الله عز وجل حفظ معجزات الأنبياء بالقرآن ، وسلامته من التحريف

وليكون من معاني الحفظ في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) ، حفظ موثيق ومعجزات الأنبياء بالقرآن ، وحفظ قواعد انتفاع المسلمين والناس جميعاً من معجزات الأنبياء السابقين بسلامة القرآن من التحريف.

ومن إعجاز القرآن نزول عدد من الآيات بخصوص قصص ومعجزات الأنبياء لينهل منها الملايين من المسلمين وغيرهم المواعظ والعبر ، ويتخذوا منهاج سيرتهم ضياء ونبراساً في العمل الصالح.

منافع علم مقدمات النبوة

لا ينحصر علم مقدمات النبوة بالرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل يتضمن مقدمات نبوة الانبياء الآخرين بحسب الآيات كما في صفة ولادة موسى وعيسى عليهما السلام ، والأخبار الواردة في السنة النبوية عن سيرة وقصص الانبياء ، مع ايجاد الجامع في المقدمات بين الانبياء واستتباط الدروس والمسائل الكلامية واستقراء ذخائر الآيات في هذا العلم الشريف الذي يؤكد العناية

(١) سورة الأنبياء ٤٩.

(٢) سورة الحجر ٩.

الالهية بالنبي من ساعة ولادته بل قبل ان يولد، لان الله سبحانه يتعاهده في الأصلاب والأرحام الطاهرة.

ومن منافع هذه الآيات ومقدمات النبوة مجمعة ومتفرقة أمور :

الأول : قانون وجوب التصديق بالرسالة الخاتمة .

الثاني : قانون الزجر العام عن الكفر والجحود بالنبوة .

الثالث : قانون الإنذار من محاربة وقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : قانون خسارة وخيبة وخزي الذين يحاربون الأنبياء ،

قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

خَائِبِينَ^(١).

الحجج الغيرية للنبوة

من أسماء الله اللطيف ، وهو سبحانه لطيف بخلقهم مجتمعين ومتفرقين ، وفي التنزيل ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^(٢).

ومن لطف الله عز وجل في الآية أعلاه مجئ الرزق والمرزوق على نحو التنكير ، والذي يفيد الإطلاق والعموم ، إطلاق أفراد ومصاديق الرزق ، وعموم الذين يرزقهم الله ، وفيه دعوة للناس للإيمان وسؤال الرزق الوفيير من عند الله ، وفي مريم عليها السلام ومجئ فاكهة الشتاء لها في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿قَالَتْ هُوَ مَن عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) سورة الشورى ١٩.

(٣) سورة آل عمران ٣٧.

والحجج الغيرية للنبوة على أقسام :

الأول : رشحات اللطف الإلهي بخلافة الإنسان في الأرض ،
فيكون تقدير قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) ، أي
أرزقه وأمده بمستلزمات الخلافة ، وتعاهدها ، ولا يحصي مصاديق
هذا المدد إلا الله عز وجل ، لذا لم يعلم كفار قريش أنهم إذا قاتلوا
النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ينزل الملائكة لنصرته .
وفيه لطف من الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم
والمؤمنين وبالمشركين وابنائهم أيضاً .

الثاني : أسباب الهداية والرشاد والصلاح واستدامتها بين
الناس .

الثالث : سبق تمادي الناس في المعاصي ، وعبادة الأوثان ،
وقانون حاجة الناس لرسالة السماء ، وتطلع طائفة منهم إلى سبيل
للهداية والرشاد ، لذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه
قال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٢) .

الرابع : منها البشارات ببعثة خاتم النبيين في الكتب السماوية
السابقة ، وعلى لسان الأنبياء السابقين ، وورد حكاية عن عيسى
عليه السلام في التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ﴾^(٣) .

ومن مصاديق الحاجة إلى رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) المحرر الوجيز ٦/٣٩٤ .

(٣) سورة الصف ٦ .

وسلم طول الفترة بين رسالة عيسى عليه السلام وبين رسالته ، إذ استمرت نحو ستمائة سنة ، عبد فيها كثير من الناس الأصنام ، وشاع الغزو وسفك الدماء بينهم ، وأصابهم الجوع والفاقة ، وأستعبد كثير من الناس بغير حق ، وانتشر وأد البنات ، قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(١).

فكانت رسالة النبي محمد حاجة للناس جميعاً ، القوي والضعيف ، والقبائل والأمم . ولا يحصي حاجة الناس لرسالته في زمانها والأزمنة اللاحقة إلا الله عز وجل لبيان قانون تحلف الخلائق عن إحصاء مصاديق اللطف الإلهي ، وفي التنزيل ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

المعجزة الحسية والعقلية

لقد جمع الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعجزة الحسية والعقلية ، وفيه دعوة جلية وعامة للتصديق بنبوته ، ومن الشواهد على إجتماع المعجزة الحسية والعقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورود لفظ (اتبعوه) في القرآن على قسمين :

الأول : اتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سنته ومعجزاته القولية والفعلية ، قال تعالى ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣).

الثاني : اتباع القرآن وأحكامه ، قال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

(١) سورة التكويد ٨.

(٢) سورة الملك ١٤.

(٣) سورة الأعراف ١٥٨.

ليان اتباع المعجزة العقلية والمعجزة أمر خارق للعادة يجريها الله عز وجل على أيدي الأنبياء ، وينقضي أوان المعجزة الحسية بفعلها وكثير منه ما يكون لساعة ونحوها مثل نجاة إبراهيم من النار ، وفي التنزيل ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢).

ولكن أثر ونفع المعجزة الحسية يستمر كما في سلامة إبراهيم عليه السلام ، وبقائه حياً بعد حادثة الحرق ، وإعادته لبناء البيت الحرام ، إذ قال تعالى ﴿يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

ومنها ما يأتي المصداق الفعلي للمعجزة بعدها كما في إخبار عيسى عليه السلام بني إسرائيل بما يدخرون ، وفي التنزيل ﴿وَأَنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ﴾^(٤).

وكان عيسى عليه السلام يقول للغلام الذي معه في الكتاب إن أهلك خبأوا لك كذا وكذا .

وجاءت المعجزة العقلية وهو القرآن ليوثق معجزات الأنبياء إلى يوم القيامة ، وهذا التوثيق عون ومدد للمسلمين والمسلمات بالتصديق بجميع الأنبياء والمرسلين ، ومنها مثلاً تكليم الله عز وجل

(١) سورة الأنعام ١٥٥.

(٢) سورة الأنبياء ٦٨-٦٩.

(٣) سورة البقرة ١٢٧.

(٤) سورة آل عمران ٤٩.

لموسى عليه السلام قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١)، ولا يعلم كيفية كلام الله لموسى إلا الله سبحانه .

ومنها آية ناقة صالح ، وتجلي المعجزة الحسية فيها كل يوم ، ومع هذا أقدم قومه على عقرها ليعجل الله عز وجل لهم العذاب ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾^(٢).

وفيه دعوة للمسلمين والناس بقبول معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحصي الذين اهتدوا للإيمان بمعجزات الأنبياء الحسية ، وبثبوتها في القرآن إلا الله عز وجل .

تعاهد المسلمين للزكاة

الزكاة لغة هي النماء والزيادة ، وفي الإصطلاح اخراج مقدار من مال مخصوص إذا بلغ نصاباً بتمام الملك والحول ، وهذا من الإعجاز للتضاد الظاهري بين المعنى اللغوي والإصطلاحي للزكاة فمع أنها قطع جزء من المال ودفعه للفقراء فانها تسمى زكاة .
ليان الوعد من عند الله عز وجل بأن يخلف مال الزكاة والخمس ، ويجعل في المال المتبقي النماء والبركة .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية إقبال المسلمين على دفع الزكاة بقصد الطاعة والقربة إلى الله عز وجل .

لقد فرض الله عز وجل الزكاة القليلة في مال أغنياء المسلمين لتدفع إلى الفقراء ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ

(١) سورة النساء ١٦٤.

(٢) سورة الشمس ١٤.

وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

ومع أن التذكير في الآية أعلاه شامل للرجال والنساء ، فقد ورد الأمر بالزكاة بصيغة المؤنث بقوله تعالى ﴿وَاتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَظْنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٢).

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخول أهل مكة الإسلام وتولي عدد من الذين أسلموا يوم الفتح الإمارة ، ورئاسة السرايا ، وجمع الزكوات ، وحسن أدائهم ، ولا عبرة بالقليل النادر .

ليصبحوا وبنائهم من أصحاب الأموال ، ومن يخرج الزكاة من ماله ، قربة إلى الله تعالى ، ويجو الأجر والثواب الذي لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله عز وجل وحده .

وهل إخراج الزكاة من الإنفاق في سبيل الله ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿سَلِّطُوا الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا مَثَلُ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣).

نعمة إيلاف قريش

لقد أهلك الله عز وجل أبرهة وجنوده الزاحفين لهدم البيت الحرام لتتعاهد قريش سنن إبراهيم في التوحيد ، ويصدقوا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجامعة للشرائع لتدوم عليهم

(١) سورة التوبة ٦٠.

(٢) سورة الإحزاب ٣٣.

(٣) سورة البقرة ٢٦١.

النعم الذي تجلى بقوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ * إِيْلَانِهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ *
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿١﴾.

ولكنهم اتخذوا الكفر وعبادة الأوثان منهاجاً يومياً ، واقتدى بهم رجال القبائل والأعراب ، فخرجوا معهم لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم واضطر هذا الخروج رجالاً قريش للقيام بتوفير الظهر والمؤون والأسلحة لهم ، مع رُشى خاصة لرؤسائهم واسقاط الديون ، والوعود المالية ونحوها ، بدل تألفهم في ظلال التوحيد والنبوة لتستديم عليهم النعمة .

و(عن أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فضل الله قريشاً بسبع خصال لم يعطها أحداً قبلهم ، ولا يعطيها أحداً بعدهم : إني فيهم وفي لفظ النبوة فيهم ، والخلافة فيهم ، والحجاجة فيهم ، والسقاية فيهم ، ونصروا على الفيل ، وعبدوا الله سبع سنين^(٢) .

وفي لفظ عشر سنين لم يعبد أحد غيرهم ، ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾^(٣) .

ومن تألف قريش تعاونهم وتكافلهم الإجتماعي للقضاء على الإحتفاد ، و(عن عمر بن عبد العزيز قال : كانت قريش في الجاهلية تحفد ، وكان احتفادها أن أهل البيت منه كانوا إذا سافت يعني هلكت أموالهم خرجوا إلى براز من الأرض فضربوا على أنفسهم الأخية ثم تناوبوا فيها حتى يموتوا من قبل أن يعلم بخلتهم . حتى نشأ هاشم بن عبد مناف .

(١) سورة قريش ١-٣ .

(٢) إشارة نبوية على أن المسلمين الأوائل من قريش مثل الإمام علي وخديجة أم المؤمنين وأبي بكر .

(٣) الدر المنثور ١٠/٣٥٥ .

فلما نبّل وعظم قدره في قومه قال : يا معشر قريش إن العزم مع الكثرة ، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالاً وأعزهم نفراً ، وإن هذا الإحتفاد قد أتى على كثير منكم ، وقد رأيت رأياً .
قالوا : رأيك راشد فمرنا نأتمر .

قال : رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم فأعمد إلى رجل غني فأضم إليه فقيراً عياله بعدد عياله ، فيكون يوازره في الرحلتين رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن ، فما كان في مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظله ، وكان ذلك قطعاً للاحتفاد.
قالوا : نعم ، ما رأيت فألف بين الناس .

فلما كان من أمر الفيل وأصحابه ما كان وأنزل الله ما أنزل وكان ذلك مفتاح النبوة وأول عز قريش حتى أهابهم الناس كلهم وقالوا أهل الله والله معهم .

وكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك العام ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم كان فيما أنزل الله عليه يعرف قومه وما صنع إليهم وما نصرهم من الفيل وأهله ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^(١) إلى آخر السورة .

ثم قال : ولم فعلت ذلك يا محمد بقومك وهم يومئذ أهل عبادة أوثان فقال لهم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢) إلى آخر السورة .

أي لتراحمهم وتواصلهم ، وكانوا على شرك ، وكان الذي آمنهم منه من الخوف خوف الفيل وأصحابه واطعامهم إياهم من الجوع من جوع الاحتفاد^(٣) .

(١) سورة الفيل ١ .

(٢) سورة قريش ١ .

(٣) الدر المنثور ١٠/٣٥٦ .

وتألف قريش وكثرة تجارتها من مقدمات رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأسباب التوفيق والفلاح فيها ، لبيان قانون نصره الله للأنبياء بتهيئة مقدمات النبوة.

قانون توالي النعم مقدمة للبعثة

لقد كانت النعم الإلهية على قريش ظاهرة جليلة سواء في جوارهم للبيت الحرام وتوليهم الوفادة والسقاية العامة وقدم لمكة للحج أو العمرة أو لطلب من قريش الذين اتسعت الناس تجارتهم ، وكثرت أموالهم ، وصار الشأن الرفيع لهم بين القبائل .

و(عن ابن عباس قال : لما أمر الله إبراهيم أن ينادي في الناس بالحج ، صعد أبا قبيس فوضع أصبعيه في أذنيه ثم نادى : إن الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربيكم . فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وأول من أجابه أهل اليمن . فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة ، إلا من كان أجاب إبراهيم يومئذ)^(١).

ثم تفضل الله عز وجل وبعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من بين ظهرانيهم ومن أوسطهم ، لتعدد الآيات الحسية الشخصية والعامة عند قريش .

وتتجلى الفيوضات والبركات في معيشتهم ومجتمعهم ، وتفضل الله عز وجل عليهم بالنعمة العظمى بجعل خاتم النبيين منهم ، فقابلوا هذه النعم المتعددة بالجحود ، والحرب بالسيوف ، وإهراق الدماء في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وغيرها .

فتفضل الله عز وجل بنصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين لتكون آيات النعمة على قريش ومقابلتهم لها بالجحود من العبرة والإعطاء لأولي الأبصار .

وهل يختص الأمر بزمان التنزيل ، الجواب لا ، بل هي شاملة لكل الأزمنة ، وتقدير الآية : لعبرة لأولي الأبصار في كل زمان .

وللمفسرين قول مشهور بأن المقصود من أولي الأبصار هم أهل البصائر ، والمختار حمل الكلام على ظاهره وأن المراد هم أولو الأبصار والذين ينتفعون من نعمة النظر في التدبر والآيات ، وهذا الإنتفاع مرتبة في التدبر والبصيرة .

ليان قانون وهو الترابط بين الأبصار والبصائر وكل منهما تقود إلى الأخرى ، وهو من أسرار جعل الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

والإتعاظ واقتباس الدروس من آيات العبرة الستة نعمة من عند الله ، وهو سبحانه يعطي بالآتم والأوفى ، فارادة الأبصار هو الموافق في الآية لأنه أعم من البصائر.

ومن معاني التدبر بالبصر قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(٢).

وهل يخرج من الآية الذين أصروا على الكفر والجحود فختم الله على أبصارهم كما في قوله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) ، الجواب لا .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الملك ٣.

(٣) سورة البقرة ٧.

لقد حرموا أنفسهم باختيار الكفر من نعمة البصر والبصيرة في نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة على كفار قريش ، وهو من أسباب عزمهم العودة إلى القتال في معركة أحد .
 ليدرك أولو الأبصار أن ذات نتيجة الخسارة تنتظرهم لذا نزل بخصوص معركة أحد قوله تعالى ﴿لَيُطْعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَ يُكَيِّدُهُمْ فَيُهْلِكُهُمْ خَائِبِينَ﴾^(١).

إحصاء البركة

البركة هي الزيادة في الخير باكثر من قاعدة السبب والمسبب ، وهي فضل من عند الله عز وجل ، وتطلق على النماء والزيادة واليمن ، والسلامة من الآفات والأدران ، قال تعالى ﴿وَكُوْنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَمْنًا وَاتَّقَوْا فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ بِرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

ومن معاني البركة كثرة واستدامة الخير وثباته واستقراره ودوامه ، ومنه برك البعير إذا استقر على الأرض ، وفي عيسى عليه السلام ورد في التنزيل ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾^(٣).

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤)، ورد (عن أبي مسعود الأنصاري أنه قال : أتنا رسول الله صلى الله عليه ونحن جلوس في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن (سعد) : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلي عليك .

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) سورة الأعراف ٩٦.

(٣) سورة مريم ٣١.

(٤) سورة الأحزاب ٥٦.

فسكت رسول الله صلى الله عليه حتى تمنينا أنه لم يسأله .
ثم قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد ، والسلام كما
قد علمتم^(١).

قانون كل آية بركة

تعدد الآيات التي وردت فيها مادة (بركة) لبيان أمور :
الأول : كل آية قرآنية مباركة ، وهو من رشحات قوله تعالى
﴿كَأَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾^(٢).

فتكون البركة لآيات القرآن على نحو العموم المجموعي
والإستغراقي والإفرادي .

الثاني : قانون ترشح البركة كل يوم عن الآية القرآنية ، وهو من
مصاديق ودلالات تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلوات
اليومية الخمس .

الثالث : قانون تغشي البركة لآيات الحياة الدنيا ، وحال المؤمنين
فيها ، قبل البعثة النبوية وبعدها ، وقد تأتي البركة بذات اللفظ وقد
تأتي بالمعنى والدلالة .

وتتجلى البركة في كل آية من الآيات التالية ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا
مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ * وَظَلَمَ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ * وَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ *
وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَبَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ *

(١) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٧٤/١١ .

(٢) سورة ص ٢٩ .

وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرْكُنَا عَلَيْهِمَا
فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

فالبشارة من الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام بولادة إسحاق بركة عظمت ، وتتجز هذه البشارة بولادته نعمة وبركة خاصة مع تحقق الولادة وعمر إبراهيم يومئذ نحو مائة سنة ، وعمر زوجه سارة تسعين سنة .

لتكون هذه الولادة بشارة لأهل هذا الزمان وما بعده في الإرتقاء في علوم طب الإبدان ، وإمكان الإنجاب عن كبر بالنسبة للزوج والزوجة ، وقد كفل الله عز وجل الأرزاق ، قال تعالى ﴿نَحْنُ نُزَرِّقُكُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ ﴿٢﴾.

ولا يمحصى أفراد الرزق للعباد إلا الله ، ولا يقدر على توالي الرزق على الناس إلا الله سبحانه ، ويتجلى قانون كل من الرزق والمرزوق من مصاديق ملك الله للسموات والأرض .

وولد إسحاق مباركاً من عند الله ، ونال مرتبة النبوة ، وتبين هذه الآيات التعدد بين النبوة والبركة ، واستمرار البركة في ذرية إبراهيم لتشمل إسماعيل وذريته ، وذرية إسحاق .

ليبين قانون عجز الخلائق عن إحصاء أفراد البركة في ذرية إسماعيل بن إبراهيم وذرية إسحاق ، ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) سورة الصافات ١١٢-١٢١.

(٢) سورة الأنعام ١٥١.

وهل تختص هذه البركة بالذرية ، الجواب لا ، إنما تشمل أجيال المسلمين والمسلمات بهدايتهم إلى الإيمان والإنشغال العرضي منه ببركة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
وليس من حصر لمصاديق البركة التي تأتيهم كأمة وأفراد ، ولا يحيط بها علماً إلا الله عز وجل .
ويتجلى قانون كل فريضة عبادية يؤديها المسلم هي من البركة وسبب في نزول البركة على الذي يؤديها وذويه .
وعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم عن طريق أمه ، وورد حكاية عنه في التنزيل ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١) ، لبيان البركة في ذات شخص عيسى عليه السلام ، وفي أفعاله العبادية .

من أقسام البركة

ويمكن تقسيم البركة إلى أقسام منها :

الأولى : البركة الزمانية : فكل يوم يطل على الناس هو بركة وزيادة نعمة من الله ، وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾^(٢) .

الثاني : البركة المكانية : في بقاع مخصوصة منها ، وفي البيت الحرام ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) .

(١) سورة مريم ٣١ .

(٢) سورة الدخان ٣ .

(٣) سورة آل عمران ٩٦ .

الثالث : بركة التنزيل : وقد ورد الشاء على القرآن ، ووصفه بالبركة في آيات متعددة منها قوله تعالى ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١) ، ويمكن القول بقانون كل وحي وتنزيل مبارك.

الرابع : بركات السماء والأرض ، قال تعالى ﴿وَكُونُوا أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَّقُوا فِتْنَةً عَلَيْنَهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَاخْذَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) ، وإذا كان الغيث والزراعات من بركات السماء والأرض ، فهل استخراج النفط والغاز والمعادن من بركات الأرض ، الجواب نعم .
(وقال ابن الدمينه:

يقولون لا تنتظر، وتلك بلية ... ألا كل ذي عينين لا بد ناظر)^(٣).
ولا يستطيع الناس إحصاء البركات في كل يوم وليلة لكثرتها وانتفاع إنسان من عدد من البركات في آن واحد ، وهو من أسرار قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤).
الخامس : البركة التي تأتي فضلاً من الله عز وجل زيادة على قاعدة السبب والمسبب .

السادس : ما يفضل الله عز وجل من البركة غير المنظورة استجابة لدعاء الصالحين ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٥).

(١) سورة ص ٢٩.

(٢) سورة الأعراف ٩٦.

(٣) محاضرات الأدباء ١/ ٣٧٣ .

(٤) سورة البقرة ٣٠.

(٥) سورة غافر ٦٠.

وهل هذه البركة بالداعي وصاحب السؤال ، الجواب لا ، فسعة وعموم الإستجابة من الله من مصاديق البركة ، ويعطي الله عز وجل بالأتم والأوفى.

نزل تحريم الخمر وبراءة ونزاهة الإمام علي (ع)

ذكر مثلاً عثمان بن مظعون انه قيئ شرب الخمر فنزل تحريم الخمر ، مع أنه من الذين حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية ، وقد (قال: لا أشرب شراباً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمة). فلما حرمت الخمر أتى وهو بالعوالي ، فقيل له: يا عثمان. قد حرمت الخمر. فقال: تبأ لها قد كان بصري فيها ثاقباً^(١).

أو نسبة شرب الخمر في نزول هذه الآية إلى الإمام علي عليه السلام في بعض الروايات الضعيفة وهو برئ منه ، وبعضها لم تذكر أنه شربها مع الصحابة الآخر .

وعن الإمام علي عليه السلام قال (دعانا رجل من الأنصار قبل تحريم الخمر ، فحضرت صلاة المغرب ، فتقدم رجل فقراً ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾^(٢) فالتبس عليه فنزلت ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٣) الآية ، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وفي هذا الحديث فائدة كثيرة وهي أن الخوارج تنسب هذا السكر ، وهذه القراءة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب دون غيره وقد برأه الله منها فإنه راوي هذا الحديث^(٤).

ولا يدل الحديث على تضمن الدعوة شرب الخمر ، فلعل بعضهم شربها وحضر الدعوة .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٢٤/١.

(٢) سورة الكافرون ١.

(٣) سورة النساء ٤٣.

(٤) الحاكم / المستدرک على الصحيحين ٣٣٠/٧.

وحكى عن الحسن البصري قال : أن علياً لم يقبل أن يشرب معهم في دار أبي طلحة بل خرج من بينهم ساخطاً على ما يفعلون .
 وحينما نزلت الآية قال الإمام علي عليه السلام (تبا لها، والله يا رسول الله لقد كان بصري فيها نافذا منذ كنت صغيراً، قال الحسن: والله الذي لا إله إلا هو ما شربها قبل تحريمها ولا ساعة قط)^(١).
 ثم أن آية التطهير حجة في المقام على عصمة الإمام عليه السلام من شرب الخمر ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

كما وردت احاديث تدل على أن سبب نزول قوله تعالى ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(٣)، غير الذي ذكروه ، وإذا ورد الإحتمال بطل الاستدلال إلا من جهة الترجيح قرآناً وسيرة ورواية ودراية .
 (وروى الامام أحمد وأبو داود والترمذي عن عمر انه قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا ، فنزلت هذه الآية فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(٤).
 فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾^(٥)

(١) البحار ٦٤/٣٨ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣.

(٣) سورة النساء ٤٣.

(٤) سورة النساء ٤٣.

(٥) سورة المائدة ٩٠.

الآية ، فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾^(١) قال عمر : انتهينا ، انتهينا^(٢).

كما ورد عن أنس بن مالك في سبب النزول قال (كنت أسقي أبا طلحة وأبا عبيدة وكعبا وسهيل بن بيضاء نبيذ التمر والبسر حتى أسرع فيهم ، فإذا مناد ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت ، قال : فوالله ما انتظروا أن يعلموا أحقا قال أم باطلا ، فقالوا : اكفأ يا أنس ، قال : فكفأته ، فوالله ما رجعت إلى رءوسهم حتى لقوا الله وكان خمرهم البسر والتمر)^(٣).

كما نسب شربها قبل تحريمها إلى أبي بكر وأنه قعد ينوح على قتلى بدر فنزلت آية التحريم ، لذا (كانت عائشة تدعو على من ينسب إليه :

تحيا بالسلامة أم بكر . . . فهل لي بعد قومي من سلام
وتقول : والله ما قاله)^(٤).

وقد يكون سبب النزول سؤالا وجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أصحابه أو من أهل الكتاب أو من المشركين ، فيفضل الله على الناس جميعاً بمجئ الجواب بالوحي والتنزيل ، كما في قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥).

(١) سورة المائدة ٩١.

(٢) تفسير القطان ١/ ١٢٣ .

(٣) صحيح ابن حبان ٢٢/ ٢٦١ .

(٤) المناوي / فيض القدير ١/ ٨٨ .

(٥) سورة الإسراء ٨٥.

إحصاء المنافقين والمنافقات

لقد جاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكتاب وبشريعة وأحكام متكاملة تتغشى الواقع العام في الجزيرة وخارجها ، وتتولى شؤون الأسرة والميراث بما يمنع الخلاف فيها .

لتحيط كلمات القرآن المحدودة باللامحدود من الوقائع والأحداث وبالإخبار عن أهوال عالم الآخرة في تعاقب الجديان الليل والنهار.

ليبان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي التخفيف عن الناس من وجوه :

الأول : تعيين الفرائض العبادية البدنية والمالية ، والحج الذي هو عبادة بدنية مالية .

الثاني : الإنتفاع العام والأمثل من عالم التنزيل ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

الثالث : منع الفرقة والخلاف بين المسلمين في العبادات والمعاملات ، وهل هذا المنع من مصاديق كمال الدين وتمام النعمة في الآية أعلاه ، الجواب نعم .

الرابع : قانون نشر مفاهيم التوحيد وسنن الصلاح والرشاد بين الناس طوعاً وقهراً وانطباقاً.

الخامس : تعيين السور الجامع الذي يلتقي عنده الناس ، وهو عبادة الله وحده ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾.

السادس : قانون حضور أحكام السماء في الوقائع العامة والخاصة للسلامة بالصدور عن القرآن وبما يبعث السكينة في النفوس.

السابع : سعي المسلمين في مقدمات الإستعداد للانتقال إلى عالم الآخرة ، وذكر الموتى بالإستغفار وأعمال البر ليلحقهم الثواب بعد مغادرتهم الحياة الدنيا ، وتعطل ماكنة العمل الشخصي الذي كان في حياتهم شاملاً للعمل الصالح وثوابه ، وضده وما فيه من الإثم ليكون ما يصلهم بعد مماتهم الأجر والثواب من فعل أبنائهم وغيرهم.

وروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (لكون الميت في قبره كالغريق ينتظر دغوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديقه ، فإذا لحقت ، كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها) (١).

أقسام فترة النبوة

يمكن تقسيم فترة النبوة إلى قسمين :

الأول : أيام التنزيل والدعوة في مكة ، إذ تفضل الله بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في سن الأربعين ، وغادر مكة بعدها بثلاث عشرة سنة .

وتقسم هذه الفترة إلى شعب :

الأولى : مرحلة الرؤيا الصالحة والتي استمرت ستة أشهر ، فان قلت كثير من الناس يرون الرؤيا الصالحة ، والجواب هذا صحيح ، ولكن من بركة رؤيا إدراك النبي بأن هذه الرؤيا من عند الله ،

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

(٢) تفسير الثعالبي ٣٧٥/٢ .

ولست فقط رؤيا صالحة ، وقد ورد في إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

الثانية : فترة ابتداء الوحي ، وحديث الملك ، ونزول القرآن الذي ابتدأ بقوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢).

الثالثة : الدعوة السرية ، خشية بطش قريش .

الرابعة : دعوة ذوي القربى والمقربين والأصدقاء ، قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣).

الخامسة : الإجهار بالدعوة والإتصال بوفود القبائل التي تأتي للحج ، وسؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم لإيوائه .

الثاني : أيام التنزيل والدعوة في المدينة المنورة مدة عشر سنوات بعد الهجرة ، وهي على شعب منها :

الأولى : بناء المسجد النبوي ، ودعوة الناس إلى الإسلام .

الثانية : بعث سرايا حول المدينة .

الثالثة : خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتائب للتبليغ والإستطلاع .

الرابعة : المواخاة بين المهاجرين والأنصار ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٤).

(١) سورة الصافات ١٠٢.

(٢) سورة العلق ١.

(٣) سورة الشعراء ٢١٤.

(٤) سورة الحجرات ١٠.

الخامسة: الدفاع في معركة بدر ، قال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١).

السادسة: مرحلة تبليغ الأحكام والسنن وتفقه المسلمين في أمور الشريعة ، وإكثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة بعد سيادة الإسلام في الجزيرة ، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٢).

ولم يكن نفاق في مكة ، إذ كان المسلمون مستضعفين يصيهم الأذى من كفار قريش ، والنفاق هو إخفاء الكفر مع إظهار الإيمان ، وحضور الصلوات ، ويدل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣) ، على استمرار ضعف المسلمين بعد الهجرة إلى حين معركة بدر في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة .

ليظهر بعدها النفاق في المدينة ، ويقابله إخفاء المسلمين في مكة إيمانهم تقابل الضدين .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو إزدياد عدد المسلمين في مكة مع هجرة عدد منهم على نحو مستمر ، فمع كثرة المهاجرين لا ينقص عدد المسلمين في مكة ، بينما يأخذ عدد المنافقين في النقصان.

(١) سورة الحج ٣٩.

(٢) سورة النصر ١-٣.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

ولأن النفاق كيفية نفسانية وفعل خفي فلا يعلم عدد المنافقين والمنافقات إلا الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُؤْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١).

لذا نزل القرآن بدم النفاق وإبطان الكفر ، وفيه سورة تسمى سورة المنافقين ، وتستحب قراءتها في صلاة الجمعة ، للتذكير بالقبح الذاتي للنفاق وأثره الغيري ، وسوء عاقبته ، ومن المنافقين من أسلم ثم طرأ الشك والوهم عليه أو أغراه وأغواه الذين كفروا ، قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢).

وقد حذر الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم ، وتوعدهم الله بالانتقام منهم في الدنيا والآخرة ، بقوله تعالى ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٣).

ويحتمل هذا التحذير وجوهاً :

الأول : إنه خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : يلحق الخلفاء والأمراء والعلماء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : تلحق الأمة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

المختار هو الأخير ، وهو من الشواهد على بقاء آيات القرآن حاکمة على عالم الأفعال في أيام الحياة الدنيا .

وفيه دعوة للمسلمين والمسلمات للتنزه من درن النفاق ، لذا جاء ذكر المنافقات في القرآن خمس مرات ، مع أن القرآن نزل في زمان فيه الشأن للذكور ، قال تعالى ﴿لُعَذِبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

(١) سورة ق ١٦ .

(٢) سورة المنافقون ٣ .

(٣) سورة المنافقون ٤ .

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيُتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

كثرة آيات النفاق

وهل آيات سورة المنافقين هي الأكثر في ذمهم أم آيات القرآن الأخرى التي تذكرهم بالذم والتبكيث ، الجواب هو الثاني ، لبيان الضرر العام المترشح عن النفاق .

وكما يحصي الله عز وجل المنافقين فانه يحصي أقوالهم وأفعالهم التي تدل على النفاق ، ويجعل برزخاً بينها وبين التأثير العام في المجتمع ، لتجلى وجوه :

الأول : قانون كل آية قرآنية برزخ دون النفاق .

الثاني : قانون أداء الفرائض العبادية واقية من النفاق .

الثالث : جهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في محاربة

المنافقين بالحجة والبرهان ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٢).

ولابد من أثر ونفع عظيم من جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمنافقين يتجلى بالتخلص من النفاق والإحتراز منه .

وهل يختص جهاد المنافقين بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وسلم ، الجواب لا ، فهو عام يشمل المسلمين والمسلمات ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٣) ، ولا يحصي منافع جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الأحزاب ٧٣.

(٢) سورة التوبة ٧٣.

(٣) سورة النحل ١٢٥.

وسلم ضد المنافقين إلا الله عز وجل خاصة وأنها لا تختص بالأثر
بالمنافقين بل تشمل الصلاح العام ووقاية المسلمين من النفاق .
وكذا لا يحصي منافع آيات القرآن في صرف الناس عن النفاق ،
والنفرة منه إلا الله عز وجل ، لبيان قانون التنزيل وافية من النفاق
إلى يوم القيامة .

إحصاء علوم التفسير والتأويل

من أشرف العلوم التي يدرسها الإنسان علوم وذخائر التنزيل ،
وقد صاحبت هذه العلوم الإنسان من حين هبوطه إلى الأرض إذ
تلقى آدم الوحي وهو نبي رسول .
ثم تفضل الله عز وجل بالكتب السماوية وختمها بنزول القرآن
على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعله ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ﴾^(١) ، ليغوص العلماء في بحار كنوزه ، ففي كل زمان يستنبط
العلماء لآلى من إعجاز الآية القرآنية أو من الصلة بينها وبين غيرها
من الآيات .

وتتجلى غرائبه في الوقائع والأحداث وموافقتها لآيات القرآن ،
واتخاذها سلاحاً للوقاية والإحتراز .

وقد حض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم العلماء على
فهم علوم القرآن ، والتوسع في تفسيره بعيداً عن الرأي ، وأخبر بأن
عجائبه لا تنقضي .

و(عن الحارث الأعور قال : دخلت المسجد فإذا الناس قد وقعوا
في الأحاديث ، فأتيت علياً (عليه السلام) فأخبرته ، فقال : أوقد
فعلوها؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنها
ستكون فتنة ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله .

قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم.

وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشيع منه العلماء ، ولا تلتبس منه الألسن ، ولا يخلق من الرد ، ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾^(١)، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم^(٢).

ولا يستطيع الناس إحصاء كنوز التفسير لتجدها ، ففي كل جيل تستخرج علوم منها وهو من إعجاز القرآن وبقاء آياته غضة طرية .

وأول من قام بتفسير القرآن هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهدى أصحابه إلى قواعد تفسير آياته .

و(عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل ، قال : فتعلمنا العلم والعمل)^(٣).

لقد حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الاختلاف والشقاق في تفسير القرآن والبحث عن وجوه للتعارض بين آياته .

(١) سورة الجن ١-٢.

(٢) الدر المنثور ١٠/٢٣٧ .

(٣) الدر المنثور ٢/٢٠٧ .

و(عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على قوم يتراجعون في القرآن وهو مغضب فقال : بهذا ضلت الأمم قبلكم ، باختلافهم على أنبيائهم ، وضرب الكتاب بعضه ببعض . قال : وإن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، ولكن نزل أن يصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به^(١) ، وما تشابه عليكم فآمنوا به)^(٢).

كما حذر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قراءة القرآن بسرعة ومن غير تدبر ، إذ ورد (عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في أمتي قوماً يقرؤون القرآن يتثرونه نشر الدقل ، يتأولونه على غير تأويله)^(٣).

والدقل تمر صغير وهو أردء أنواع التمر.

ومن خصائص علوم التفسير أنها مقدمة وحافز للعمل بأحكام آيات القرآن ، وهذا العمل على وجوه :

الأول : قانون العمل بآيات القرآن من الشواهد على إعجازه .

الثاني : انتفاء التعارض بين القرآن وبين الوقائع والأحداث .

الثالث : قانون الوقائع مرآة للقرآن .

ويجتهد العلماء في كل جيل بخوض غمار التفسير ، ليغادروا الدنيا بقانون الإقرار بالعجز عن الإحاطة بعلوم القرآن ، وفي التنزيل ﴿إِن فِي هَذَا لَبَلَاغٍ لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾^(٤).

ومن مصاديق عجزنا عن إحصاء علوم القرآن مرور أكثر من ألف وأربعمائة سنة ولم يفتح العلماء كلاً من :

(١) ورد في الأصل فاعلموا به .

(٢) الدر المنثور ٢/٢٨١ .

(٣) الدر المنثور ٢/٢٨١ .

(٤) سورة الأنبياء ١٠٦ .

الأول : علم الصلة بين أول ووسط وآخر الآية : وقد خصصت له في تفسير كل آية من (معالم الإيمان) باباً خاصاً مع الإقرار بعجزني عن استظهار العلوم الخاصة بهذا الباب .

الثاني : علم سياق الآيات : بقراءة الآية القرآنية بلحاظ الآيات المجاورة لها ، ومن مسائله العطف الموضوعي بين الآيات ، ولحاظ أسباب النزول والوقائع في نظم القرآن ، وشواهد صدق على قانون ترتيب آيات القرآن توقيفي .

الثالث : تفسير صلة الآية بكل آية من القرآن : بأن نأخذ الآية مثل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ، وتبين صلتها مع كل آية من آيات القرآن إلى آخر آية منه ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٢) .

وستبقى أفراد التفسير متجددة ، وفي كل زمان تطل على الناس علوم مستحدثة منها البيان وفق الكتاب واللغة والبلاغة وأدلة الإستنباط ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) .

إحصاء علوم ذات القرآن

الحمد لله الذي جعل القرآن بياناً و﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) ، ومنه بيانه للأحكام والعلوم الواردة فيه والمستقرأة بخصوص ذات كلماته وآياته ، وهي غير العلوم المستنبطة منه في أمور الدين والدنيا وعالم الآخرة ، ومن هذه العلوم :

الأول : علم نزول القرآن ، إذ نزل القرآن إلى السماء الدنيا

(١) سورة الفاتحة ٢ .

(٢) سورة الناس ٦ .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) سورة النحل ٨٩ .

جملة.

و(عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين ، وفي لفظ : ثم نزل من السماء الدنيا إلى الأرض نجوماً ، ثم قرأ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾^(١) ^(٢)).

وقال الطبرسي (ف قيل أن الله أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم أنزل على النبي بعد ذلك نجوماً في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله)^(٣).

الثاني : ترتيب سور وآيات القرآن توقيفي .

الثالث : علم المحكم والمتشابه ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمبين.

الرابع : علم أسباب النزول .

الخامس : جمع القرآن وكتابته وتلاوة آياته والمحسنات اللفظية ، وعلم رسم القرآن .

السادس : مواطن نزول الآيات والسور ، وتقسيم السور إلى (المكي والمدني).

السابع : معاني الحرف القرآني .

الثامن : ذخائر عربية القرآن .

(١) سورة الواقعة ٧٥.

(٢) الدر المنثور ٣٨٧/٩.

(٣) مجمع البيان ١٠/٢.

قانون القرآن واقية من الردة

من المصاديق لإعجاز القرآن الحسي والعقلي أن آياته حرز وواقية من الإرتداد إذ أن آيات القرآن حصن وشفاء بلحاظ أن الإرتداد داء ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ولا يعلم بما في الصدور من الإيمان ومراتبه أو الشك والجحود إلا الله عز وجل ، فرحم الله الناس وجعل آيات القرآن تنفذ إلى شغاف القلوب ، فتجذب وتثبت الإيمان ، وتطرد منها النفاق ، ولا يحصي الشفاء بآيات التنزيل إلا الله .

ومن الإعجاز وإرادة الكثرة في الآية أعلاه توجه الخطاب فيها إلى عموم الناس بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ولا تكفي آيات القرآن بالشفاء من النفاق والريب بل ذكرت الآية خصالاً ومنافع للقرآن من جهات :

الأولى : تفضل الله عز وجل بالخطاب في هذه الآية إلى الناس جميعاً من أيام التنزيل وإلى يوم القيامة .
وهذه الآية من عشرين آية من القرآن ابتدأت بالنداء العام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

الثانية : إكرام القرآن ووصفه بأنه موعظة ، وفيه وجوه :
الأول : آيات القرآن على نحو العموم المجموعي موعظة من عند الله عز وجل .

الثاني : قانون كل آية من القرآن موعظة .

الثالث : تختص الموعظة بالآيات التي تتضمن الوعظ والإرشاد. والمختار هو الوجه الأول والثاني أعلاه ، ولا يحصي مواعظ

القرآن والانتفاع العام منها إلا الله عز وجل .

الثالثة : من أسرار النداء العام للناس جميعاً في الآية أعلاه انتفاع المسلم ، وغير المسلم من آيات القرآن ومن تلاوته أو استماعه لها أو الإطلاع على تفسيرها .

وهو من أسرار موضوعية أسباب النزول وتقريبها معاني الآية إلى الأذهان لما فيها من الإدراك بالحواس .

الرابعة : تقييد الموعظة في القرآن بأنها من عند الله رب العالمين ، لبيان مصاديق الرحمة في جعل القرآن موعظة .

وتقدير الآية : قد جاءكم آيات القرآن موعظة من ربكم .

الخامسة : قانون القرآن شفاء لما في الصدور من الشك والريب ، وآفة الحسد والكآبة والكدورة ، ويحتمل المراد من الشفاء :

الأول : الوقاية .

الثاني : العلاج .

الثالث : الوقاية والعلاج .

والمختار هو الأخير ، فمن معاني الشفاء السلامة من الأدران ، وعلاجها ، ولا يقدر على حصانة القلوب من الأمراض وعلى علاجها إلا الله عز وجل ، وهو وحده الذي يحصي منافع التنزيل في صلاح القلوب ، والمراد من القلوب في المقام العقول ، والضمائر وأصل الإرادة والعزيمة .

السادسة : لقد أخبر الله عز وجل في القرآن عن وفاة النبي محمد

صلى الله عليه وآله وسلم وانتقاله إلى عالم الآخرة ، قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾.

لتكون هذه الآية حُرْزاً للمؤمنين من الردة بعد مغادرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وفيها دعوة لمحاربة الردة والمرتدين.

ولما مات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حدثت ردة واسعة في الجزيرة ، كان القضاء عليها معجزة غيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته ، وشاهداً بأن القرآن موعظة وشفاء لما في الصدور.

كيفية الشفاء بالقرآن

ترى كيف يكون الشفاء بالقرآن ، فيه وجوه :

الأول : تلاوة آيات القرآن .

الثاني : الأثر الفعلي والنفع المترتب على تلاوة القرآن .

الثالث : العمل بمضامين الآية القرآنية .

الرابع : إتخاذ الآية القرآنية مادة للدعاء .

الخامس : النظر في المصحف.

وفي خبر ضعيف سنداً (عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأه ظهراً ، كفضل الفريضة على النافلة) (٢).

ويتجلى قانون أن الله عز وجل يعطي بالأتم والأوفى ، فهو سبحانه لم يكتف بجعل القرآن موعظة وشفاء لما في الصدور إنما جعله هدى ورشاد لبيان أن حرب القرآن على الردة متجدد ، ولا يقف عند التخلص منها ومن الشك ، بل بابدال الشك باليقين ، والكفر بالإيمان ، قال تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ

(١) سورة آل عمران ١٤٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٦٩/١ .

اللَّهُ يُتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١).

ومن معاني قوله تعالى ﴿وَهُدًى﴾ العصمة من الردة ، ومحاربتها أيام النبوة وبعدها ودعوة الناس لإتخاذ القرآن دليلاً ونبراساً .

ونزل القرآن بالإخبار عن قانون القرآن رحمة للمؤمنين ، وإرادة الإطلاق بالرحمة في الدنيا والآخرة .

و(عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها)^(٢).

إحصاء منافع إتخاذ لغة القرآن في أقطار الأرض

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً رسولاً إلى الناس جميعاً على اختلاف مشاربهم ، وتعدد أقطار مساكنهم ، فأمره أن يخبر الناس بهذا العموم والعالمية لقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾^(٣).

ليبين معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الجمع بين متضادين ، بين لغة القرآن المحصورة العربية ، وبين عالمية الدعوة ومعجزة تلقي عامة المسلمين هذه الآية بالقبول والإمتثال وإدراك قانون عدم تجلي المعاني المتعددة للفظ القرآني إلا باللغة العربية . وقد أخبر الله عز وجل عن عريية القرآن في سياق الشاء عليه ، وهذه الآيات هي :

(١) سورة المائدة ٣٩ .

(٢) الدر المنثور ١٠/١٢٣ .

(٣) سورة الأعراف ١٥٨ .

- الأولى : قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).
- الثانية : قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَنْ تُبَغْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(٢).
- الثالثة : قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).
- الرابعة : قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^(٤).
- الخامسة : قوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٥).
- السادسة : قوله تعالى ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٦).
- السابعة : قوله تعالى ﴿كَتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٧).
- الثامنة : قوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(٨).

(١) سورة يوسف ٢.

(٢) سورة الرعد ٣٧.

(٣) سورة النحل ١٠٣.

(٤) سورة طه ١١٣.

(٥) سورة الشعراء ١٩٥.

(٦) سورة الزمر ٢٨.

(٧) سورة فصلت ٣.

(٨) سورة فصلت ٤٤.

التاسعة : قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(١).

العاشرة : قوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

الحادية عشرة : قوله تعالى ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانِ عَرَبِيٍّ لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

لماذا نزل القرآن بالعربية

لقد نزل القرآن باللغة العربية لوجوه :

الأول : العربية لسان أهل الجزيرة ، ومنهم أهل مكة والمدينة ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤) ، وقد كتب الإنجيل الإنجيل باللغة الأرامية.

الثاني : إتصاف اللغة العربية بخصائص ليست موجودة في اللغات الأخرى ، من جهة أسرار البلاغة ، وغزارة المادة وسعة وتعدد معاني الكلمة العربية ، وكنوز الدلالة والمفردات ودقة المعاني بحروفها القليلة.

الثالث : يتصف العرب أيام التنزيل بالفصاحة والبلاغة وكان الشعراء والخطباء يتبارون في أسواق مكة في موسم الحج بالنظم

(١) سورة الشورى ٧.

(٢) سورة الزخرف ٣.

(٣) سورة الأحقاف ١٢.

(٤) سورة ابراهيم ٤.

والنشر فنزل القرآن ليعجزهم في بلاغتهم ، ويجعلهم يدركون أنه كلام فوق كلام البشر وبلاغتهم.

وقد ورد لفظ ﴿فِي رُبِّ﴾ مرتين في القرآن إحداهما في البعث والنشور ، وأسرار الخلق والتكوين ، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رُبِّ مِنَ الْبُغْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عُقْلَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرَّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَبْتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(١).

والأخرى وهي معطوفة على النداء العام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وتتعلق بنزول القرآن بقوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رُبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

الرابع : وصف الله عز وجل القرآن بأنه نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾^(٣) ، أي واضح وجلي ويمنع من الفرقه والخلاف في المسائل اللغوية والأحكام التشريعية ليتفرع علم النحو والبلاغة عن علوم وآيات القرآن.

(١) سورة الحج ٥.

(٢) سورة البقرة ٢٣.

(٣) سورة الشعراء ١٩٥.

الخامس : لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً في مكة والجزيرة ، وكانت لغتهم العربية ، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾^(١).

السادس : تجليات المعنى المتعدد للفظ العربي وتعضيد الشعر العربي له.

السابع : اللغة العربية لغة أهل الجنة .

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب العرب لثلاث : لأنني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي)^(٢).

صيغ الخطاب في القرآن

يرد في القرآن :

الأول : الخطاب العام .

الثاني : الخطاب الخاص .

الثالث : خطاب الجنس .

الرابع : خطاب النوع .

الخامس : خطاب العين لإرادة شخص واحد مثل ﴿قُلْنَا يَا آدَمُ﴾^(٣)

﴿قَالَ يَا نُوحُ﴾^(٤) ﴿قِيلَ يَا نُوحُ﴾^(٥) ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ﴾^(٦) ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا

(١) سورة إبراهيم ٤.

(٢) الدر المنثور ٣٦٦/٥ .

(٣) سورة البقرة ٣٥.

(٤) سورة هود ٤٦.

(٥) سورة هود ٤٨.

(٦) سورة هود ٦٢.

إِبْرَاهِيمَ^(١) ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾^(٢) ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾^(٣).

ولم يرد في القرآن (يا محمد) مع ورود اسمه خمس مرات في القرآن ، وفيه إكرام للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوة للمسلمين بدعوته بالرسالة ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ ومناداته بالنبوة (يا نبي الله) واجتناب دعوته باسمه ، قال تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاهُمْ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

إن تعدد صيغة الخطاب في القرآن علم تستنبط منه مسائل كثيرة ، وفيه دعوة للسلم ولغة الإحتجاج ، وحسن الخطاب .

الخطاب الخاص والمراد منه العموم

قد يرد خطاب خاص والمراد منه العموم بلحاظ القرينة مثل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٥) ، إذ ابتدأ الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتضمن بعده الخطاب إلى كل من يملك إجراء إيقاع الطلاق ، كما أنه عام للمسلمين والمسلمات للتفقه في الدين.

ومن الإعجاز مجئ الآية بحرف الشرط لما يستقبل من الزمان (إذا) لتأكيد كراهة الطلاق .

ولا يستطيع الناس إحصاء عدد مرات إنصراف المسلمين عن

(١) سورة الصافات ١٠٤.

(٢) سورة النمل ١٠.

(٣) سورة آل عمران ٥٥.

(٤) سورة النور ٦٣.

(٥) سورة الطلاق ١.

الطلاق حرصاً على وحدة الأسرة المسلمة ورجاء الثواب ، والعمل بالنصوص الواردة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تفيد كراهة الطلاق.

واختلف في أصل حكم الطلاق على وجهين :
الأول : الأصل في حكم الطلاق الإباحة ، وهو مشهور علماء الإسلام ، وهو المختار .

الثاني : الأصل في حكم الطلاق الحظر .
نعم تنطبق على الطلاق أحكام الوجوب ، والندب ، قال تعالى ﴿وَإِنْ يَتَرَكَ بَيْنَهُمَا اللَّهُ كَلَامًا مِنْ سَعَةٍ﴾^(١) ، والكراهة .
كما يكون الطلاق حراماً أيام الحيض والنفاس ، وفي الطهر الذي جامعها فيه الزوج أو إذا كان مقدمة لوقوع الزوج بالزنا ونحوه من المحرمات .

خطاب المدح

قد يأتي الخطاب القرآني بالمدح والثناء العام مثل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي آمنوا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويشمل هذا الخطاب ، المؤمنين وكل من آمن بالدعوة الظاهرة ممن نطق بالشهادتين .

تترتب عليه التكاليف العبادية فمع النطق بالشهادتين يتوجه الأمر إلى العبد بالصلاة خمس مرات في اليوم ، وصيام شهر رمضان وأداء الزكاة بشروطها ، وحج بيت الله الحرام ، مع تحقق الإستطاعة ، وحرمة التسويف والتأجيل ، قال تعالى ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢) .

(١) سورة النساء ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

ومن إعجاز القرآن أن كل تكليف مدح وثناء على ذات المكلفين ، كما في قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

ومن صيغ المدح والثناء في القرآن توثيق صبر وجهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وقد يجتمع في آية واحدة كل من :

الأول : المدح .

الثاني : الذم .

الثالث : طرف ثالث مسكوت عنه .

ويتجلى هذا الجمع في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣).

(وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة ، فسألهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان فقالوا : قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة فاجتنبوهم . فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فأنزل الله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ﴾^(٤) ^(٥)).

ومن خطاب المدح في القرآن ما ورد في الثناء على أهل الجنة كما في قول الملائكة لهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة ٤٣.

(٢) سورة البقرة ١٨٣.

(٣) سورة آل عمران ١٧٣.

(٤) سورة آل عمران ١٧٣.

(٥) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢٨٨/٣ .

(٦) سورة الرعد ٢٤.

إذ ورد (عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل يدعو يوم القيامة بالجنة ويأتي بزخرفها وزينتها فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيل الله وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة ، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب.

فتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نسبح الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ، فيقول الله عز وجل : هؤلاء عبادي الذين أوذوا في سبيلي ، فيدخل عليهم الملائكة يقولون ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١) (٢).

ومن خصائص خطاب المدح في القرآن الترغيب بالإيمان ، والعمل الصالح ، والبشارة بالأجر والثواب للمؤمنين .

خطاب الذم

يرد في القرآن خطاب الذم والوعيد مثل ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الذي نزل في مكة قبل الهجرة النبوية لتحذير المشركين من إيذاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومحاربتة .

وورد لفظ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣) مرة واحدة في القرآن كما تضمن القرآن الخطاب في الآخرة لرؤساء الكفر والضلالة منه قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٤).

لقد جعل الله عز وجل القرآن ﴿ثِيَابًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥)، ومنه

(١) سورة الرعد ٢٤.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ٣٢١ .

(٣) سورة التحريم ٧.

(٤) سورة الدخان ٤٩.

(٥) سورة النحل ٨٩.

أسلوب المدح والذم ، ومن الآيات في المقام لم يرد المدح في القرآن إلا لمستحقه من الصالحين ، ولم يرد خطاب الذم فيه إلا للظالمين والكافرين .

لتكون كل آية في المقام إصلاحاً للناس ، وباعثاً للسكينة في النفوس ، ووعيداً دنيوياً وأخروياً للذين كفروا ، قال تعالى ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَكَئِنْ الْمُصِيرُ﴾^(١).

إحصاء آيات المدح والذم

أيهما أكثر في القرآن آيات المدح أو الذم ، وفي إحصاء الآيات في المقام لابد من التفصيل فقد يرد مدحان أو ثلاثة أو أكثر في آية واحدة ، وكذا يرد زمان أو أكثر في آية واحدة ، وقد تجمع الآية بين المدح والذم .

وفي باب الذم مثلاً ورد قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٢) ، ففي الآية ذم للذين كفروا من وجوه :

الأول : إيذاء الكفار لله عز وجل .

الثاني : إيذاء الكفار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : نزول لعنة الله بالذين كفروا من يؤذون الله ورسوله .

الرابع : لعنة الله للذين كفروا في الآخرة .

ترى ما هي النسبة بين اللعنة في الدنيا والآخرة ، الجواب نسبة العموم والخصوص المطلق ، فلعنة الآخرة أشد وأمر .

الخامس : شدة عذاب كفار قريش ونحوهم يوم القيامة .

(١) سورة النور ٥٧.

(٢) سورة الأحزاب ٥٧.

الأمر بالتقوى

من إعجاز لغة الخطاب في القرآن توجه الأمر ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ إلى الناس جميعاً وإلى أمم الأنبياء وإلى المسلمين والمسلمات بل وإلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١).

لتلحق به أجيال المسلمين وفيه دلالة على توجه ذات الأمر بالوحي إلى الأنبياء جميعاً ، وأن الحياة الدنيا تتقوم بتقوى الله والخشية من الله والإمتثال لأوامره.

ليكون من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، أي خليفة يتحلى بالتقوى والصلاح .

ولا يحصي منافع الأمر بتقوى الله في القرآن وامتنال المسلمين له من أيام آدم وإلى يوم القيامة واجتنابهم المحرمات طاعة لله عز وجل ، وخوفاً منه ورجاء ثوابه إلا الله عز وجل .

ولابد من علة لتكرار الخطاب والأمر بالتقوى في القرآن ، والتكرار من صيغ البلاغة ، ويعتمده العرب في مخاطباتهم ، ولكن التكرار من القرآن ذو فوائد متعددة ، فإلى جانب البلاغة وجوه :

الأول : التذكير والبعث على الإلتعاض .

الثاني : بيان موضوعية التقوى في حياة الناس .

الثالث : قانون النجاة في الآخرة بالتقوى .

الرابع : تجلي معاني خاصة في كل فرد من التقوى بلحاظ

(١) سورة الأحزاب .١

(٢) سورة البقرة ٣٠.

الموضوع والحكم .

الخامس : خصوصية السياق في كل مرة تذكر فيها التقوى ،
بلحاظ ذات الآية .

السادس : إقتباس الدرس والقوانين من صلة ذكر التقوى بآيات المجاورة .

السابع : بيان منافع التقوى .

الثامن : وقائع مخصوصة .

التاسع : تأكيد قانون الحاجة إلى التقوى في الآخرة .

العاشر : من معاني التكرار تعدد صيغ الهداية والرشاد بذكر التقوى ومقدماتها ، وكيفيتها ، ومنافعها .

وكما في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾^(١)

ولا يختص إنشاء المدح في القرآن بلفظ نعم ، والذم بلفظ بش ، بل يشمل معاني ومفهوم ودلالات الآية القرآنية .

ففيها أربع أفراد من المدح للمؤمنين ، وخمسة من الذم ، أما أفراد المدح للمؤمنين فهي على وجوه :

الأول : المدح العام بصفة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

الثاني : عمل الصالحات .

الثالث : الجزاء الحسن بوفاء أجورهم .

الرابع : الزيادة بالأجر والثواب بفضل من الله عز وجل .

أما أفراد الذم في هذه الآية للذين كفروا فهي على وجوه :

الأول : الإمتناع أنفة عن اتباع هدى النبوة ، قال تعالى

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

الثاني : الإستكبار والتعالي عن عبادة الله وإتباع الرسول .

الثالث : الوعيد بنزول العذاب بالذين كفروا .

الرابع : إنتفاء وجود الولي والمعين والشفيع للذين كفروا يوم القيامة .

الخامس : ليس من نصير يوم القيامة للذين كفروا ، بينما ورد الوعد من عند الله عز وجل للذين آمنوا بالنصر يوم القيامة بقوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢) ولم يرد لفظ ﴿لَنَنْصُرُ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .

الإلتفات بلاغة في الخطاب

قد يرد الخطاب بالإنتقال من لون لآخر ، من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر ، مثل قوله تعالى ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

فبعد أن أقر هذا المؤمن بأن الله عز وجل هو الذي خلقه وبيانه لفضل الله عز وجل وشكره تعالى على نعمة الخلق توجه إلى قومه بالإنذار بأنهم سيرجعون إلى الله ، فان لم تقولوا بالخلق من عند الله ، وإن تظنوا أنها أرحام تدفع ، وأرض تبلع .

فان المعاد والحشر أمر حتم ولا بد منه ولا يستثنى منه أحد منكم فاستعدوا له بالتصديق بالرسول .

وقد يتضمن الإلتفات تعدد الجهة المقصودة وموضوعية أسباب النزول ومنه الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب كما في قوله تعالى

(١) سورة آل عمران ١٣٢ .

(٢) سورة غافر ٥١ .

(٣) سورة يس ٢٢ .

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿^(١).

فهذه الآيات من سورة الإنسان ، وهي في سياق الثناء على أهل البيت وقوله تعالى ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ خَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿^(٢).

والمدار على عموم المعنى وليس سبب النزول وحده ، وليكون من معاني الإلتفات في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ ^(٣) ، مخاطبتهم والمؤمنين في الجنة يوم القيامة ، فيكون من معاني الإلتفات في الآيات نسبة العموم والخصوص المطلق.

وسمى خطاب التلوين ، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ ^(٤) ، في خطاب متعدد إلى موسى وهارون ثم انتقل الخطاب إلى الإتحاد والمفرد ﴿يَا مُوسَى﴾ لبيان مائز الرسالة عن النبوة ، وأن موسى يتكلم عن نفسه وشهادة عن أخيه هارون. ليأتي الخطاب في القرآن إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شاهداً على أمته والناس ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ^(٥).

ليبيان تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالشهادة

(١) سورة الإنسان ٢١-٢٢.

(٢) سورة الإنسان ٧-٨.

(٣) سورة الإنسان ٢٢.

(٤) سورة طه ٤٩.

(٥) سورة الزمل ١٥.

على أمة من أجيال متعاقبة .

ولا يعلم عدد أفراد شهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكيفيتها إلا الله عز وجل فهو وحده الذي يحصوها وييسرها .

الجامع بين التشريف والعمل

ومن خطابات القرآن الجامع بين التشريف والبعث على العمل ، ومنه ورود قوله تعالى ﴿قُلْ﴾ وإلحاق المسلمين والمسلمات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما خرج بالدليل في إرادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ، كما في قوله تعالى ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١) ، وحتى هذا المعنى يشمل المسلمين ليقولوا (يا أيها الناس أن النبي محمداً رسول الله إلينا وإليكم جميعاً).

فمن وجوه التشريف في الخطاب القرآني وجوه :

الأول : تضمن الخطاب المدح .

الثاني : المباشرة في خطاب المدح من غير واسطة ، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وعدده في القرآن تسع وثمانون ، وكلها نزلت في المدينة ، ليكون من الشواهد على تعيين السور المدنية ، وعلى إكرام المهاجرين والأنصار مجتمعين .

الثالث : خطاب الشهادة من الله على الإيمان والصبر في طاعته تعالى .

الرابع : الخطاب الذي يتعلق المدح فيه بصيغة الشرط ، كما في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف ١٥٨ .

(٢) سورة آل عمران ٣١ .

الخطاب الجامع بين الموجود والمعدوم

وهو سور الموجبة الكلية في الخطاب والنداء القرآني ، ومنه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ قال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

والمراد من المعدوم الذي لم يولد بعد لبيان تجدد الخطاب القرآني وقانون توجه الخطاب القرآني لأهل كل زمان ، وفيه أمارة على بقاء القرآن وخطاباته إلى يوم القيامة .

فيكون المعدوم قبل ولادته ملحقاً بالموجود ، أما بعد ولادته وبلوغه سن التكليف فيتوجه الخطاب القرآني له مباشرة ، وهو من أسرار الصلة والتقارب اليومي بين كلام الله والناس .
ومن الإعجاز أداء المسلمين الصلاة خمس مرات في اليوم وتلاوتهم القرآن فيها .

ولا يحصي منافع الخطاب القرآني في هداية وصلاح الناس إلا الله عز وجل .

وعندما أخبر الله عز وجل الملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، بصيغة الحتم والمشية ولتهيئة وظائف للملائكة خاصة بالناس أجاب الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف ٢٧.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

وليس من احتجاج في المقام ولكنه توسل من الملائكة ، فمثلاً أراد الملائكة أن لا يكتبوا على الناس إلا الحسنات ، وأن تكون خلافة الإنسان في الأرض بالإيمان وحده ، فليس من ثمرد أو فرعون أو مشركي قريش وحرب على النبوة والوحي .

فكان توسل الملائكة رحمة بالناس ، فأجابهم الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) ، وأن مرتبة الخلافة اختبار وامتحان ، وفيها خلود بالنعيم للذين يحسنون مقامات الخلافة بالطاعة والعبادة ، ويتلقون خطابات القرآن بالإمثال ورجاء الثواب .

وهو من مصاديق انفراد الله عز وجل بالعلم الخاص بخلافة الإنسان ، فما كان من الملائكة إلا الرضا والاستجابة والإمثال لأمر الله عز وجل حين أمرهم بالسجود لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) .

إحصاء مصاديق ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

ورد لفظ ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ ثلاث مرات في القرآن ، مرتين في احتجاج الله عز وجل على الملائكة في خلافة الإنسان في الأرض ، والثالثة على لسان يعقوب في احتجاجه على ابنائه ، ولكنها مقيدة بالعلم من الله بالوحي ، إذ قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَقْبَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٤ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة يوسف ٩٦ .

وليس من حصر لموارد وأفراد ما ينفرد به الله عز وجل من أحوال بني آدم في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فهي كثيرة منها :

الأول : مدة الحياة الدنيا ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَأُجِيبَنَّ لَوْ قُتِلَ بِهَا هُودٌ قُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَتَّبِعُكُمْ إِنَّمَا بَعَثْتُكُمْ لِيَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ، ومع التطور العلمي الهائل في هذا الزمان فان العلماء يعجزون عن تحديد عمر الدنيا ، وبدايات عمارة الإنسان للأرض .

الثاني : أوان انتهاء الدنيا علم يختص به الله ، وهو من مصاديق انفراده بملكية الله المطلقة للسماء والدنيا ، وفي التنزيل ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢) .

الثالث : منافع خلافة الإنسان في الأرض على الناس والخلائق .

الرابع : عدد المؤمنين والمؤمنات .

الخامس : تعاهد الإنسان بالخلافة في الأرض بسنن التقوى .

ويدل قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) ، على نسبة العموم والخصوص من وجه بين الناس والجن ، إذ يشتركان بوجوب عبادتهم لله عز وجل ، وينفرد الناس بالخلافة في الأرض لقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) ، مع تقدم

(١) سورة الأعراف ١٧٨.

(٢) سورة البقرة ١٠٦-١٠٧.

(٣) سورة الذاريات ٥٦.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

خلق الجن على خلق آدم ، لبيان أن الناس أرقى مرتبة من الجن وبالإستقراء من القرآن والجمع بين آياته .

السادس : إحصاء وجوه طاعة الناس .

السابع : إحصاء المعاصي التي تخالف علة خلق الناس وعبادتهم لله عز وجل .

الثامن : علم الله بنزول الملائكة بالوحي إلى الأنبياء ونزولهم لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين .

تقدير ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

ومن معاني وتقدير ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) ، وجوه :

الأول : إني أعلم ما يعلن وما يكتُم الناس ، وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^(٢) .

الثاني : الله أعلم بمنافع خلافة الإنسان في الأرض لعامة الخلائق .

الثالث : الله أعلم بسعة رحمة الله بالناس .

الرابع : الله أعلم بوظائف ومنافع النبوة .

الخامس : والله وحده أعلم بالخلائق .

السادس : لا يحصي وجوه وصيغ مغفرة الله للناس إلا هو

سبحانه ، وفي التنزيل ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣) .

السابع : إني أعلم بالثواب العظيم الذي أعده الله للمؤمنين .

الثامن : إني أعلم بنزولكم لنصرة الأنبياء ، وإعانة المؤمنين .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٦٧ .

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ .

التاسع : إني أعلم بدعائكم للأنبياء والصالحين ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

العاشر : إني أعلم بمناجاة الناس لي .

الحادي عشر : إني أعلم بحبي للتوايين ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢).

الثاني عشر : إني أعلم بغناي عن الخليفة وعنكم وعن الخلائق كافة.

الثالث عشر : إني أعلم بمراتب ودرجات الإيمان .

الرابع عشر : إني أعلم بما يخفي المنافقون في نفوسهم .

الخامس عشر : إني أعلم بما احجبه من مقدمات الفساد وأسباب سفك الدماء .

السادس عشر : إني أعلم بما أعددت من العذاب للمفسدين والذين يسفكون الدماء .

السابع عشر : إني أعلم بأن خلافة الإنسان في الأرض لا تنجي المشرك والكافر والفاسق من العذاب .

الثامن عشر : إني أعلم الغيب ، وأنتم لا تعلمون .

التاسع عشر : إني أعلم بسنن التقوى والعبادة التي يكون عليها المؤمنون في كل زمان .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده سألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي .

(١) سورة الأحزاب ٥٦.

(٢) سورة البقرة ٢٢٢.

فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركتناهم وهم يصلون^(١).

العشرون : إني أعلم بمصالح الخلائق وأنتم لا تعلمون .

الواحد والعشرون : إني أعلم ببعثة الأنبياء ، ووجود الصديقين والشهداء ، والأولياء والصالحين ، والعلماء العاملين ، وأنتم لا تعلمون بعددهم وجهادهم ، ودعاءكم ونصرتكم لهم .

الثاني والعشرون : نقل ابن كثير قولاً (تضمن قولهم ﴿أَتَجْعَلُ

فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتَقْدِسُ لَكَ قَالَ إِنْ نِي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) طلباً منهم أن يسكنوا الأرض بدل بني آدم، فقال الله تعالى لهم ﴿إِنْ نِي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم^(٣).

ويلزم الدليل لهذا القول وهو من طبائع الناسوت فوظيفة الملائكة الطاعة المطلقة لله ، والإنشغال بالتسبيح ، والرضا بفضل الله عز وجل بالسكن في السماء ، إنما المختار أن الملائكة سألوا الله عز وجل أن يكون الناس كلهم مؤمنين.

أيهما أكثر في القرآن الجملة الخبرية أو الإنشائية

تقسم الجملة التامة سواء كانت اسمية أو فعلية ، أو شرطية إلى قسمين :

القسم الأول : الجملة الخبرية : التي تتضمن الإخبار عن واقع خارجي ، وتحتمل الجملة الخبرية الصدق والكذب ، ولكن في التنزيل والسنة لا تتضمن الجملة الخبرية إلا الصدق وتفيد الثبات ، وقد حذر القرآن من طرو الكذب على الجملة الخبرية بين المؤمنين

(١) تفسير ابن كثير ٢١٧/١ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢١٧/١ .

بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١)، لبيان وجوه :

الأول : قانون دعوة القرآن المسلمين للتدبر بالإخبار .

الثاني : قانون تنزه المؤمنين عن الخبر الكاذب .

الثالث : قانون موضوعية الخبر في الحياة العقائدية والعامّة للمسلمين .

الرابع : قانون الإيمان والتقوى واقية من الكذب .

وقد تتضمن الآية القرآنية الواحدة الخبر والإنشاء ، مثل ﴿وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢)، والخبر فيها على جهات :

الأولى : الإخبار عن تحقق نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين .

الثانية : نزول خبر النصر من السماء ، فذات النزول خبر لا يحتمل إلا الصدق والحق .

الثالثة : الإخبار عن قانون نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من عند الله سبحانه .

الرابعة : الإخبار عن تحقق النصر في واقعة بدر ، لإفادة الباء الظرفية .

الخامسة : بيان الآية أعلاه لحال المسلمين يوم المعركة وأنهم أذلة .

السادسة : يترشح عن الجمع بين النصر وحال الذلة زوال هذه الذلة والإستضعاف عن المسلمين .

إما الإنشاء في الآية فورد في قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولا

(١) سورة الحجرات ٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

يخصي شكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لله عز وجل على نعمة النصر يوم بدر إلا الله عز وجل .

ليان قانون إحصاء الله لمصاديق كل من الجملة الخبرية والإنشائية ، فلا يعلم أفراد شكر المسلمين لله عز وجل السابقة والحالية واللاحقة في الأجيال القادمة إلا الله عز وجل فهو سبحانه وحده يعلم السابق والحاضر واللاحق.

و(عن أنس قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه -أو قال ساقاه- ف قيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً)^(١).

القسم الثاني : الجملة الإنشائية : وهي التي تتضمن الطلب ، والنهي ، والإستفهام ، والنداء ونحوه ، وليس لها حقيقة ثابتة في الخارج ، فاللفظ هو الذي يوجد النسبة ، فلا تحمل الصدق أو الكذب .

ويمكن تقسيم صيغة الإنشاء إلى شعبتين :

الأولى : الإنشاء الطلبي كالأمر ، والنهي ، والإستفهام ، والنداء .

الثانية : الإنشاء غير الطلبي ولا يستلزم طلباً مثل : المدح ، والذم ، والقسم ، والرجاء ، والتعجب ، والقبول والإيجاب في العقود ونحوها .

وأيهما أكثر في القرآن الجملة الخبرية ومنها آيات الخلق ، القصص ، والأمثال ، والوقائع ، والمعاد .

أم الجملة الإنشائية ومنها الأمر ، والنهي ، والإنشاء غير الطبي .
لا بد من إحصاء آيات القرآن آية آية ، وقد تتضمن الآية عدة جمل خبرية وإنشائية في أن واحد .

وقد تأتي كلمة خبرية تتضمن فعلاً وفاعلاً ومفعولاً به أول ،
ومفعول به ثاني مثل ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ وهي أطول كلمة في القرآن
وردت في الآية ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا
أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾^(١).

والأرجح أن الجمل الخبرية في القرآن أكثر من الإنشائية قال
تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

الجملة الخبرية والإنشائية

يمكن أن أضيف قسيماً ثالثاً للجملة الخبرية والإنشائية في القرآن ،
وهو الجملة الخبرية الإنشائية أي التي تتضمن معنى الخبر والإنشاء في
آن واحد ، كما في أول آية من القرآن بعد البسملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، فهي إخبار ودعاء.

ومن الجمل الخبرية ما تتضمن الإنشاء مثل ، قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ
فِي الدِّينِ﴾^(٤)، فهو خبر بمعنى النهي ، أي لا تكرهوا أحداً على
الدخول في الإسلام لكفاية الحجة والبرهان ، ولقانون الإسلام دين
السلام ، وقانون الإسلام خير محض ، ونعمة دائمة ،

(١) سورة الحجر ٢٢.

(٢) سورة يوسف ١١١.

(٣) سورة الفاتحة ٢.

(٤) سورة البقرة ٢٥٦.

وقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(١)، للوعد والوعيد ، وقوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٢)، ومعنى يتربصن : أي يمكن ، أي يجب أن تمكث المرأة بعد طلاق زوجها ثلاث حيضات بلا نكاح جديد بخصوص المدخول بها من ذوات الحيض غير الحامل.

منافع إحصاء الجمل الخبرية والإنشائية

من إعجاز القرآن أمور :

الأول : قانون تفرع المسائل والقوانين عن كل علم من علومه .
الثاني : قانون تجدد استظهار العلوم والأبواب الكلامية والفقهية والأصولية واللغوية من القرآن .

الثالث : لو سألنا هل العلوم والقوانين والمسائل التي استخرجت من القرآن إلى الآن هي الأكثر أم التي ستستقرأ منه هي الأكثر ، المختار هو الثاني ، ومنها التوسعة في فروع ذات العلوم المستقراة والمستنبطة من القرآن.

وقد قام العلماء بإحصاء السور المكية والسور المدنية ، ولأن هذا الجزء من (معالم الإيمان) يتعلق بـ (علم الإحصاء القرآني غير متناه)^(٣) ، وقد تضمن هذا الجزء إحصاءً جديداً يتعلق بتقسيم الآيات إلى مكية ومدنية ، وكذا كلماتها وحروفها.

ونؤسس هنا لعلم جديد من وجوه :

الأول : إحصاء الجملة الخبرية والجمل الإنشائية في القرآن في كل سورة ، ومجموعها في سور القرآن .

الثاني : إستنباط المسائل والقوانين منها ، وهو من مصاديق قوله

(١) سورة الكهف ٢٩.

(٢) سورة البقرة ٢٢٨.

(٣) لقد صدر الجزء ٢٤٥ والجزء ٢٤٧ من هذا السفر بخصوصه .

تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

الثالث : إحصاء الجمل الخبرية التي يراد منها الإنشاء مثل ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِّمَنُ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ﴾^(٢).

ومن خصائص هذا النوع من الجمل أنها تجمع بين الخبر والإنشاء ويتوجه فيها التكليف لأكثر من طرف ، وعلى حكام المسلمين وولاة الأمور وأهل الحل والعقد تعاهد أنظمة النكاح والطلاق.

إحصاء منافع الحروف المقطعة

من ذخائر القرآن الحروف المقطعة في مطلع تسع وعشرين سورة من القرآن وإكرامها بجعلها آية مستقلة مثل ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣).

ومن الإعجاز في المقام تلقي المسلمين لها بالقبول ، وتلاوتها ، وقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الثواب العظيم في كل حرف منها.

و(عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو جبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة من تمسك به ، ونجاة من تبعه ، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاقرأوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما أني لا

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة البقرة ٢٣٣.

(٣) سورة البقرة ١-٢.

أقول ألم حرف ولكن ألف ولام وميم ثلاثون حسنة^(١).
وتدعو الحروف المقطعة العلماء للوقوف عندها واستنباط المسائل
من أسباب النزول والدلالة والأثر الإعجازي ، وتدخل الحروف
المقطعة في علم الإحصاء وفق الذكاء الإصطناعي .
ولا يدرك هذا العلم كنه الحروف المقطعة إلى جانب موضوعيتها
في الرسم القرآني ، وحفظ المسلمين للقرآن ، ومع مرور أكثر من
ألف وأربعمائة سنة على نزول القرآن فلا زالت الحروف المقطعة
كالطلاسم السماوية.
ومن أسباب نزول الحروف المقطعة أن قريشاً كانوا يصفقون
ويشيرون الضوضاء والصخب عند تلاوة النبي محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم القرآن ، فنزلت الحروف المقطعة في مطالع السور فصاروا
 ينصتون بانبهار ، فتتوالى آيات القرآن.
ومن إعجاز القرآن قانون حمل الآية الناس على الإصغاء لها ،
 خاصة وأن قريشاً وعامة العرب آنذاك أهل بلاغة .
ومن خصائص القرآن أن المدار على عموم معنى الآية القرآنية ،
 وليس سبب النزول وحده وهو من أسرار قانون بقاء الآية القرآنية
 غضة طرية إلى يوم القيامة .

من منافع الحروف المقطعة

من منافع الحروف المقطعة وجوه :

الأول : حمل الناس على الإصغاء للقرآن .

الثاني : صرف أذى وضرر قريش عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الثالث : بيان عجز الناس عن فهم معاني ودلالات الحرف
القرآني ، فلم تأت الحروف المقطعة مستقلة منفصلة بل تتبعها آيات

(١) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢١٥/٣ .

القرآن وما فيها من الأوامر والنواهي ، والخبر والقصة والمثال والوعد والوعيد .

الرابع : الحروف المقطعة أسماء استأثر الله عز وجل بعلمها ، وقيل هي الحروف التي تبني بها الملائكة القصور في الجنة .

الخامس : عجز الناس عن الإتيان بذات الحروف ودلالاتها مع أنها في ميسورهم .

السادس : ترغيب الناس بالإصغاء لآيات القرآن ، والتدبر فيها .
ومن أصل (١١٤) سورة بدأت تسع وعشرون سورة منها بالحروف المقطعة.

السابع : منع الناس من الكلام في القرآن وعلومه بالرأي والاجتهاد الذي لا يستند إلى أصل .

السور التي بدأت بالحروف المقطعة

من أسرار الحروف المقطعة أنها تبعث المسلمين وعامة الناس إلى التدبر بآيات القرآن وعددها (٦٢٣٦) آية مع كثرة كلماتها ، وعدم الوقوف عند الحروف المقطعة.

لتكون هذه الحروف في بدايات عدد من السور مقدمة لفهم معاني وأحكام الآيات واستقراء الذخائر منها .

ولا يحصي عدد الذين تلووا الحروف المقطعة مع التصديق بأنها من عند الله إلا الله سبحانه .

السور التي وردت في مطلعها الحروف المقطعة هي :

الأولى : سورة البقرة.

الثانية : سورة آل عمران.

الثالثة : سورة العنكبوت.

الرابعة : سورة الروم.

الخامسة : سورة لقمان.

السادسة : سورة السجدة.

- السابعة : سورة غافر .
- الثامنة : سورة فصلت .
- التاسعة : سورة الزخرف .
- العاشر : سورة الدخان .
- الحادية عشرة : سورة الجاثية .
- الثانية عشرة : سورة الأحقاف .
- الثالثة عشرة : سورة يونس .
- الرابعة عشرة : سورة هود .
- الخامسة عشرة : سورة يوسف .
- السادسة عشرة : سورة إبراهيم .
- السابعة عشرة : سورة الحجر .
- الثامنة عشرة : سورة الشعراء .
- التاسعة عشرة : سورة القصص .
- العشرون : سورة الأعراف .
- الواحدة والعشرون : سورة الرعد .
- الثانية والعشرون : سورة مريم .
- الثالثة والعشرون : سورة طه .
- الرابعة والعشرون : سورة النمل .
- الخامسة والعشرون : سورة يس .
- السادسة والعشرون : سورة ص .
- السابعة والعشرون : سورة الشورى .
- الثامنة والعشرون : سورة ق .
- التاسعة والعشرون : سورة القلم .



قانون موضوع الآية أعم من سبب النزول

موضوع الآية أعم من السبب الذي نزلت بخصوصه ، فآية الغلول تشمل تنزه الأنبياء عن الخيانة وعن الإستحواذ على المال العام ، خاصة وأن كثيراً من الأنبياء لم يقاتلوا ، وليس عندهم غنائم ، ومع هذا جاءت الآية مطلقة ، وذكرت النبي بصيغة التنكير ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾^(١) لإرادة العموم إلا أن يقال بأن تقدير الآية : وما كان لنبي قاتل وغنم أن يغل.

والأصل العموم لورود الآية في الثناء على الأنبياء ، وعصمتهم من الخيانة والتعدي على المال العام وأموال الزكوات خلصة لإفادة النكرة في مقام النفي العموم.

وتقدير الآية (ما كان لنبي قاتل أو لم يقاتل أن يغل).
(وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : وَضَعَ رَجُلٌ يَدَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَطِيقُ أَنْ أَضَعَ يَدِي عَلَيْكَ مِنْ شِدَّةِ حُمَاكَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ لَنَا الْبَلَاءُ كَمَا يُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يُتْلَى بِالْقَمَلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيُتْلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى يَأْخُذَ الْعِبَادَةُ فَيُخَوِّنَهَا وَإِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا تَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ)^(٢).

والمختار أن موضوع الغلول هو الخيانة في الغنائم والمال العام إذ ورد (عن معاذ بن جبل قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فلما سرت أرسل في أثري فرددت.

(١) سورة آل عمران ١٦١ .

(٢) مسند أحمد ٢٤/٣ .

فقال : أتدري لم بعثت إليك؟ لا تصيين شيئاً بغير إذني فإنه غلول ﴿وَمَنْ يُغْلِلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١) لهذا دعوتك ، فامض لذلك.

وأخرج عبد الرزاق في المصنف وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غنم مغنماً بعث مناديه يقول : ألا لا يغلن رجل مخيطاً فما فوقه ، ألا لا أعرفن رجلاً يغل بغيراً يأتي به يوم القيامة حامله على عنقه له رغاء ، ألا لا أعرفن رجلاً يغل فرساً يأتي به يوم القيامة حامله على عنقه له حممة^(٢).

ألا لا أعرفن رجلاً يغل شاة يأتي بها يوم القيامة حاملها على عنقه لها ثغاء يتبع من ذلك ما شاء الله أن يتبع . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : اجتنبوا الغلول فإنه عار ، وشنار ، ونار^(٣).

و(عن عدي بن عميرة الكندي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس من عمل منكم لنا في عمل فكتمنا منه مخيطاً فما فوقه فهو غل وفي لفظ فإنه غلول يأتي به يوم القيامة)^(٤). ومن معاني قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾^(٥)، أي لم يغل ، ويختلس من أموال المسلمين.

﴿كُنْ بَاءً سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(١)، أي الذي غل واختلس وسرق. وسرق.

(١) سورة آل عمران ١٦١.

(٢) الحممة : صوت الفرس دون الصهيل لإرادة الفضح بين الخلائق .

(٣) الدر المنثور ٢/ ٤٧٥ .

(٤) الدر المنثور ٢/ ٤٧٦ .

(٥) سورة آل عمران ١٦٢.

و(عن عبادة بن الصامت : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين وبرة من بعير ، ثم قال : أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخيط والمخيطة وإياكم والغلول فإنه عار على أهله يوم القيامة .

وعليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكره الأنفال ، ويقول : ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم^(١) .

وفي حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ألا لا يغلن أحد فرسا فيأتي يوم القيامة به على ظهره له حممة فيقول : يا محمد يا محمد ، فأقول : قد بلغت قد بلغت قد بلغت ، فلا أملك لك من الله شيئاً)^(٢) .

وهل يشمل ميزان الحسنات والسيئات ورجحان أحدهما الذي يسرق المال العام ، الجواب نعم ، ولكن بعد مواطن عديدة يحمل فيها ثقل ما استحوذ عليه من المال العام .

وإذا كان يحمل الشاة ولها ثغاء ، والفرس ولها حممة لترى الخلائق قبيح ما فعله في الدنيا ، فالذي يسرق الأموال الورقية هل لها صوت ينبه الخلائق إلى غله أم لا .

المختار هو الأول ، فلا بد من جرس ونحوه يلفت أنظار أهل المحشر إليه وإلى مقدار وثقل ما أخذه غيلة من المال العام بلحاظ كفه وثقله ووطأته ، وهل يساعده أحد على هذا الحمل من الأبناء أو الأتباع ، الجواب لا ،

(١) سورة آل عمران ١٦٢ .

(٢) الدر المنثور ٤٢/٥ .

(٣) البحار ٦٨/٧ .

ليتجلى مصداق واقعي لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(١).

قانون تلقي أخبار السماء بالقبول

ورد لفظ (رسله) بالإضافة الى الله تعالى سبع عشرة مرة في القرآن وقد تكرر في ثلاث آيات من ثلاث سور متتاليات هي البقرة وآل عمران والنساء.

وتبين قراءة هذه الآيات تباين نظر الناس للرسالة وهم على مشارب شتى هي :

الأول : الإيمان بالرسل من غير تفريق وتمايز بينهم.

الثاني : الإقرار ببعض الرسل دون بعضهم الآخر.

الثالث : الإعتراف بالله عز وجل إلهاً مع نفي النبوة ، كما في البراهمة.

الرابع : الكفر بالله ورسله جحوداً وضلالة وعناداً.

الخامس : العداوة للرسل ويدل عليه قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٢).

السادس : الكفار الذين عصوا الرسل فيما جاءوا به من عند الله ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾^(٣).

لقد فاز المؤمنون من أيام آدم وإلى يومنا هذا بالتصديق بما جاء به الأنبياء والرسل من عند الله عز وجل ، لذا ورد الثناء على المؤمنين في آيات كثيرة من القرآن مع البشارة لهم ، قال تعالى

(١) سورة عبس ٣٤-٣٧ .

(٢) سورة البقرة ٩٨ .

(٣) سورة هود ٥٩ .

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

وقد ورد لفظ المؤمنات في القرآن ثماني عشرة مرة ، تتضمن الثناء
عليهن ، والبشارة لهن ، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

وفيه شهادة لهن بحسن اختيار الإيمان ، ووجوب الرأفة
والإحسان إليهن ، وفيه الأجر والثواب .

وورد لفظ المشركات فيه ثلاث مرات ، مرتين بالجمع بينهما وبين
المنافقين والمنافقات والمشركون ، مع الوعد الكريم للمؤمنين
والمؤمنات ، قال تعالى ﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا﴾^(٣).

ومرة بخصوص حرمة نكاحهن ، ولم يرد في القرآن لفظ
الكافرات وهو من الإعجاز للتمييز بين المشركة والكتابية في باب
النكاح وغيره.

والنسبة بين الكافرات والمشركات عموم وخصوص مطلق
فالكافرات أعم ، لبيان قانون ورود المشركات في باب الوعيد

(١) سورة التوبة ٧١.

(٢) سورة التوبة ٧٢.

(٣) سورة الأحزاب ٧٣.

بالعذاب يشمل الكافرات أيضاً ، وكذا فان ذم الكافرين بصيغة جمع المذكر وحدها شاهد على شمول الإناث الكافرات أيضاً .

الملائكة في الآخرة

لم تقف الصلة بين الملائكة والناس بالحياة الدنيا بل تشمل عالم الآخرة ، إذ يحضر الملائكة إما للشهادة أو للقيام بوظائف منها خدمة أهل الجنة ، أو عذاب أهل النار ، وأيضاً لا يحصي عددهم وكثرتهم ووظائفهم إلا الله عز وجل .

وهل ينطبق عليهم في الآخرة قوله تعالى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) ، أم أن الآخرة تكون لهم دار جزاء من غير عمل كما هو حال الناس ، الجواب هو الأول ، خاصة وأن كثيراً من الملائكة يستعدون من أيام الحياة الدنيا لما يأمرهم الله عز وجل به في الآخرة .

ومن الآيات في المقام جمعهم في الآخرة بين أمور :

الأول : قانون مداومة الملائكة على التسبيح .

الثاني : قانون إتيان الملائكة لما يأمرهم الله عز وجل بأتم وجهه ، قال تعالى ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾^(٢) .

الثالث : قانون استدامة عمل الملائكة من غير ملل أو كلل .

ويكون حال الملائكة في الآخرة على وجوه :

الأول : إنقطاع عمل طائفة من الملائكة في الدنيا ، وليس لهم حضور في الآخرة .

الثاني : حضور طائفة من الملائكة في الآخرة للشهادة على الناس بعد ضبط أقوالهم وأفعالهم فيها .

(١) سورة النحل ٥٠ .

(٢) سورة التحريم ٦ .

وهل يكون هذا الضبط بالتدوين من قبل الملائكة أم بالحفظ بالذات .

المختار هو الأول ، وفي الخبر (عن أصبغ بن نباته قال: إن سلمان قال لي: اذهب بي إلى المقبرة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا سلمان سيكلمك ميت إذا دنت وفاتك .

فلما ذهبت به إليها ونادى الموتى أجابه واحد منهم، فسأله سلمان عما أرى من الموت وما بعده فأجابه بقتصص طويلة، وأحوال جليلة.

وردت عليه إلى أن قال : لما ودعني أهلى وأرادوا الانصراف من قبري أخذت في الندم.

فقلت : يا ليتني كنت من الراجعين.

فأجابني مجيب من جانب القبر ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١).

فقلت له : من أنت ، قال : أنا منبه أنا ملك وكلني الله عز وجل بجميع خلقه لانبيهم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدي الله عز وجل.

ثم إنه جذبني وأجلسني وقال لي : اكتب عملك ، .
فقلت : إني لا أحصيه .

فقال لي : أما سمعت قول ربك ﴿أَخْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾^(٢).

ثم قال لي : أكتب وأنا أملئ عليك.

فقلت : أين البياض ، فجذب جانبا من كفني ، فإذا هو ورق.

فقال : هذه صحيفتك ، فقلت : من أين القلم .

(١) سورة المؤمنون ١٠٠.

(٢) سورة المجادلة ٦.

فقال : سبابتك ، قلت : من أين المداد.

قال : ريقك، ثم أملى علي ما فعلته في دار الدنيا ، فلم يبق من أعمالى صغيرة ولا كبيرة إلا أملاها كما قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١).

ثم إنه أخذ الكتاب وختمه بخاتم وطوقه في عنقي فخیل لي أن جبال الدنيا جميعا قد طوقوها في عنقي.
فقلت له : يا منبه ، ولم تفعل بي كذا.

قال : ألم تسمع قول ربك ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ * أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا^(٢).

فهذا تخاطب به يوم القيامة ويؤتى بك وكتابك بين عينيك منشورا تشهد فيه على نفسك. ثم انصرف عني^(٣).

وعن الحسن البصري (قال : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ، ووكل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك ، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة)^(٤).

الثالث : قيام طائفة من الملائكة بوظائف في الدنيا وأخرى في الآخرة.

(١) سورة الكهف ٤٩.

(٢) سورة الإسراء ١٣-١٤.

(٣) البحار ٥٦/٢٣٥.

(٤) الدر المنثور ٦/٢٤٢.

الرابع : خلق الله عز وجل لطائفة من الملائكة للآخرة ، وأخرى في الآخرة ، وفي التنزيل ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(١).

الخامس : خزنة الجنة وهم ملائكة يتعهدون أمور الجنة ، ويتولون العناية بها ، ويتظرون قدوم أهلها من المؤمنين ويعملون على تهيئة أسباب الضيافة والإكرام لهم من السكن والمأكل والمشرب والملبس ، وزمراً أي جماعات ممن ينتهي حسابه ، وترجح كفة ميزانه ، وهم متفاوتون في تقربهم إلى الجنة ، وقربها منهم بحسب اجتهادهم في التقوى والصلاح ، قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٢).

و(عن سهل بن سعد قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف الجنة حتى انتهى ، ثم قال : فيهما ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٣)^(٤).

وجاء ذكر خزنة الجنة في الآية أعلاه بصيغة الجمع ﴿خَزَنَتُهَا﴾ وورد في الخبر أن اسم الملك خازن الجنة (رضوان) في مقابل (مالك) خازن النار .

و(عن زر بن حبیش ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل شيء قلباً ، وإن قلب القرآن يس ومن قرأ يس وهو يريد بها الله عز وجل غفر الله له ، وأعطي من

(١) سورة الذاريات ٤٧.

(٢) سورة الزمر ٧٣.

(٣) سورة السجدة ١٦.

(٤) الدر المنثور ١١٣/٨.

الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة ، وأما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف من سورة يس عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ، ويستغفرون له ، ويشهدون غسله ، ويشيعون جنازته ، ويصلون عليه ، ويشهدون دفنه ، وأما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها ، وهو على فراشه ، فيقبض ملك الموت روحه وهوريان ، فيمكث في قبره وهوريان ، ويبعث يوم القيامة وهوريان ، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان^(١).

ولا يحصي عدد الملائكة ولا وظائفهم إلا الله عز وجل .

نزول رضوان

وفي قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي أَنْشَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قَصُورًا ﴾^(٢)

قال القرطبي (ويروى أن هذه الآية أنزلها رضوان خازن الجنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الخبر : إن رضوان لما نزل سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا محمد رب العزة يقرئك السلام وهذا سبط فإذا سبط من نور يتلأأ يقول لك ربك : هذه مفاتيح خزائن الدنيا مع أنه لا ينقص مالك في الآخرة مثل جناح بعوضة .

فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كالمستشير له فضرب جبريل بيده الأرض يشير أن تواضع .

(١) القضاعي / مسند الشهاب ٩١/٤ .

(٢) سورة الفرقان ١٠ .

فقال (يا رضوان لا حاجة لي فيها الفقر أحب إلي وأن أكون عبدا صابرا شكورا) فقال رضوان : أصبت الله لك^(١).

وعلى فرض ثبوت هذا الخبر فإن من الآيات ما ينزل بها غير جبرئيل والذي يكون حاضراً عند هذا النزول ، ولم يذكر القرطبي رجال سند للخبر ، خاصة مع بعده عن أيام التنزيل ومحلّه .

إذ أنه ولد وعاش أيام شبابه في قرطبة من بلاد الأندلس ، وبعد سقوطها غادر إلى مصر نحو سنة ٦٣٣ هجرية واستقر في المنيا من مصر وتوفى فيها في شهر شوال من السنة ٦٧١ هجرية .

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال (إذا كان يوم القيامة نظر رضوان خازن الجنة إلى قوم لم يمروا به فيقول: من أنتم ؟ ومن أين دخلتم ، قال: يقولون: إياك عنا فإننا قوم عبدنا الله سرا فأدخلنا الله سرا)^(٢).

خزنة النار

مثلما جعل الله عز وجل للجنة خزنة فانه سبحانه جعل للنار خزنة ، وقد ورد ذكرهم في القرآن على شعب :

الأولى : ذكر عدد الملائكة القائمين على النار ، (عن البراء أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال : الله ورسوله أعلم ، فجاء فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعته ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٣)^(٤).

(١) تفسير القرطبي ٩/١٣ .

(٢) البحار ١٤٦/٨ .

(٣) سورة المدثر ٣٠ .

(٤) الدر المنثور ١٠/١٣٥ .

الثانية : ذكر خزنة النار بصيغة الجمع ، قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١) ، كما يقوم خزنة النار بالاحتجاج على الذين كفروا ﴿كَلَّمَ الْقَبِيَّ فِيهَا فَوَجَّهَ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾^(٢).

الثالثة : تفضل الله عز وجل بذكر اسم الملك القائم على النار وهو (مالك) قال تعالى ﴿وَادَّأُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُوزُونَ﴾^(٣).

الرابعة : الزبانية : الذين يدفعون المجرمين إلى النار دفعاً ، مشتق من الزبن وهو الدفع بشدة ، قال تعالى ﴿سَدَّعُ الزَّبَانِيَّةَ﴾^(٤) ، أي ملائكة غلاظ لعذاب الكافرين .

يقال (ناقة زبون دفعوع . وزبنتها كحزقة رجلاها ، وحرب زبون : يدفع بعضها بعضاً كثرة . وزابنه : دافعه)^(٥) .
وهناك مسألان :

الأولى : هل خزانة الجنة والنار أيام الحياة الدنيا القائمين على كل منهما في الدنيا هم أنفسهم في الآخرة ، إذ أن المشهور والمختار أن الجنة والنار مخلوقتان الآن .

الثانية : هل يتضمن عمل الملائكة دخولهم النار من غير أن تمسهم ، أم أنهم يوجهون الأعمال من خارجها .

(١) سورة الزمر ٧١.

(٢) سورة الملك ٨.

(٣) سورة الزخرف ٧٧.

(٤) سورة العلق ١٨.

(٥) القاموس المحيط ٣/٣٣١ .

أما المسألة الأولى ، فالجواب نعم ، ومما يدل عليه ما ورد عن عبد الله بن عمرو (قال : خرج علينا رسول الله صلى عليه وسلم يوماً كالمودع فقال : أنا محمد النبي الأمي ، أنا محمد النبي الأمي ، أنا محمد النبي الأمي ، ولا نبي بعدي).

أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ، وعلمت خزنة النار وحملة العرش ، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذهب بي فعليكم كتاب الله ، أحلوا حلاله وحرّموا حرامه^(١).

وأما الثانية فالمختار أن الملائكة لا تمسهم ولا تؤذيهم النار وإن دخلوا فيها لبعض الأعمال التي يؤمرون بها ، خاصة وأن وهجها وحرها يحس بشدته من مكان بعيد بينما يخاطب أهلها مالك (يا مالك).

وفي سلامتهم من حر النار مثال في الحياة الدنيا إذ ورد قوله تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢)، إذ تخلفت النار عن الإحراق الإحراق خرقاً لقانون العلة والمعلول في واقعة مخصوصة بأمر من عند الله عز وجل ولتكون سلامة الملائكة من حر النار بين أهلها مما يزيدهم عذاباً وحسرة .

فتنة القبر

حالما يدخل الإنسان قبره يأتيه الملكان منكر ونكير يختبرانه ويسألانه عن دينه ، وعن عمله في الدنيا ، وهذا السؤال هو فتنة القبر .

والنسبة بين فتنة القبر وعذاب القبر عموم وخصوص مطلق ، فالفتنة أعم ، ويأتي بعدها عذاب القبر لمن يستحقه إلا إذا كان قد اجتهد

(١) الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ .

(٢) سورة الأنبياء ٦٩ .

بالإستغفار ، قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَفَنَّا لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(١).

و(عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: كيف أنت إذا رأيت منكراً ونكيراً. قال : وما منكرو ونكير .

قال : فتأنا القبر ، أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، يطآن في أشعارهما ويخفران بأنيا بهما معهما عصاً من حديد ، لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها)^(٢).

ومن إعجاز القرآن ذكر المتقين على نحو الخصوص ، قال تعالى ﴿وَأُزْنِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) ، أي تقرب منهم فليس ثمة مسافة ليسهل ويعجل بدخولهم لها .

وعن الإمام علي عليه السلام قال (يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عINAN تجريان ، فعمدوا إلى احداهما فشربوا منها ، فذهب ما في بطونهم من أذى أو قذى وبأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها ، فجرت عليهم نضرة النعيم .

فلن تغير أبشارهم بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى خزانة الجنة فقالوا ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٤).

(١) سورة طه ٨٢.

(٢) الدر المنثور ٦/٦٠.

(٣) سورة الشعراء ٩٠.

(٤) سورة الزمر ٧٣.

ثم تلقاهم الولدان يطوفون بهم كما يطيف أهل الدنيا بالحميم ،
فيقولون : ابشر بما أعد الله لك من الكرامة .

ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور
العين ، فيقول : قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا .
فتقول : أنت رأيته .

فيقول : أنا رأيته ، فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها ،
فيإذا انتهى إلى منزله نظر شيئاً من أساس بنيانه فإذا جنبد اللؤلؤ
فوقه أخضر ، وأصفر ، وأحمر ، من كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر
إلى سقفه فإذا مثل البرق . ولولا أن الله تعالى قدر أنه لا ألم لذهب
ببصره^(١) .

الجمع بين العطف والإستئناف

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرِّ^(٢)﴾ ، قد تقدم الكلام يوم أمس في
الواو (ولقد) إذ قالوا انها للإستئناف .

والمختار علم مستحدث وهو أنها واو عطف واستئناف ، عطف
بلحاظ نظم الآيات واتحاد الخطاب في آية البحث والآية السابقة ﴿إِذْ
هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ فُتِنَا بِاللَّهِ وَنَفَسَا عَلَيْهِمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) ، وهي واو استئنافية لإستقلال موضوع الآية .

لفتح علم جديد في إعراب ودلالة اللفظ القرآني بخصوص كل
حرف عطف هل يتضمن الإستئناف وكذا العكس أي هل يتضمن
حرف الإستئناف العطف مثل الواو والفاء ، وثم وغيرها .

(١) الدر المنثور ٨/ ٤٨٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٢ .

فاذا ثبت قولي هذا وهو مستقرأ من تعدد معاني اللفظ القرآني بأن حرف العطف قد يأتي في القرآن للعطف والاستئناف معاً ، فلا بد من إعادة إعراب اللفظ القرآني ، واستقراء مسائل وقوانين كلامية وبلاغية ونحوه مستحدثة من دلالاته .

وعن الإمام علي عليه السلام في وصيته لابن عباس (لا تخصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه)^(١).

ويدرس علماء النحو والتفسير معاً من جديد كل حرف عطف في القرآن بالدليل والقرينة هل هو :

الأول : حرف عطف .

الثاني : حرف استئناف .

الثالث : حرف عطف واستئناف بالدليل .

أما اللام في لقد فقد قالوا انها حرف واقع في جواب قسم مقدر ، ولم يثبت هذا القسم ، ولو دار الأمر بين ثبوت هذا القسم وعدمه ، فالأصل عدمه .

وقد ورد في القرآن لفظ ﴿لَقَدْ﴾ أربعاً وخمسين مرة ، ولفظ ﴿وَلَقَدْ﴾ مائة وتسعاً وعشرين مرة ، أي بعددها يكون قسم محذوف ولا أصل له خاصة وأنه من شرائط لام القسم المحذوف وقوع نوع التوكيد بعدها سواء كانت ثقيلة أو حقيقة.

واستدل عليه بقوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّمْهُمْ قِسِيسِينَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

والتقدير : والله لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا)

(١) البحار ٢/ ٢٤٥ .

(٢) سورة المائدة ٨٢ .

كتب الله والله لأغلبن أنا ورسلي .
ولكن معنى كتب أي فرض فلا تصل النوبة للقسم .
وتقدير القسم المحذوف : والله لقد نصركم الله والله لأغلبن أنا
ورسلي .

والمختار حتى هذه الآية ليس فيها قسم محذوف إنما هي لام
التوكيد ، وكذا في موارد عديدة تأتي فيها اللام مثل ﴿كَتَبَ اللَّهُ
لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(١) ، وأن اللام جواف قسم محذوف .

ليتجلى قانون علوم القرآن أعم من القواعد العلمية الوضعية .
ونقترح إعادة النظر بالمرورث النحوي وفق قراءة قرآنية أوسع
لأن النسبة بين معاني اللفظ القرآن وإعرابه المتحد عموم وخصوص
مطلق ، لتعدد معاني اللفظ القرآني وموقعه في الجملة .

من معاني حرف الباء

قال تعالى ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِبَعُوثِينَ﴾^(٢) .
الآية توثيق وتبكيك لظن الدهرية وطائفة من الزنادقة بقولهم أرحام
تدفع وأرض تبلع .

وموضوعنا هنا حرف الباء في (بمبعوثين) ، إذ يذكر في الصناعة
النحوية أنه حرف زائد ، وهو قول مخالف لفلسفة وقدسية التنزيل
وقول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن في قراءة كل حرف
عشر حسنات .

إذ ورد (عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: إن هذا القرآن مادبة الله تعالى .

(١) سورة المجادلة ٢١ .

(٢) سورة الأنعام ٢٩ .

فتعلموا من مآدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة من تمسك به ونجاة من تبعه ، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعجب ولا تقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد.

فاقرأوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة ، أما أني لا أقول ألم حرف ولكن ألف ولام وميم ثلاثون حسنة^(١). ولحرف الباء أربعة عشر معنى ، منها الإلصاق وحصر سيبويه معناها به ، وليس بتمام ، لقانون تعدد معنى الحرف القرآني ، وهو الذي تدل عليه اللغة وذخائر التفسير .

ومنها المصاحبة ، والسببية ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾^(٢) ، والتبعية ﴿وَأَمْسَحُوا بَرُءُ مِنْكُمْ﴾^(٣) ، أي ببعض الرأس ، كما عن الإمام الباقر عليه السلام.

والإستعانة ومنه (بسم الله) ، والظرفية ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾^(٤) ، ومنها باء التوكيد التي سميت زائدة لأن حذفها لا يخل بالمعنى.

وأعراب الآية أعلاه من سورة الأنعام :

(وما) الواو عطف ، و(ما) نافية تعمل عمل ليس .

نحن : ضمير منفصل مبني في محل رفع اسم (ما).

الباء قيل زائدة ولكنها تفيد التوكيد.

والمختار عدم وصف الباء في القرآن بالزائدة إنما يقال أنها

للتوكيد ، ففي قراءتها عشر حسنة .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢١٥/٣ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٠.

(٣) سورة المائدة ٦.

(٤) سورة آل عمران ١٢٣.

مبعوثين : خبر (ما) مجرور لفظاً منصوب محلاً وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم ، لذا لا بد أن يشترك علماء التفسير في إعراب القرآن.

ومن إعجاز القرآن عجزنا عن تعدد معاني حروفه لتعددتها من جهات :

الأول : المعنى اللغوي ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

الثاني : المعنى النحوي ، فمثلاً إذا كان لحرف الباء أربعة عشر معنى ، فننظر أي من هذه المعاني تناسب الحرف أربعة أو خمسة أو أكثر منها ولا نقف عند معنى واحد. وتصل معاني حرف اللام إلى خمسة عشر معنى ، وقد تقدم في تفسير (آيات الصيام).

الثالث : المعنى البلاغي .

الرابع : المعنى الأصولي .

انتفاء موضوع الجزية

قال تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٢).

ولم يرد لفظ ﴿الجزية﴾ في القرآن إلا في هذه الآية ، وفيها إكرام لأهل الكتاب وبقاؤهم على ديارتهم ، لأن المسلمين يخرجون في السرايا يقتلون ويدافعون عن أهل الكتاب وعقيدتهم وأموالهم ،

(١) سورة يوسف ٢.

(٢) سورة التوبة ٢٩.

وأهل الكتاب يواصلون العمل بالتجارة والصناعة ، ولا يخرجون للثغور والمرابطة كما في معركة أحد في شوال من السنة الثالثة للهجرة ، ومعركة الخندق في شوال من السنة الخامسة.

فلو تمكن المشركون من اقتحام المدينة المنورة فانهم لا يفرقون بين مال مسلم أو يهودي في النهب والتخريب وفي سبي النساء والصبيان وقد جاءوا للثأر مما لحقهم من الخسارة والخزي في معركة بدر خصوصاً وأن يهود المدينة كان لهم عقد صلح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسمى ميثاق المدينة ، وكانت عندهم أسواق خاصة بهم ، منها أسواق لأدوات الزراعة وأسواق للذهب .

فالجزية ضريبة قليلة مقابل حمايتهم والدفاع عنهم ، ولا يجبرون على دخول الإسلام لذا سموها بأهل الذمة أي في ذمة الإسلام والمسلمين .

ومن كتاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل اليمن (ومن كره الإسلام من يهودي أو نصراني فانه لا يحول عن دينه وعليه الجزية).

أي عليه الجزية للدفاع عنه وضبط الأمن وتقديم الخدمات.

(وعن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجزية عن يد قال : جزية الأرض والرقبة ، جزية الأرض والرقبة)^(١).

أما لفظ ﴿صَاغِرُونَ﴾ فمتعلق بأول الآية وهو الخرابة وقتال المسلمين وليس المواطنين في هذا الزمان المتساوين في الحقوق والواجبات .

و(عن الزهري قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس أهل هجر ، ومن يهود اليمن ونصاراهم من كل حالم دينار)^(١).

ولا تؤخذ الجزية من النساء ، والصبيان ، والرهبان ، ورجال الدين ، وذوي العاهات كالأعمى والأعرج ، والفقراء ، والشيخ .
وقد انتهى حكم الجزية في هذا الزمان لتبدل الموضوع بأن صارت أحكام الدول على أساس المواطنة والمساواة في الحقوق والواجبات وفق الدستور والقوانين والأنظمة ، وإذا انتهى الموضوع انتهى الحكم.

فلا أقول أن حكم الجزية تعطل ، إنما موضوعه متف في هذه الأزمنة ، فلا جزية في البين ، وأضرب لكم مثلاً وهو أحكام عتق رقبة في القرآن.

وإذ لم يرد لفظ ﴿الْجِزْيَةُ﴾ إلا مرة واحدة في القرآن ، فقد ورد لفظ ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ خمس مرات في القرآن منها ثلاثة في آية واحدة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فْتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ تَوْبَةٌ مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢).

(١) الدر المنثور ٤٩/٥ .

(٢) سورة النساء ٩٢ .

وليس من تحرير وعتق رقبة في هذا الزمان لانتفاء موضوعه ،
كما ورد الثواب العظيم في عتق رقبة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ *
فَكُرْبَةُ * أَوْ إِطْعَامُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾^(١) ، وفك رقبة : أي عتقها .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انتفاء الرق
في الإسلام ، وانتفاء حكم الجزية .

وقد وقعت الحرب المؤلمة بين العراق وإيران لثمان سنوات من
سنة ١٩٨٠م وكان في جيش إيران نصارى وسقط عدد منهم قتلى ،
وكان في جيش العراق نصارى أيضاً ، ووقع منهم قتلى .
كما جاءت جيوش الحلفاء للعراق سنة ٢٠٠٣ وفيها ضباط
وجنود مسلمون قاتلوا تبعاً للأنظمة والقوانين في هذه البلدان .

معجزة بر الوالدين قرآناً وسنة

بر الوالدين اصطلاح عام يتضمن الإحسان إلى الأب والأم ،
والرفق بهما ، وطاعتهما في مرضاة الله ، وإعانتتهما مع الحاجة إلى
هذه الإعانة بالمال والوقت والجهد ، وإظهار الود واللفظ بهما ،
وإكرامهما عند حضورهما أو مع غيبتهما ، أو غيبة أحدهما .

ومن الإعجاز في المقام جعل الله عز وجل الإحسان للوالدين
مقترناً بطاعته ، قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا
قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٢) .

وورد لفظ (إحساناً) أعلاه بصيغة النكرة في سياق الإثبات والتي
تفيد الإطلاق ، وقيل أنها لا تفيد الإطلاق إلا مع القرينة الدالة على

(١) سورة البلد ١٢-١٤ .

(٢) سورة الإسراء ٢٣ .

العموم ، وهي ظاهرة في الآيات منها قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ﴾^(١) ومنها ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وبر الوالدين جاءت به كل الشرائع السماوية .

و(عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كان فيما أعطى الله موسى في الألواح الأول في أول ما كتب عشرة أبواب : يا موسى لا تشرك بي شيئاً فقد حق القول مني لتلفحن وجوه المشركين النار ، واشكر لي ولوالديك أقك المتالف ، وانساً في عمرك ، وأحييك حياة طيبة وأقبلك إلى خير منها.

ولا تقتل النفس التي حرمت إلا بالحق فتضييق عليك الأرض برحبها والسماء باقطارها وتبوء بسخطي والنار ، ولا تحلف باسمي كذباً ولا آثماً فإنني لا أطهر ولا أزكي من لم ينزهني ويعظم أسمائي . ولا تحسد الناس على ما أعطيتهم من فضيلي ، ولا تنفس عليهم نعمتي ورزقي فإن الحاسد عدو نعمتي راد لقضائي ساخط لقسمتي التي أقسم بين عبادي ، ومن لم يكن كذلك فلست منه وليس مني . ولا تشهد بما لم يسمعك ويحفظ عقلك وتعقد عليه قلبك ، فإنني واقف أهل الشهادات على شهادتهم يوم القيامة ثم سألهم عنها سؤلاً حثيثاً.

ولا تزن ، ولا تسرق ، ولا تزن بجليلة جارك فأحجب عنك وجهي ، وتغلق عنك أبواب السماء ، وأحجب للناس ما تحب لنفسك ، ولا تذبجن لغيري فإنني لا أقبل من القربان إلا ما ذكر عليه

اسمي وكان خالصاً لوجهي ، وتفرغ لي يوم السبت وفرغ لي نفسك وجميع أهل بيتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله جعل السبت لموسى عيداً ، واختار لنا الجمعة فجعلها لنا عيداً^(١).

تجلى بر الوالدين في الإسلام بقوانين دقيقة مع بيان عظيم شأنه في الواقع اليومي ، والأجر العظيم لمن يبر ويحسن إلى والديه .

وتضمنت السنة النبوية البيان والتفصيل في كيفية بر الوالدين .

وعن (عبد الله بن عمرو بن العاص) قال : أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة أو الجهاد أبتغي الأجر من الله . قال : فهل من والدك أحد حي .

قال : نعم بل كلاهما .

قال : فتبتغي الأجر من الله .

قال : نعم . قال : فأرجع إلى والدك فأحسن صحبتهما^(٢).

والنسبة بين مكارم الأخلاق وبر الوالدين هي العموم والخصوص المطلق ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بعثت لاتم مكارم الأخلاق)^(٣).

ولا يستطيع الناس الإحاطة علماً بمنافع بر الوالدين في الدنيا والآخرة ، ليكون من باب الأولوية أمور :

الأول : عجز الناس عن إحصاء منافع بر الوالدين في الدنيا ومنها سبل الهداية والصلاح وحسن السمات .

الثاني : عجز الناس عن إحصاء منافع بر الوالدين في الآخرة .

(١) الدر المنثور ٤/٣١٧ .

(٢) سنن البيهقي ٢/٣٩٨ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٢٠٧ .

الثالث : تخلف الخلائق عن إحصاء ما صرفه القرآن والسنة من عقوق الوالدين .

لقد قرن الله عز وجل بر الوالدين بعبادته لبيان أنه طريق سالكة للعبادة ، وسبب ليرثها اللاحق من السابق ، قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١).

وحسن معاملة الوالدين واللفظ بهما من الآداب والخلق الحميد ، ليكون من ثمرات الشريعة الإسلامية إكرام المسلم في كبره وهرمه على نحو يومي متجدد ومن داخل أسرته ، وضبط الأنظمة الاجتماعية في العالم بوضع كلمات من التنزيل وهو من إعجاز القرآن .

مكارم الأخلاق

من العصمة اتصاف النبي بالخصال الاخلاقية والتربية الحميدة، فمن لطف الله تعالى بالأنبياء والناس ان يصلح النبي منذ صباه في سيرته وسمته واخلاقه كي لا يتردد الناس في اتباعه أو يطرحون الشكوك بالاستصحاب الباطل الذي نقض بالنبوة والدعوة الى الله عز وجل ، ومن هذه الخصال ملكة الصبر والتقوى والاستقامة. فمع التوبة والبعثة النبوية لا اعتبار لما صدر من الإنسان من المعصية والذنوب والتعدي.

ولكن الله يخفف عن النبي والناس جميعاً بعصمة النبي وتنزيهه من صباه، فلا يرى الناس في سيرته الا الخير والبر والصلاح. ولقد سمى الناس النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة (الصادق الامين) وهذا الوصف من مقدمات النبوة ومن فضل الله تعالى في إصلاح النبي لمراتب الرسالة الرفيعة، فهذا اللقب انتزعه بالتوفيق لحسن خلقه وسيرته وسط مجتمعات الغزو والقتل وعبادة الاصنام وشيوع المنكرات والفواحش.

ومن الدلائل الباهرة انه لم يخرج عن هذا الوصف أيام النبوة لا في قوله ولا في فعله فيعلم الناس تلك الحالة جرياً وانطباقاً بصدق دعواه النبوة، بل ان النبوة نفسها تصدق نفسها وتثبت صدقه .

فالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يثبت بنفسه النبوة وهي تثبت وتؤكد صدقه بالآيات القاهرة والمعجزات الظاهرة والحجج الدامغة ومنها آيات القرآن.

وفي الحديث المشهور ، والضعيف سنداً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أدبني ربي فأحسن تأديبي)^(١).

ابتداء الدعوة إلى الإسلام

لقد ابتدأت رسالة الإسلام في مكة ومن جوار البيت الحرام ليكون قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)، مقدمة لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم العالمية.

وكان النبي يؤدي الصلاة في المسجد الحرام ويتلو آيات القرآن ، وكان النبي إذا رأى غريباً يأتي للبيت الحرام لأداء العمرة ونحوه جلس بجانبه وأخبره عن رسالته وتلا عليه القرآن ، وأمره أن يستر أمره خشية أذى قريش ليكون رسولاً إلى بلده وقريته .

ومن الإعجاز في المقام مسائل :

الأولى : قصر الآيات المكية مثل ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣٣٢/١٢.

(٢) سورة البقرة ١٢٧.

بِالصَّبْرِ^(١) ، في الوقت الذي فيه عدد كلمات آية الدين ١٢٩ كلمة من ٥٥١ حرفاً.

الثانية : إتصاف العرب بسرعة الحفظ ليدلهم الله بالأشعار في سوق عكاظ بآيات القرآن ، وما فيها من الإعجاز من الأمر الخارق للعادة ، المقرون بالتحدي ، السالم عن المعارضة .

الثالثة : اجتماع الإنذار مع القصر في الآيات المكية ، كما في قوله تعالى ﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * تَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ * ثُمَّ تَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ تَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ^(٢) .

بحث كلامي

مع قلة كلمات الآية ﴿بَلْ اللَّهُ مُوَلَّاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ^(٣)﴾ ، فإنها تجعل المسلم حين يتلوها أو يسمعها في روضة ناضرة ، وتغمر نفسه بهجة وغبطة لما فيها من وجوه:

الأول : إبتداء الآية بحرف الإضراب (بل) وما فيه من القطع والتوكيد وإبطال الضد.

الثاني : الإخبار السماوي بأن الله عز وجل هو ولي المسلمين والمسلمات ، ومن الآيات أن هذا الإخبار يطل على الناس كل يوم يدعوهم للإيمان ، وينهى عن محاربة الإسلام ، والتي لا تجلب إلا الخيبة والخسران ، لذا تعقبها آية القاء الرعب في قلوب الذين كفروا

(١) سورة العصر ١-٣.

(٢) سورة التكاثر ١-٨.

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

، قال تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْسَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

بلحاظ أنه من مصاديق ولاية الله عز وجل للمسلمين، ليكون من الإعجاز في نظم آيات القرآن أنه إذا جاءت بشارة أو إنذار في آية تأتي الآية التي بعدها بوجوه وضروب من معاني البشارة والإنذار.

الثالث : بشارة نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين في معارك الدفاع ضد المشركين ، وتجلت هذه المعجزة في معركة بدر ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

الرابع : من الإعجاز في هذه الآيات أن الآية السابقة تبطل سعي الذين كفروا وتجعل المسلمين في مأمن من جهات: الأولى : قانون العصمة من طاعة الذين كفروا.

الثانية : قانون سلامة المسلمين من الإرتداد ومقدماته.

الثالثة : قانون استمرار إرتقاء المسلمين في سلم المعارف الإلهية، وتوقيهم من الانقلاب والإرتداد .

الرابعة : قانون نجاة المسلمين من الخسران سواء في الدنيا أو الآخرة، لقوله تعالى ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(٣).

واختتمت الآية بقانون يتغشى الأكوان والعوالم المختلفة في الأزمنة المقدرة والمعدومة ، وهو أن الله عز وجل (خير الناصرين) لأن أمره بالكاف والنون ، وهو سبحانه الذي يعلم عواقب الأمور، قال تعالى ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

(٣) سورة الشورى ٩.

(٤) سورة الحديد ٥.

الخبر المستفيض

الخبر المستفيض في علم دراية الحديث على وجوه :

الأول : الحديث الذي رواه أكثر من واحد ولم يبلغ حد التواتر.

الثاني : هو الحديث المشهور .

الثالث : الحديث المستفيض هو المتواتر .

الرابع : وهو المستفيض إن زادت رواته على اثنين أو ثلاثة ، ويقال له المشهور أيضاً .

والمختار أنه الحديث المشهور الذي رواه أكثر من واحد ولم يبلغ حد التواتر ، إذ يوحى ظاهر الاسم (المستفيض) بالشهرة ، وقد يستعمل في الخبر المشهور مطلقاً ، فيقال مثلاً (النبي المستفيض).

ويمكن إضافة إصطلاح جديد إلى علم الحديث وهو خبر الواحد المستفيض سواء كان صحيحاً أو حسناً أو موثقاً ، أي أنه مع كونه خبراً لواحد ولكنه مشهور ومستفيض ، وفيه نوع رجحان له وقبوله.

ويقسم المستفيض إلى قسمين :

الأول : المستفيض اللفظي .

الثاني : المستفيض المعنوي .

قبول النبي (ص) خبر الواحد

لقد جعل الله عز وجل السنة النبوية منهاجاً يومياً للمسلمين ، فهي شعبة من الوحي ، ولطف من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

وورد لفظ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ثلاث مرات في القرآن فإلى جانب قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا

بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِينَ ﴿١﴾ من سورة الحجرات ورد هذا اللفظ مرتين في آية واحدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تُبَغُّونَ عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٣﴾.

وكل من الآيتين ابتدأت بنداء الإيمان ، ولم يرد في القرآن لفظ (تَيَّنُوا) من غير الفاء ، التي تفيد التعقيب والفورية ، ومن دلالات الجمع بين الآيتين عدم انحصار التبين بخصوص خبر الفاسق. ومن معاني الذكر الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ (٣). ومن المقاصد السامية للآية بعث المسلمين لقول الحق والصدق ولو على أنفسهم.

وعن ابن عباس (قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، كانت البقرة أول سورة نزلت ، ثم أُرْدِفَهَا سورة النساء قال : فكان الرجل يكون عنده الشهادة قبل ابنه أو عمه أو ذوي رحمه ، فيلوي بها لسانه أو يكتمها ، مما يرى من عسرته حتى يوسر فيقضي ، فنزلت ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (٤) يعني إن يكن غنياً أو فقيراً) (٥).

(١) سورة الحجرات ٦.

(٢) سورة النساء ٩٤.

(٣) سورة الطلاق ١٠-١١.

(٤) سورة النساء ١٣٥.

(٥) الدر المنثور ٣/ ٢٧٠.

الوثوق بالخبر

مع أهمية خبر الواحد وأنه من أهم مسائل أصول الفقه فقد جعلته الشريعة أمراً المعصوم سهلاً ، ومع رفع الحرج ، ومنع الخلاف والخصومة فيه ، إذ أشارت إلى تقديم الوثاقة على الوثوق .
فالأولوية لعدالة الراوي ولوثاقة الخبر ، وموافقة الرواية للقرآن أو السنة .

وفيه مسائل :

الأولى : شهادة أئمة أهل البيت والصحابة على قانون سلامة القرآن من التحريف .

الثانية : القرآن الذي بأيدي المسلمين هو الذي أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقانون الأصل هو القرآن .

الثالثة : إتحاد نسخ المصاحف التي عند المسلمين وحجيتها .

الرابعة : قانون الأخذ بالرواية الموافقة للقرآن بغض النظر عن مذهب الراوي .

الخامسة : قانون الترغيب بالرجوع إلى القرآن والصدور عنه .

السادسة : توثيق وتدوين السنة النبوية بحيث تعرض عليها الرواية ليكون هذا العرض في طول عرض السنة على القرآن .

السابعة : منع الخلاف بخصوص وثاقة الراوي ، والجرح الذي قد يكون من الغيبة أو الإفتراء ، لأن الأولوية لموافقة الرواية للقرآن والسنة .

الثامنة : الإكتفاء بطرح الرواية المعارضة للقرآن والسنة .

التاسعة : إنشاء قانون وقاعدة كلية لضبط وتنقيح الروايات .

خبر الواحد في القرآن

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِينَ﴾ (١).

هذه الآية هي السادسة من سورة الحجرات وهي مدنية (وهي ألف وأربعمائة وخمسة وسبعون حرفاً ، وثلاثمائة وثلاثة وأربعون كلمة ، وثمانية عشرة آية) (٢).

(عن أبي أمامة عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} : من قرأ الحُجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه) (٣).

والفاسق هو الخارج عن الطاعة إلى فعل المعصية ، والنبأ الخبر ذو الشأن والأهمية ، قال تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ (٤).

(روى زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال : ما سلت السيوف ولا اقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف ولا جهر بأذان ولا أنزل الله " يا أيها الذين آمنوا " حتى أسلم أبناء القيلة (٥) : الاوس والخزرج) (٦).

وورد النداء التثريفي ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ تسعاً وثمانين مرة في القرآن.

(١) سورة الحجرات ٦.

(٢) الثعلبي/الكشف والبيان ٢٤٨/١٢.

(٣) الثعلبي/الكشف والبيان ٢٤٨/١٢.

(٤) سورة النبأ ١-٢.

(٥) يسمى الأنصار أبناء القيلة نسبة إلى أمهم قيلة بنت الأرقم .

(٦) البحار ٣١٢/٢٢.

وعن ابن عباس : ما نزل يا أيها الذين آمنوا إلا في المدينة ،
وتسمية السورة الحجرات لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ
وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

والمراد من الحجرات جمع حجرة ، وهي حجرات النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم إذ كانت لكل زوجة من أزواجه حجرة .
ونزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ
وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢) أي من خارجها ، من خلفها ، أو من أمامها .

ونزلت الآية في وفد بني تميم وكانوا سبعين رجلاً وفيهم عيينة بن
حصن الفزاري والأقرع بن حابس إذ قدموا على النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وقت الظهيرة ، وهو راقد فنادوا من وراء حجرات
النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أخرج إلينا يا محمد مدحنا زين ، وذمنا شين ، فاستيقظ وخرج
إليهم ولم يلهمهم على النداء ، ومناداته باسمه ولكنه قال لهم :
ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين .

أي يفوز الذي يمدحه الله ويخسر الذي يذمه الله وفيه تحذير
وانذار .

والإستدلال بمفهوم الآية السادسة أعلاه من سورة الحجرات ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا
عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣) على قبول خبر الواحد العدل الثقة .

(١) سورة الحجرات ٤.

(٢) سورة الحجرات ٤.

(٣) سورة الحجرات ٦.

ومن معاني الآية أنها حرب على الأخبار الكاذبة ، ومنع من الأضرار المترشحة عن الإشاعات التي لا أصل لها ، للزوم التثبت من الأخبار لأن الفاسق الذي يرتكب المعاصي ، لا يتورع عن الكذب الذي هو فرع الفسوق.

فالنسبة بين الفسوق والكذب هو العموم والخصوص المطلق ، وجاءت الآية بذكر الفاسق مطلقاً من غير تقييد بالتجاهر بالفسق لزيادة الحيلة والحذر وإجتناّب الندم على التفريط والتصديق بخلاف الحقيقة ، وحصول الضرر أو التعدي بسببه .

إذ ورد لفظ (فاسق) بصيغة النكرة في سياق النفي الذي يفيد العموم ، وجاءت الآية بصيغة (ان) في (إن جاءكم) لإحتمال القلة والندرة ، ولم تأت بلفظ (إذا) .

لذا كانت حادثة الوليد بن عقبة وكذبه مع أنه مبعوث من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرداً نادراً ، إذ كان مجتمع المدينة من المهاجرين والأنصار مجتمع صدق لا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد يصدر الخبر الكاذب من المنافقين ، قال تعالى ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾^(١).

إذ كان المنافقون ينشرون الأخبار الكاذبة عن كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسرايا أصحابه ، بوجه منها :
الأول : يقولون قُتل فلان .

الثاني : جرح فلان .

الثالث : أسر جماعة .

الرابع : أن العدو ليهجم على المدينة.

الخامس : نقل تهديد المشركين للمسلمين .

السادس : المبالغة والتهويل بقدرات وقوة جيش المشركين.

وفي الثناء على المسلمين ، وحسن توكلهم على الله ، وعدم إلتفاتهم إلى هذا اللبث والإشاعات ، نزل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١).

ولم يترك الله المنافقين وشأنهم بل ابتلاهم بالخوف من التنزيل وما فيه من فضحهم وإبطال أذاهم ، قال تعالى ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾^(٢) ، ولا يحصي ما صرفه الله من أذى وأضرار المنافقين والذين كفروا عن الإسلام والنبوة والتنزيل إلا الله عز وجل لوجوب شكر المسلمين لله عز وجل بالقول والفعل ، ومنه التحلي بالتقوى والخشية من الله عز وجل .

فتنتشر الإشاعات الكاذبة ، وما يسمى بالطابور الخامس .

(وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله يوقعون في الناس أنهم قُتلوا وهزموا ، وكانوا يقولون : قد أتاكم العدو ونحوها .

كما يشمل موضوع الآية حض المرابطين والمجاهدين بأخذ الحيطة والحذر من الأخبار الكاذبة التي يأتي بها المنافق ونحوه .
وقال الكلبي : كانوا يحبون أن يفشوا الأخبار^(٣) ، وخبث المنافقين أشد .

(١) سورة آل عمران ١٧٣ .

(٢) سورة التوبة ٦٤ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١١ / ١٧٧ .

سبب نزول آية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾

عن ابن عباس وقتادة وابن أبي يعلى : نزلت الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدقات بني المصطلق^(١)، خرجوا يتلقونه فرحاً به وإكراماً له، فظن أنهم هموا بقتله، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنهم منعوا صدقاتهم.

لقد أرسله النبي ليأتي بزكاة بني المصطلق بعد أن اتفق على أجل وموعد مع الحارث بن ضرار الخزاعي لجمعها ، ولكن الوليد عندما قرب من ديارهم فرّق وخاف ورجع إلى المدينة.

وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : لقد منعوني الزكاة ، وأرادوا قتلي ، فنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢).

والحارث بن ضرار الخزاعي هو والد جويرية زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وورد عنه أنه (قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعاني إلى الإسلام ، فدخلت فيه وأقررت به ، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها .

قلت يا رسول الله : ارجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلي يا رسول الله رسولاً يبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة.

فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث إليه إحتبس الرسول فلم

(١) بنو المصطلق - بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء وكسر اللام - بطن من خزاعة من الأزدي القحطانية، ومنهم جويرية بنت الحارث زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) سورة الحجرات ٦.

يأت فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله فدعا بسرّوات قومه.

فقال لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتاً يرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه فانطلقوا فنأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة.

فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث.

فقالوا : هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم : إلى من بعثتم؟ قالوا : إليك ، قال : ولم .

قالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله .

قال : لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتانى ، فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال : منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا رأيته وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن تكون كانت سخطة من

الله ورسوله ، فنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)
إلى قوله ﴿حَكِيمٌ﴾^(٢) (٣).

وهل من موضوعية لآيات الدفاع في دخول أهل مكة للإسلام ،
الجواب نعم ، فلكل آية من آيات : الصبر ، الجهاد ، القتال ، الدفاع
، البشارة ، الإنذار ، موضوعية في هداية الناس للإسلام ، وهو من
الإعجاز الغيري للقرآن ، إذ تتعاضد آيات القرآن في تهذيب النفوس
وإصلاح المجتمعات.



(١) سورة الحجرات ٦.

(٢) سورة الحجرات ٨.

(٣) الدر المنثور ٩/ ٢٤٧.

قانون الآية ضد للإرهاب

الآية القرآنية وسيلة سماوية لإستئصال الغزو والإقتال والفواحش ، وتذكر آية ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ في آيات معركة بدر لما فيها من الشواهد على هزيمة المشركين ، كما أنها من آيات معركة أحد لدلالاتها على إنذار المشركين من العزم والتهيئ لمعركة أحد .

إذ جاءت بعدها مباشرة الآية ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَوْنَ فَيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأًيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(١).

وذكرت الآية الذين كفروا على نحو الإطلاق ، وتقدير الآية على وجوه:

الأول : قل للذين كفروا بالله رباً وإلهاً ، لبيان حرمة الشرك بالله ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٢).

الثاني : قل للذين كفروا برسالتك .

الثالث : قل للذين كفروا بالتنزيل ، ويستهزؤون بآيات القرآن .

الرابع : قل للذين كفروا بنعمة الله ومنها جوار البيت الحرام .

الخامس : الذين كفروا بالمعجزات التي تجري على يدك .

(١) سورة آل عمران ١٣.

(٢) سورة النساء ٤٨.

قانون الإنذار الذاتي حرب على الإرهاب

من خصائص لغة الإنذار في القرآن زجرها عن الظلم والتعدي ،
والنسبة بين الظلم والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالظلم أعم
، ونزل القرآن بالإنذار من الكفر والجحود والظلم ومن الكفر بالنعمة
، ومنها نعمة الأمن والتعايش الإجتماعي ، ولييان أن الهزيمة تلحق
بالإرهاب والعنف.

لقد رفع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ألوية السلام
والمودة بين الناس برداء الهدى والإيمان.
ومن الإعجاز قانون دعوة آيات القرآن للسلام والمودة ونبذ
الحروب والقتال بين الناس ، لقانون أحكام التنزيل دستور شامل
للناس وقانون القرآن سلاح للأجيال.

ليكون من دلالات سلامته من التحريف والتغيير والتبديل
لقانون حاجة الناس للصلاح ورأفة الله عز وجل ولطفه بهم بقانون
قرب الصلاح من الناس بالتنزيل والإعطاء والهداية والتفكير بالآيات
الكونية والإجتماعية ، قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي
أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ﴾^(١).

وعندما احتجت الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً﴾^(٢) ، لأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، أجابهم الله عز
وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة فصلت ٥٣.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

ومن علم الله تعالى بعثة الأنبياء لإستئصال الكفر الذي هو أصل المعاصي وتفضل الله تعالى بانزال الكتب السماوية ، والمدد الملكوتي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للغلبة على المشركين.

تفسيرنا والذكاء الإصطناعي

الذكاء الإصطناعي ثورة علمية خارقة واسمه بالإنكليزية (Artificial intelligence) وهو خصائص وخرازميات تتصف به البرامج الحاسوبية بما يجعلها تقترب من القدرات الذهنية للبشر ، وتستحضر التصور الذهني ، وانماط العمل .

ويتصف الذكاء الإصطناعي بالتعلم والإستنتاج وردود الفعل بواسطة مليارات الكلمات التي يغذى بها ، وهو في تطور سريع ومبهر.

وهل يستلزم هذا الذكاء اللجم والتقيد بما يفيد البشرية ، ويمنع من الضرر العام ، الجواب نعم .

والذكاء الصناعي من مصاديق أول سورة نزلت من القرآن ﴿اقرأ﴾

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾

فلا تعلم الأجيال السابقة ما يصل إليه العلم بآلات الذكاء الإصطناعي ، والوظائف التي أعدت له ، لتتضمن الآيات أعلاه دعوة المسلمين والناس للتحقيق واستقراء العلوم ، والإكتشافات في مناهج الحياة ووجوب تسخير هذه العلوم في طاعة الله ، وفي إجتنب نواهيه.

ومع الإرتقاء في الذكاء الإصطناعي فانه لا يرقى عن صفة الآلة التي تتخلف عن ذوات الأرواح ، قال تعالى ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»^(١)، لبيان أن الذكاء الإصطناعي من العلم القليل ، وينفرد الله عز وجل بكمال العلم وإحصاء كل شئ. ومن خصائص النبوة أنها حاجة للناس ، وقد جاءت بمكارم الأخلاق ، ولا تستمر الحياة الدنيا إلا بالأخلاق الحميدة ، وبمنع إشاعة الفجور ، والظلم والفسوق.

ولابد من استحضار هذه الضابطة في الصناعات وعلم الذكاء الإصطناعي ولابد من دخول السباق في الإنتفاع من الذكاء الإصطناعي .

ومن هيئات أفراد الذكاء الإصطناعي ما يكون على هيئة البشر فهل هو محرم للنهي عن تجسيد ذوات الأرواح .

وقد ورد (عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون)^(٢). وهذا الخبر مقيد بما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتهم)^(٣).

إذ المراد التماثيل لذوات الأرواح .

والمختار عدم شمول الحكم هيئات الذكاء الإصطناعي ، إذ كان فيها ما يدل على أنها آلة مصنوعة كما لو كانت فيها علامة فارقة عن البشر وهيئتهم.

ولابد من الفصل بين الصناعة والإقتناء ، إذ اختص الذم النبوي بصناعة ما يشبه ذوات الأرواح وليس إقتناءها .



(١) سورة الإسراء ٨٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢٤٠/١٤.

(٣) تفسير القرطبي ٢٤٠/١٤.

خبر الواحد في العقائد

يقسم الحديث إلى قسمين :

الأول : المتواتر الذي يرويه جماعة عن جماعة لا يتواطئون على الكذب .

الثاني : خبر الواحد ، الذي يرويه فرد واحد أو اثنان ، فلا يصل إلى مرتبة المتواتر .

والإسلام عقيدة وإيمان في القلب والجوانح ، ومنه الإقرار بالتوحيد والإيمان بالملائكة والكتب السماوية والأنبياء من غير تفريق ، وقد ختم الله النبوة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . لقد ابتدأت عمارة الأرض بنبي ورسول وهو آدم ، وأختتمت النبوة برسول من أولي العزم وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واستدامة شريعة تتجلى بالقول والعمل والسلوك والسيرة . وهذا التقسيم إستقرائي ، وتجمع أفراد آيات عديدة منها قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١) .

وعن الإمام جعفر الصادق عن أبيه علي بن الحسين^(٢) عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالإيمان)^{(٣)(٤)} .

ويدل هذا الحديث وأمثاله على الإتحاد بين العقيدة والعمل في الشريعة الإسلامية ، وهو لا يمنع من التقسيم فالاعتقاد من أفعال

(١) سورة الحشر ٧ .

(٢) خطأ من النسخ فان جعفر بن محمد بن الإمام محمد الباقر عن الإمام علي بن الحسين .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣١٧/٧ .

(٤) ورد في أحاديث أخرى وعمل بالأركان ، وهو الأصح ، أنظر البحار ٦٦/٦٩ .

القلب وترجل أحكام الشريعة بالعمل بها .
ويجب ألا يؤدي هذا التقسيم إلى صيرورته حاكماً للفصل بين
العقائد والعمل ، ثم يقال بأن خبر الواحد من الظن ، فلا يؤخذ به في
العقائد ، وإن لم يرق خبر الواحد إلى القطع واليقين ولإجماع
المسلمين على عدم حجية الظن فيقال بعدم الأخذ بخبر الواحد .
ولم تثبت الملازمة بين خبر الواحد والظن ، وقد يرقى خبر الواحد
مراتب عن الظن .

بحث فقهي

لقد جاءت العبادات عينية لا فرق فيها بين الغني والفقير،
والحاكم والمحكوم، والسيد والعبد الى جانب الواجبات الكفائية،
وشرعت صلاة الجماعة لتكون عنواناً دائماً للتخفيف مع الترغيب
فيها والدعوة اليها وجعل ثوابها عن ثواب خمس وعشرين صلاة
انفرادية.

روي عن ابي سعيد الخدري، وعن عبد الله بن عمر: (أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ
بسبع وعشرين درجة)^(١).

وفي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال (هم رسول الله صلى
الله عليه وآله باحراق قوم في منازلهم كانوا يصلون في منازلهم ولا
يصلون الجماعة، فأتاه رجل أعمى فقال: يا رسول الله أني ضير
البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة
معك .

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: شد من منزلك إلى المسجد
حبل واحضر الجماعة)^(٢).

(١) صحيح البخاري ١/١٥٨.

(٢) الوسائل ٨/٢٩٣.

وقال بن سيد الناس: (اختلف العلماء في الصلاة التي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم احراق بيوت المتخلفين عنها ما هي، فقيل هي صلاة العشاء وقيل العشاء أو الفجر وقيل الجمعة وقيل كل صلاة)^(١).

وقد يقول قائل ان شد الحبل من المنزل الى المسجد من التشديد والإصر خصوصاً وان صلاة الجماعة مستحبة وليس واجبة، والجواب من وجوه:

الأولى : التخفيف في ذات الصلاة وأدائها جماعة وسقوط القراءة عن المأمومين وطرد الشك.

الثانية : التخفيف نوعي عام يشمل كل المسلمين فلا اعتبار للقضية الشخصية بالنسبة لواحد من المسلمين، والثواب العظيم لهذا الشخص يستحق شد الحبل.

الثالثة : حضور الأعمى مع شد الحبل حجة على الآخرين المبصرين والأصحاء للمواظبة على حضور الصلاة من باب الأولوية القطعية.

الرابعة : الأمر بشد الحبل لتوكيد أهمية حضور صلاة الجماعة وليس على نحو اتيان الفعل ذاته الذي يكون شاقاً في أحيان كثيرة اذا كان يمر على بيوت وأبواب عديدة تفصل بين بيت الأعمى والمسجد، مع قطعية مكانه وحصوله آنذاك بالنسبة لصاحب المسألة.

الخامسة : شد الحبل ليس من التشديد والإصر ولكنه قائد شخصي واستغناء عن الغير في مرضاة الله واتخاذ للآية بدل الحاجة الى الإنسان، وتدلل عليه التطورات والصناعات الحديثة كالسيارة في النقل والآلة الكاتبة والإستسناخ وادوات الطهي والهاتف وغيرها.

السادسة : بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلزوم تعاهد صلاة الجماعة.

(١) السيوطي / شرح سنن النسائي ٢٠٣/٣.

قانون تقديم النفع العام

من معاني الحديث المتقدم لزوم حرص الأعمى على حضور صلاة الجماعة ، وفيه وجوه :

الأول : تقديم النفع العام على التشديد الخاص وليس الضرر الخاص فحسب ، فلا ضرر على هذا الأعمى لقانون الإسلام خال من الضرر العام والخاص لعمومات قاعدة (لا ضرر ولا ضرار).

الثاني : يمكن ان نستخلص قانوناً يتعلق منه بالتخفيف وهي (خلو التخفيف من الضرر) فالتخفيف مناسبة لمنع الإصر والثقل والشدة.

بل ان شد الحبل نفسه تخفيف بالإكتفاء به عن القائد وبنيل الثواب العظيم للجماعة به ، ومنع الحسرة عن النفس عند الحرمان من صلاة الجماعة ، وفيه تخفيف عن الذات والغير بالبحث عن القائد.

الثالث : قانون بذل الوسع لحضور الجماعة من الشواهد على العدالة والإيمان .

الرابع : قانون المواظبة على حضور صلاة الجماعة إصلاح للنفس وحرب على النفاق.

الخامس : أولوية حضور السالم من الأمراض لصلاة الجماعة ، وعمارة المساجد ، فاذا سقط العذر عن الأعمى ، فالبصير أولى بالحضور ، ومن أدلة صلاة الجماعة تعاهدها حتى في حال القتال ، قال تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلَبُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْنَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ

أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١﴾.

بحث اخلاقي

في كل باب من أبواب الحياة يطل عليك الإسلام بأحكامه الشريفة وقواعده الأخلاقية وآدابه الإنسانية فهو مدرسة الحياة يدعو الناس اليه ويقودهم الى سبل الصلاح ويذكرهم بوظائفهم في كل خبر أو أمر أو نهى خصوصاً مع القول بأن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد.

ومنه مدرسة السفر وقانون الإعتاظ من السفر كتاباً وسنة ، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٢). وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج في سفر كبر الله ثلاثاً ، وتلا قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿٣﴾ ، ثم يقول (اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى. اللهم ، هون علينا السفر واطولنا البعيد. اللهم ، أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل. اللهم ، اصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا . وكان إذا رجع إلى أهله قال : آيئون تائبون إن شاء الله ، عابدون ، لربنا حامدون) (٤).

والأصل في السفر أنه أمر مباح ، ويأتيه بالعرض الوجوب أو الإستحباب أو الكراهة أو الحرمة ، والسفر الى الحج مقدمة عقلية

(١) سورة النساء ١٠٢.

(٢) سورة الأنعام ١١.

(٣) سورة الزخرف ١٣-١٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٢٢١/٧ .

واجبة لوجوب المقدمة لوجوب ذبيها ولأنه لا يحصل أداء المناسك الا بالسفر وقطع المسافة الى الديار المقدسة.

ويحرم السفر بنية ارتكاب المعصية كالسرقة.

وفي حديث أبي ذر عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث : مربة لمعاش أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم)^(١).

وتخصيص الأمر بالعاقل دلالة على الملازمة بين حكم الشرع وحكم العقل ، وان الإسلام لا يتعارض مع أحكام العقل، كما ان العقل يدعو الى الأخلاق الحميدة ومنها اختيار أسباب السفر ، واجتناب المهالك فيه .

ولو دار الأمر بين منافع الإقامة والسفر فليس من قانون ثابت في المقام.

وقد حضّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على السفر ومنه قوله (سافروا ، فإنكم إن لم تغنموا مالا أفدتم عقلا)^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : السفر ميزان القوم^(٣).

فبالسفر تعرف معادن الرجال وتظهر السجايا الحميدة وتبرء الذمة وتدفع كوامن السوء وبواطن الشر، ويمكن معرفة كنه وسمت الإنسان في حال السفر لما فيه من كثرة المزاولة والمخالطة وسرعة مداهمة الأمور المفاجئة والحاجة فيها للتخلي بسعة الصدر والصبر وبذل الوسع واجتناب الغضب والشح ونحوهما من الأخلاق المذمومة.

(١) الخصال ٤٥/٢ .

(٢) الطبرسي / مكارم الأخلاق ٢٤٢/١ .

(٣) الطبرسي / مكارم الأخلاق ٢٤٢/١ .

ولا يعلم بالمنافع التي يجلبها الإنسان لنفسه بالسفر ، والأضرار التي يدفعها عنه بالسفر ، وكذا العكس إلا الله عز وجل .

ومن آداب السفر افتتاحه بالصدقة لدفع النحوسة ولشراء السلامة، وفي العزم على الصدقة في السفر دلالة على اللجوء إلى الله تعالى في المهمات، والخشية من المجهول والسعي لدفع الأذى باختيار التقرب إلى الله عز وجل بالصدقة وليس من مقدار معين لما يتصدق به، ولا تتعلق الصدقة بالشأن ويكفي صرف الطبيعة والمالية، ولا ينحصر اعطاء الصدقة بالغني بل يشمل الذي يريد أن يستدين في السفر لعمومات ادلتها وعظيم نفعها .

وبالسمة وتلاوة القرآن عند السفر مناسبة كريمة لطرد الشياطين وواقية للمسافر، وتوسل لحضور الملائكة وحراستهم له، ودفع الهم والسأم من السفر سواء بالذات أو بالعرض.

يستحب تناول تمرات أو شربة ماء حال الشروع في أذان المغرب

قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١) ، وقال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢) ، ومن اليسر والتخفيف تناول الشيء القليل من الرطب أو الزبيب أو الحلوى مطلقاً أو اللبن أو الماء الفاتر عند الشروع بالأذان ، وفيه أخبار نبوية متعددة منها ، عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي ، (يستحب للصائم إذا أفطر على رطبات أو تمرات أو حسوات من الماء)^(٣).

يستحب عند الشروع بالأذان تناول قليل من التمر أو العصير أو الماء الفاتر ، للكتاب والسنة ، والجمع بين النصوص ، أما الكتاب

(١) سورة البقرة ١٦٥.

(٢) سورة النساء ٢٨.

(٣) تفسير القرطبي ٣٢٤/٢.

فلقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١). وهو من مصاديق الإمتثال لقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٢) لإرادة انتهاء الغاية من اللام .

ووردت هذه الآية في الصوم وموضوعها أعم ، ومن اليسر تناول تمرات أو عصير أو شرب الماء ونحوه عند الشروع في الأذان ، وهذا التناول غير أفطار العشاء الذي يؤتى بها بعد الصلاة ، فيجمع بين الحسينين ، أما الذي ينتظره أفراد لوليمة ومائدة إفطار ، فيجوز له إفطار العشاء قبل الصلاة بحيث لا يفوته وقت صلاة المغرب الذي هو أشبه بالمضيق .

وتناول تمرات أو ماء عند أذان المغرب لا يتعارض مع أداء الصلاة في أول وقتها ، بل هو عون على أدائها هذا .

ومن التخفيف استحباب إفطار الصائم عند الشروع في أذان المغرب ، ويستحب للصائم أن يتناول حال الشروع في أذان المغرب تمرات أو شربة لبن أو ماء فاتر ، وتدلل عليه السنة القولية والفعلية وروايات عديدة.

ولابد من الفصل بين مسمى الأكل أو الشرب هذا وبين روايات تقديم الصلاة على الإفطار الذي يراد منه العشاء .

وعن جابر (عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا غاب القرص أفطر الصائم ودخل وقت الصلاة)^(٣) ، ومثله أحاديث عديدة .

والحديث وإن جاء بصيغة الجملة الخبرية إلا أنه يتضمن الأمر والندب واستحباب الإفطار عند الغروب .

(١) سورة البقرة ١٦٥.

(٢) سورة البقرة ١٨٧.

(٣) الوسائل ١٧/١٠٠.

وفي هذا الحديث مسائل :

الأولى : أوان الإفطار وصلاة المغرب عند غياب القرص ، ويكون أوان ذهاب الحمرة المشرقية من باب الإحتياط جمعاً بين النصوص لقوله عليه السلام في المقام : وتأخذ بالحائطة لدينك .

الثانية : تقديم الإفطار القليل ، و(عن سهل بن سعد : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)^(١).

فيختص بتناول العشاء جماعة قبل الصلاة ، لقاعدة نفي الحرج ، وهو أجنبي عن أكل فردات من التمر أو إناء من اللبن أو الماء أثناء الإذان ، فلا تعارض بين الحديثين .

وعن الصادق عليه السلام (إذا غابت الشمس فقد حل الإفطار، ووجبت الصلاة، ووقت المغرب أضيق أوقات الصلاة اليومية ، وهو إلى حين غيوبة الشفق، ووقت العشاء من غيوبة الشفق إلى ثلث الليل)^(٢).

والشفق هو الحمرة التي تظهر في جهة المغرب بعد غروب الشمس وزوال الحمرة المشرقية لتبعثر ضوء الشمس في الطبقة العليا من الغلاف الجوي ، وإذا غاب الشفق يأتي بعده الغسق .

(والليل ينقسم إلى اثنتي عشرة ساعة، لها أسماء وضعتها العرب، وهي: الشاهد، ثم الغسق، ثم العتمة، ثم الفحمة، ثم الموهن، ثم القطع، ثم الجوشن، ثم الكعبة، ثم التباشير، ثم الفجر الأول، ثم الفجر الثاني، ثم المتعرض)^(٣).

والتبادر علامة الحقيقة ، ويدل الحديث أعلاه على أن المراد من

(١) الدر المنثور ٤٠١/١.

(٢) بحار ٥٦/٨٠ .

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣٢/١.

الإفطار الجلوس للعشاء وإحتمال فوات وقت صلاة المغرب .
أما الإفطار بتمرات أو لبن أو ماء عند الأذان فهو باق على
استحبابه كتاباً وسنة.

قانون خلود الشريعة السماوية

لقد أراد الله عزوجل لأحكام الإسلام البقاء في الأرض بصيغة
الأداء والإمثال النوعي العام، وطرو النسيان الفردي لا يضربه لذا
جاءت الآية بسؤال عدم المؤاخذه على النسيان، ولم تتعد السؤال
وطلب المغفرة، فلم تقل هذه الآية أو آية غيرها في القرآن ان الله لا
يؤاخذكم على النسيان، مما يعني ان المسألة تعليقية وتتوقف على
عفو ورحمة الله تعالى.

وتستلزم الإلحاح بالدعاء لذا وردت في موضع خاص من القرآن
هو خاتمة سورة البقرة.

والنسيان الذي يصيب الإنسان يتعلق بالإعتقاد والأفعال
والحقوق والقدر المتيقن ما يفوت الإنسان مما يدرك وجوب فعله او
لزوم تركه من غير نسيان للمعتقد والأصول لخروجها بالتخصص
وورود الآيات القرآنية التي تحذر من تعدي النسيان وطغيانه وغلبته
على الإنسان ، قال تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾^(١).

ولابد من محاربة آفة النسيان الذاتية والغيرية ، بمعنى على المكلف
ان يجتهد في استحضار ما يجب عليه في يومه وليلته ، من الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر التعاون في طرد النسيان قدر الإمكان ،
بعض الغير على واجباته ويدعوه للمستحب ويعاونه على طرد
النسيان.

لذا تجد تشريع الأذان في الصلوات اليومية آية اعجازية لتذكير
المسلمين بوقت وأداء الصلاة ، وحض الناس جميعاً على ذكر الله.

وفيما يتعلق بالآية فان من فلسفته طرد النسيان واللفظ بالعباد للتذكير بالصلاة ووجوب ادائها وفي التنزيل ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾^(١).

ولا يحصي المنافع العامة والخاصة من الأذان إلا الله عز وجل .

سؤال التجاوز

يدل الدعاء وكثرة سؤال المسلمين الله عز وجل على إقرارهم بالضعف العام ، وحاجتهم وعالم الممكنات إلى رحمة الله تعالى ، وهو وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : كل ممكن محتاج .

الصغرى : الإنسان ممكن .

النتيجة : الإنسان محتاج ، لذا قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ

إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢) لبيان فاقة الناس مجتمعين ومتفرقين ، وحضهم على الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل ، ومن غنى الله تعالى في الآية أعلاه عدم مؤاخذته الإنسان على النسيان .

فجاءت الإستجابة مركبة من إيجاد الوسائل والأسباب التي تحول دون النسيان مثل الأذان للصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهر بالقرآن وصلاة الجماعة ، والتذكير بمنافع الصلاة في الدنيا والآخرة ، والشيب علامة لدنو الأجل ، والمرض للتذكير بنعمة الصحة وحتى العطاس يأتي سبباً بدنياً لقول الحمد لله فيحتسبها الله عز وجل شكراً على نعمة العافية ومناسبة لتجديد دوامها .

نعم قد يغفل المكلف مع ورود هذه الأسباب والمقدمات إلا انها غفلة على نحو القضية الشخصية ، وهي من مضامين الدعاء ﴿رَبَّنَا لَا

(١) سورة إبراهيم ٤٠.

(٢) سورة فاطر ١٥ .

تَوَّأَخِدْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»^(١).

وكما تنفع تلك المقدمات المسلم فانها تنفع الكافر لما فيها من لغة الإنذار والتنبية والدعوة الى الإسلام.

حديث الرفع

ويختص الله عز وجل بالإحصاء في باب حديث الرفع بأمور :
الأول : لا يعلم عدد المرات التي ينسى فيها الإنسان إلا الله عز وجل.

الثاني : لا يعلم بسبل وكيفية تذكير الإنسان لما نساه إلا الله عز وجل .

الثالث : لا يعلم بما يمحوه الله من الذنوب وآثارها إلا الله عز وجل.

الرابع : الله وحده القادر على منع الإنسان عن النسيان والخطأ ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

ترى أيهما أكثر الخطأ الذي ارتكبه المؤمن أم الخطأ الذي محاه الله عنه ، الجواب هو الثاني .

وعن ام الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ان الله تجاوز لأمتي عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والإستكراه)^(٣)، واخرجه البيهقي في سننه عن ابن عباس، وابن ماجه عن أبي ذر. وفي الخبر عن الصادق عليه السلام (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وضع عن امتي تسع خصال: الخطأ، والنسيان، وما

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة ١٠٦.

(٣) الدر المنثور ١/٣٧٦.

لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكروها عليه، والطيرة، والوسوسة في التفكير في الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد^(١)، ويسمى هذا الحديث حديث الرفع.

وروي عن أبي بكرة وابن عمر وثوبان وعقبة بن عامر، وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخرج عن سعيد بن منصور والحسن البصري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجاوز الله لابن آدم عما أخطأ وعما نسى وعما أكره وعما غلب عليه^(٢).

وهذا الحديث يدل على الإطلاق في (بني آدم) وسعة رحمة الله في الآخرة، ولكنه ضعيف بالإرسال، وليس معارضاً للنصوص بل في طولها المستفيضة الواردة عن الصحابة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في اختصاص المؤمنين بحديث الرفع، ودل على هذا الاختصاص ان الآية جاءت على نحو الدعاء والتضرع والتوسل إلى الله تعالى ومن مقام الإيمان.

بلحاظ انه علة التأهيل لهذا السؤال كما ان سعيد بن منصور نفسه اخرج عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (تجوز لهذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكروها اليه).

ولا يحصى أخطاء الناس ونسيانهم للأمور والواجبات العبادية، وما استكروها عليه من القول والفعل إلا الله عز وجل، وفيه رحمة عامة للناس، لذا تجد القرآن يبدأ بالبسملة، وفيها ثلاثة أسماء من الأسماء الحسنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٣).



(١) الكافي ٢/٤٦٣.

(٢) الدر المنثور ١/٣٧٧.

(٣) سورة الفاتحة ١.

قانون اللطف بعدم المؤاخذة على النسيان

لم يرد لفظ (تؤاخذنا) ولا لفظ (نسينا) بصيغة الجمع إلا في الآية الأخيرة من سورة البقرة، ولم يأت لفظ (يؤاخذ) إلا الله تعالى سواء بصيغة الجمع، أو فعل مخصوص أو إرادة المفرد .

ومن الأول قوله تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيمَا بَيْنَكُمْ﴾^(١)، وفيه بيان لموضوع عدم المؤاخذة على نحو العموم الإستغراقي في حكم مخصوص.

ومن الثاني ما ورد في موسى عليه السلام وفي التنزيل ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾^(٢)، فهذه الآية جاءت بلغة المفرد وهي خاصة في الإحتجاج بين موسى والخضر، وهو من أمر الله تعالى وآياته الباهرات.

فالآيات اعلاه تبين موضوع عدم المؤاخذة ويتعلق بأفراد شخصية، اما ترك الواجب وعدم أدائه حتى فوات وقته فيشملة الرجاء، وعمومات الدعاء في هذه الآية ونحوها، ومنه يعرف أهميتها في عالم الحساب ودفع العقاب .

نعم ورد في السنة حديث الرفع وفيه تخفيف وبشارة رفع العقاب عن موارد النسيان عن افراد الأمة بمعنى مع بقاء الناسي على نهج الإسلام وتعاهده لمبادئه.

وقد جاء كلام موسى عليه السلام مع الخضر في عدم المؤاخذة على النسيان، اما المسلمون فانهم سألوا ربهم عدم المؤاخذة على النسيان، ولا يعني هذا التفضيل على موسى عليه السلام، لأن الأنبياء سادة الأمم وأشرف الخلق أجمعين، وفيه أمور:

(١) سورة البقرة ٢٥٥.

(٢) سورة الكهف ٧٣.

الأول : ان كل آية مستقلة عن الأخرى، ولا ملازمة بين موضوعي المؤاخذة في الآيتين.

الثاني : النبي موسى ﷺ معصوم ولا ينسى وظائفه وواجباته إلا أن يشاء الله .

الثالث : ان عمل الخضر عن أمر الله تعالى، لذا ورد عنه في التنزيل ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾^(١) أي ليس من تلقاء نفسي ، ولا ولا باجتهاد مني لبيان أن الخضر عبد مأمور.

وقانون وجود النبي لا يمنع من وجود أئمة وأولياء لله في أيامه يفعلون ما يأمرهم الله عز وجل ، وفيه تعضيد للنبي ، وهل هو من السعة والفضل الإلهي في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) الجواب نعم.

ليان أن مصاديق نعمة الخلافة في الأرض أعم وأكبر من أن تحيط بها الخلائق ، فهذه الإحاطة خاصة بالله عز وجل ، وهو من مصاديق احتجاج الله على الملائكة في ذات آية الخلافة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

الرابع : ان نسيان موسى ﷺ لم يكن في العبادات والتكاليف الشرعية بل جاء في مسألة شخصية تدخل ضمن المباحات.

الخامس : ما ورد في قوله تعالى ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٤) يشمل المؤمنين جميعاً في كل الأزمنة، كما يتجلى قانون الأنبياء

(١) سورة الكهف ٨٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة البقرة ٢٨٦.

الأنبياء قادة المؤمنين .

السادس : انتفاع المسلمين من قصص الأنبياء وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وفي كل الأحوال فهذه الآية من مفاخر الإسلام وشهادة على بلوغ المسلمين مراتب الإيمان والتقوى وادراكهم لقوات بعض الأعمال لا عن عمد بل بسبب السهو والنسيان، فلجأوا الى الله مجتمعين مستغيثين طالبين التجاوز.

وجاءت الآية بأداة الشرط (إن) فلم تقل ولا تؤاخذنا على النسيان، انما قيدته بأداة الشرط أي في حال حصول وطرو النسيان للإتكال على الله تعالى في اجتناب النسيان على نحو الموجبة الكلية او الجزئية .

فالدعاء مقدمة للنسيان المحتمل، وليس سؤالاً لإسقاط اثر النسيان حتمي الوقوع، وبينهما فرق.

فالآية تظهر أدب العبودية وحرص المؤمنين على عدم النسيان ولجوئهم الى الدعاء لسد الفرج ومنع ترتب الإثم، والآية اعلان عن سعي المؤمنين لعدم نقص الثواب في الآخرة.

وقد ورد ذكر شهادة المرأة في آية التداين قوله تعالى ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾^(٢) وهو جزء علة لتعدد المرأة في الشهادة بدلاً عن الرجل لتكون كل واحدة عضداً للأخرى في التذكير والتنبيه واستحضار تفاصيل الشهادة.

وقيل المراد ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ أي تنسى .

والمختار أن النسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق ، فان

(١) سورة يوسف ١١١.

(٢) سورة البقرة ٢٨٢.

تضل أعم تشمل الخطأ والنسيان خاصة مع تقادم الأيام ، وهو ليس عيباً أو نقصاً في المرأة ، ولكن الشهادة في الأمور الحسائية والأموال أمر طارئ عليها ، إذ أنها مشغولة بأمور المنزل وشؤون الأولاد ، فجاء التخفيف من عند الله من غير إسقاط شهادتها من الأصل ، ولا الإستغناء عنها ، أو جعل شهادتها عند الحاجة ، وقد الرجال بل تجوز شهادة المرأة حتى مع حضور الرجال .

وقد جاء النسيان مطلقاً وشاملاً للرجل والمرأة في قوله تعالى ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(١).

وفي العقد الفريد (وقال مقاتل بن سليمان، وقد دخلته أبهة العلم: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى. فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألك عما تحت العرش، ولا أسفل الثرى، ولكن نسألك عما كان في الأرض، وذكره الله في كتابه، أخبرني عن كلب أهل الكهف، ما كان لونه؟ فأفحمه.

وقال قتادة: ما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته، ثم قال: يا غلام، هات نعلي؛ فقال: هما في رجلك، ففضحه الله^(٢).

قانون النسيان آفة

النسيان آفة تؤكد ضعف الإنسان ودليل نقصه، وانه من عالم الإمكان، وتبين حاجته الى الله تعالى في طرد النسيان والعفو عن النسيان.

ويرد النسيان بمعنى الترك أي ان الدعاء يتعلق بترك العمل بسبب القصور في الفهم او العجز عن التأويل الصحيح او الإهمال والتقصير ولكنه في هذه الحالة يتداخل احياناً مع الخطأ فجاءت الآية

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) الأندلسي / العقد الفريد ١/١٦٠.

بالمعنى الأعم الشامل للنسيان والخطأ.
وفي أصناف الرجال (قال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: رجلٌ يدرِي ويدري أنه يدرِي فذاك ناس فذكر، ورجل لا يدرِي ويدري أنه لا يدرِي فذلك مسترشد فعلموه، ورجل لا يدرِي ولا يدرِي أنه لا يدرِي فذلك جاهل فارفضوه)^(١).

وترى التكلف والتشديد في القول أعلاه ، بينما جاء القرآن بالبيان والوضوح والتخفيف عن الناس ، وبلوغ معاني الآية إلى الناس جميعاً بأدنى تدبر ، كما في قوله تعالى ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٢).
أي مع الإقرار بأن الله لم يكلفنا إلا ضمن الطاقة والميسور فاننا ننسى أو نخطأ .

أصالة عدم العدم

يمكن استقراء قاعدة كلامية وفقهية في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٣)، وهي لو دار الفعل المخالف للصواب بين الخطأ والعمد، فالأصل الخطأ بمعنى وجود وجوه ثلاثة هي:
الأولى : العثرة والزلة خطأ.

الثانية : الغلط والذنب عن عمد.

الثالثة : الزلة والغلط المردد بين الخطأ والعمد.

وليس من دليل أو إمارة أو قرينة تدل على احتسابه من أحدها، فتعتمد فيه القاعدة أعلاه بأنه خطأ للأصل في المقام وهو الأدنى .
وفي القواعد الفقهية هناك قاعدة تسمى (أصالة الصحة) وهي

(١) ابن قتيبة / عيون الأخبار / ١ / ١٨٧.

(٢) سورة البقرة ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة ٢٨٦.

حمل عمل المسلم على الصحة، ولكن المقام يختلف لأنه يتعلق بما لو شكنا بالفعل هل هو صحيح او خطأ، كما لو شك في الوضوء او الصلاة هل كانت تامة او ناقصة فالأصل الصحة، اما هنا فالخطأ متيقن ولكن الشك فيما إذا كان عن خطأ و عمد .

ويمكن ان نسميها قاعدة (اصالة عدم العمد) وتدل عليها عمومات حديث (ادروا الحدود بالشبهات) ^(١).

ولم يرد لفظ (اخطأنا) في القرآن إلا في هذه الآية وجاء على نحو الإعتذار المتقدم الذي يدل على التقيد الحسن بأداب العبودية.

قانون الإستجابة

القرآن يفسر بعضه بعضاً ويدل الجمع بين قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ^(٢)، وقوله تعالى ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ ^(٣)، على حقائق واشراقات قرآنية خاصة ويبين قانوناً وهو استجابة الله عزوجل لدعاء المؤمنين ، وانه سبحانه خص المسلمين بهذه النعمة والفضل العظيم.

فتجد في القرآن الدعاء والإستجابة له، ويمكن ان نسميه قانون (الإستجابة) وهو نعمة عظمية على الناس .

نعم يمكن ان تناقش النسبة بين عدم المؤاخذه الوارد في الآية أعلاه من سورة البقرة بصيغة الدعاء ونفي الجناح الوارد في سورة الأحزاب ولا تعارض بينهما، فكل دعاء وارد في القرآن على لسان أحد الأنبياء او على لسان المسلمين لابد من الإجتهد والبحث في آيات القرآن عن الإستجابة له على نحو الموجبة الكلية او الجزئية ،

(١) تفسير القرطبي ٢٦٣/٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٣) سورة الأحزاب ٥ .

كما يشملها جميعاً ، قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) ، الذي هو كسور الموجبة الكلية للأدعية الواردة في القرآن.

وهو علم جديد يبين الإعجاز القرآني وما فيه من البشارات والدلائل على عدم تضييع أو فوات دعاء شخصي للمسلم يوم القيامة بمعنى ان مضامين قانون الإستجابة بطرفيها الدعاء والإستجابة حضّ للمسلمين على الدعاء وإخبار عن حصول الإستجابة.

قانون الإستغفار حاجة

قد يقال كيف يتجرأ المؤمنون ويطلبون عدم المؤاخذه على الخطأ ، وهذا الطلب خلاف مضامين العبودية والإنقطاع الى الله ، ومن كان عاشقاً منجذباً الى محبوه فانه لا يرتكب أذاه الخطأ ويكون شديد الحرص على اجتناب الغفلة عنه فترك الخطأ يكون من باب الأولوية.

وهذا الكلام صحيح ولكن الذي هو أرجح وأفضل منه هو الإعتذار المتقدم عن الخطأ المقدر والنسيان المحتمل لما جبلت عليه النفس الإنسانية من الضعف والفتور وغياب المعاني عن الذاكرة احيانا وغلبة النفس الشهوية او الغضبية بالإضافة الى وساوس الشيطان .

ولا يريد المؤمنون ترك منازل الرق والعبودية لله والدعاء للحرص على البقاء في منازل العبودية والرق وساحة القرب من الله تعالى ، واتخاذ الدعاء وسيلة لقهر الطباع والتغلب على آثار النقص والإمكان في ذات الإنسان ، والنجاة من غضبه وسخطه تعالى لعدم الخروج عن رضاه ورحمته ، وفي التنزيل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ^(١).

ولأنه تعالى قال ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢)، فجاء الأمر بالدعاء وموضوعه على نحو الاطلاق، وتتجلى موضوعية صيغة الجمع في الدعاء لمنع الحرج وللحاجة الى هذا الدعاء في موضوعه، ولتوكيد معرفة المسلمين باستجابة الله تعالى.

قانون تعدد صيغ الإستغفار

كثرة آيات الدعاء وكنوز منافعها مصاديق صيغة الجمع ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣)، على وجوه :

الأول : ادعوني مجتمعين ومتفرقين .

الثاني : قانون قبول دعاء الفرد للجماعة .

الثالث : قانون قبول دعاء الجماعة للفرد الواحد منهم أو من غيرهم.

الرابع : ادعوني بمضامين آيات الدعاء الواردة في القرآن .

الخامس : ادعوني بالآيات التي تذكر فيها الجنة لسؤال الفوز بها ، وبالآيات التي تذكر فيها النار للنجاة منها .

و(عن عوف بن مالك الأشجعي قال : قمتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ.

قال : ثم ركع بقدر قيامه ، يقول في ركوعه : سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، ثم سجد بقدر قيامه ، ثم

(١) سورة البقرة ١٨٦.

(٢) سورة غافر ٦٠.

(٣) سورة غافر ٦٠.

قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة سورة^(١).

ومن المسائل المستقرأة من هذا الحديث :

الأولى : قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم السور الطوال في صلاة النافلة كسورة البقرة وآل عمران والسور الأخرى الطوال .

الثانية : قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمسمع ومرأى من الصحابة لتوكيد حفظهم لها .

الثالثة : حفظ الصحابة للسور القصار من باب الأولوية القطعية ، وهو من الشواهد على سلامة القرآن من التحريف .

و(عن حذيفة قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ)^(٢).

واستدل به الشافعي على جواز الوقوف عند آية الرحمة وسؤال الله الرحمة ، والوقوف عند آية العذاب للإستعاذة منه سواء في صلاة الفرض والنافلة ، وكرهه أبو حنيفة .

الرابعة : قراءة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سور القرآن في الصلاة وخارجها دعوة للصحابة لتدوينها وكتابتها في الرقاع والأكتاف والعصب ، وهذه الكتابة عون للصحابة على حفظ القرآن عن ظهر قلب ليكون مصدراً وحجة وثروة وتركة .

الخامسة : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحض أصحابه على كتابة وحفظ آيات القرآن ، وعلى قراءتها بحضرته .

السادس : آيات الإستعاذة من الشيطان .

(١) تفسير ابن كثير ٥٩٧/٦ .

(٢) السيوطي / الإتقان في علوم القرآن ١٢٧/١ .

و) عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس .

قال : يا نبي الله وهل للإنس شياطين .

قال : نعم ﴿ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ^(١) ^(٢).

والفاظ آيات الدعاء أعم من أن تختص بمادة الدعاء ، إذ تأتي بصيغ متعددة منها :

الأولى : قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ^(٣).

الثانية : قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(٤).

الثالثة : قوله تعالى ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٥).

الرابعة : قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا لَا تُغْنِ قُلُوبُنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ

(١) سورة الأنعام ١١٢.

(٢) الدر المنثور ١١٨/٤ .

(٣) سورة البقرة ١٨٦.

(٤) سورة البقرة ٢٠١.

(٥) سورة البقرة ٢٨٦.

لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١﴾.

الخامسة : قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢).

السادسة : قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣).

السابعة : قوله تعالى ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ﴾ (٤).

الثامنة : قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَأَسْرِافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٥).

التاسعة : قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى
جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٦).

العاشرة : قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (٧).

(١) سورة آل عمران ٨.

(٢) سورة آل عمران ١٦.

(٣) سورة آل عمران ٣٨.

(٤) سورة آل عمران ٥٣.

(٥) سورة آل عمران ١٤٧.

(٦) سورة آل عمران ١٩١.

(٧) سورة آل عمران ١٩٣.

الحادية عشرة : قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(١).

الثانية عشرة : وفي دعاء آدم وحواء وهما في الجنة ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

وهل هذا الدعاء هو الوحيد لهما في الجنة ، الجواب لا ، إنما ورد من باب المثال ولموضوعيته ، فلم تكن جنة آدم وحواء من جنات الخلد التي لا عمل فيها ، إنما هي محل ابتلاء واختبار ، وإن كانت الدار الآخرة مناسبة لدعاء التوسل والشكر لله ، ومنه في أصحاب الجنة .

الثالثة عشرة : قوله تعالى ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

الثالثة عشرة : قوله تعالى ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾^(٤).

وافرغ أي أنزل وأصيب كما يفرغ الدلو ، والذي ورد مرتين في القرآن ، الثانية في احتجاج السحرة على فرعون بعد إيمانهم وسؤالهم الصبر من عند الله لوعيد فرعون لهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم جميعاً ، كما في الآية ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران ١٩٤.

(٢) سورة الأعراف ٢٣.

(٣) سورة الأعراف ٤٧.

(٤) سورة البقرة ٢٥٠.

(٥) سورة الأعراف ١٢٦.

وعن (عبد الله بن عباس حين قالوا ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(١) قال : كانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء)^(٢).

الأولى في طالوت والمؤمنين الذين معه حينما برزوا لجالوت وجنوده ، كما في سورة البقرة ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا وَأَنْصِرْنَا عَلَى قَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

ليتخذ المسلمون هذا الدعاء في حال الرخاء والشدة ، ويأتيهم الصبر نافلة من عند الله ، وهل تلاوة المسلمين والمسلمات لهذه الآيات في الصلاة دعاء بمضامينها ، الجواب نعم .
ومن فضل الله قانون عدم تعارض الدعاء مع قصد القرآنية .

الرابعة عشرة : قوله تعالى ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَبَائِي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تُشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾^(٤).

الخامسة عشرة : قوله تعالى ﴿اُكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا

(١) سورة الأعراف ١٢٦.

(٢) تفسير الطبري ٣٦/١٣ .

(٣) سورة البقرة ٢٥٠.

(٤) سورة الأعراف ١٥٥.

يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾.

السادسة عشرة : قوله تعالى ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢﴾.

السابعة عشرة : قوله تعالى ﴿وَجَنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣﴾.

الثامنة عشرة : قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي * يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ ﴿٤﴾.

التاسعة عشرة : قوله تعالى ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿٥﴾.

العشرون : قوله تعالى ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ ﴿٦﴾.

الواحد والعشرون : قوله تعالى ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿٧﴾.

الثانية والعشرون : قوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي

(١) سورة الأعراف ١٥٦.

(٢) سورة يونس ٨٥.

(٣) سورة يونس ٨٦.

(٤) سورة طه ٢٥-٢٨.

(٥) سورة طه ١١٤.

(٦) سورة إبراهيم ٤٠.

(٧) سورة إبراهيم ٤١.

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١﴾.

الثالثة والعشرون : قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٢).

الرابعة والعشرون : قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِالَّذِيهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنِ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنِ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣).

الخامسة والعشرون : قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٤).

السادسة والعشرون : قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٥).

(١) سورة المؤمنون ١٠٩.

(٢) سورة غافر ٧.

(٣) سورة الأحقاف ١٥.

(٤) سورة البقرة ١٨٦.

(٥) سورة غافر ٦٠.

السابعة والعشرون : قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

الثامنة والعشرون : قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمْ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخُدْهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

التاسعة والعشرون : قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

الثلاثون : قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

ومن مفاهيم الآية وسؤال العفو عن النسيان والخطأ اجتناب الكبائر والفواحش والخطايا والذنوب، فمن يسأل الأدنى فإنه يعلن كفايته في الأكبر والأكبر، ولكن تلك الكفاية لم تأت منهم على نحو الموجبة الكلية، بل بالتوفيق والهداية من الله تعالى .

(١) سورة الحشر ١٠.

(٢) سورة الممتحنة ٤.

(٣) سورة الممتحنة ٥.

(٤) سورة التحريم ١١.

وفي المقام وجوه :

الأول : فضل الله في هداية الناس إلى طرق وسبل للهداية والإستغفار لا يقدر عليها إلا الله عز وجل .

الثاني : لا يحصي منافع الدعاء في الدنيا إلا الله ، ليكون تخلف الخلائق عن إحصاء منافعه في الآخرة من باب الأولوية القطعية .

الثالث : الدنيا دار الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل .

الرابع : دعوة المسلم للإجتهد في دعائه كثرة وموضوعاً وفي أمور الدين والدنيا .

الخامس : قانون الدعاء واقية من إرتكاب المعاصي لعدم إجتماع الضدين .

السؤال العام للتخفيف

لقد توجه المسلمون للتضرع إلى الله فيما يخص أصل التكليف لأن الإصر عنوان اضافي لا يمنع من طروه الا الله عز وجل فسألوا دفعه ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾^(١) .

والتكليف على وجوه:

الأول : ما لا يطيقه المسلمون .

الثاني : ما يطيقه فريق من المسلمين دون الفريق الآخر .

الثالث : ما يطيقون شطراً منه .

الرابع : ما يطيقه جميع المسلمين .

وموضوع السؤال هو الأول بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا

بِهِ﴾^(٢) ، فقد اجتمع المسلمون بدعاء واحد، وهو من الكلي المشكك بلحاظ القدرات الفردية ويحمل الدعاء على ارادة إ طاقة أضعفهم،

(١) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٦ .

الا انه لا يمنع من الموارد الخاصة بحسب الشأن والمقام والعلم والمنزلة.

فالمسلمون جميعاً يلتقون في التكاليف، الا أن وظيفة العالم أعلى مرتبة من غيره، وكذا الحاكم بالنسبة للمحكوم والرئيس والملا وأصحاب القرار والتأثير في القول والفعل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره.

فالسؤال في الآية بالمعنى الأعم ويشمل التكاليف العامة للمسلمين، والأمور الشخصية التي تواجه كل شخص، كما لو كان المكلف تغلب عليه النفس الشهوية، ويميل إلى سرقة مال الغير لو تمكن منه، وأصبح بمقدوره أخذه.

فان الله عز وجل يحول دونه ودون هذا التمكن، ومن العصمة امتناع المعصية، فيجعل الله الغير يحترز ويحفظ أمواله، او يأتي سلطان يقيم الحد الشرعي على السارق فيخشى منه، او يقذف في قلبه الفزع من انكشاف امره، او يملأ قلبه ايماناً فيجعله يتعفف عن السرقة مع التمكن منها والأمن من العقاب.

وكذا بالنسبة للمرأة فقد تقع في إغواء وافتتان أزاء شخص معين، ومن التكليف بما يطاق ان يحجب الله عز وجل عنها أسباب الصلة والمعاملة معه، او ينسيها ذكره او يجعلها تتفقه في الدين وتعلم اضرار الزنا والفاحشة مطلقاً او تنهيها لها أسباب الزواج منه او من غيره الذي قد يكون أفضل منه ويقودها الى سبل النجاة في الآخرة، فعدم الإطاعة ينحل الى أمرين:

الأول: عام يشمل المسلمين كافة كما يتجلى في الفرائض كالصلاة والصوم.

الثاني: خاص، ملازم للإنسان في حياته، فتراه غنياً لأن الفقر يوقعه بالأذى والشر، او العكس يكون فقيراً لأن الغنى باب للإبتلاء لا يستطيع معه أداء الفرائض، فينجيه الله عز وجل من التقصير

والإثم بالفقر لينجو يوم القيامة من العقاب والعذاب الشديد، مع تأهيله لتحمل الفقر والصبر عليه والرضا بما قسم الله تعالى له، لذا تجد أحياناً فقيراً فرحاً بما عنده أكثر مما يفرح الغني بما آتاه الله من فضله.

و(عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القناعة كنز لا يفنى)^(١).

فكل مسلم يدعو للمسلمين ويدعو لنفسه على نحو خاص، ودعاؤه للمسلمين يشمل الأمرين معاً التكاليف العامة وعدم تكليف أي واحد منهم بما لا يطيق، فلا يحصي أفراد الدعاء إلا الله عز وجل ، وهو سبحانه يحب لعباده الإنشغال بالدعاء والإقتراف إليه ويقربهم إليه ، وفي التنزيل ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾^(٢).

فينتفع كل مسلم من هذه الآية بأربعة وجوه:

الأول : دعاء المسلمين له فيما يخص التكاليف العامة.

الثاني : دعاؤهم له في التكاليف والوظائف الخاصة.

الثالث : دعاؤه لنفسه في التكاليف العامة.

الرابع : دعاؤه لنفسه في الوظائف الخاصة سواء كانت مقدمات للتكاليف العامة أو ازالة للعوارض والموانع أو في المباحات، واجتناب المحرمات.

(١) الدر المنثور ٢/٢٣٢ .

(٢) سورة النساء ٣٢ .

قانون الدعاء بالتخفيف

لقد سأل المسلمون الله عز وجل عدم التكليف إلا بما يطاق
فسألوا عدم تحمل الإصر والثقل والتشديد ، قال تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾^(١).

فهل الإصر مما يطاق فسألوا التخفيف عنه، الجواب: على
قسمين:

الأول : التشديد من الكلي المشكك فمنه ما يطبق المكلف أدائه،
ومنه ما لا يطبق، وجاء السؤال مطلقاً وشاملاً لهما معاً، فحتى الذي
يطاق منه لا يخلو من مشقة وعسر.

الثاني : الثقل والتشديد من مقدمات وأسباب التقصير لعدم
قدرة كثير من المكلفين على استدامة قهر النفس الشهوية والغضبية مما
يعرض الإنسان للعقاب الذي يترتب على التقصير.

ومن مفاهيم الآية ان المسلمين لم يتدعوا لهم طرقاً في العبادة
تتضمن التشديد على النفس، لذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم التحذير من البدعة والنهي عنها قال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم (في خطبته : إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي
محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)^(٢).

وهذا من الإعجاز القرآني الغيري لأن المسلمين لم يحتاجوا إلا للكتاب
والسنة لتأسيس الأحكام، ولبطلان الاجتهاد في مقابل النص.

وتنمي الآية ملكة عدم التشديد في نفوس المسلمين، فمن يتوسل
ويسأل عدم فرض شيء عليه، فانه يتجنبه ويمتنع عنه نعم يمكن ان
يسأل التخفيف ولكنه بعد مدة مديدة يقع بذات التشديد او ان

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٦/٢.

الأجيال اللاحقة تقع بنفس الإصر .

فجاءت الآية لتثبت الملكة النوعية بدوام وجود القرآن وتلاوته ولأن الآية جاءت بصيغة الجمع والدعاء شامل لكل أجيال المؤمنين، فالذين يسألون ليسوا الموجودين أيام التنزيل فقط بل عامة المسلمين الى يوم القيامة وهذا من اعجاز القرآن.

وفي الآية توثيق لسنن الأمم السالفة وايضاح سماوي لتأريخها، وتفضيل المسلمين على غيرهم وموضوعية الدعاء في هذا التفضيل.

وفي الآية دراسة مقارنة بين المسلمين وغيرهم من الأمم في الأحكام بلحاظ التخفيف والتشديد، وتبين في مضمونها جانباً من أهلية المسلمين لخلافة الأرض من وجوه:

الأول: تخفيف الأحكام عنهم بما يساعدهم على تعاهد الأداء وعدم التفريط بالواجبات او المستحبات.

الثاني: سؤالهم المتكرر بالتخفيف وامتناعهم عن التشديد على النفس وهذا الإمتناع يحول دون دخول أمور في الشريعة ليست منها.

الثالث: مجيء السنة النبوية بالتخفيف والتحذير من التشديد، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي صلى الله عليه وآله .

فقالت: يا رسول الله إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال له: يا عثمان لم يرسلني الله بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة، أصوم واصلي وأمس أهلي، فمن أحب فطرني فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح^(١).

وفي باب الصيام (خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة عام الفتح، وصام وصام الناس معه حتى بلغ كراع الغميم^(١)، فلما شق على شطر منهم الصيام افطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأفطر بعضهم وصام بعضهم، فقال في الذين بقوا على صيامهم (اولئك العصاة)^(٢)).

وقيل كانت الغلظة والفظاظة غالبية على طباع اليهود وما كان ينصلحون الا بالتكاليف الشاقة والشدة، وهذه الأمة تتصف بالركة والكرم ويغلب على طباعهم كرم الخلق فكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ.

ولم يثبت هذا التباين وكونه علة للتغليظ على اليهود والتخفيف على المسلمين .

لقد ابتدأ المسلمون بالإيمان التام والإقرار برسالة كل الأنبياء من غير فرق بينهم، فجاءت رحمة التخفيف الذي لا يحصي أفراده وكيفيته إلا الله عز وجل .

قانون التنزه عن التشديد

التشديد على قسمين، قسم يترشح من تبعض الإيمان بالرسول، وقسم ابتداء من القوم انفسهم، ومتى ما كان الإيمان تاماً فان النفوس تنصلح لقبول الأحكام، وهناك بون بين من يشدد على نفسه وبين من يسأل الله عز وجل التخفيف .

لقد سأل المسلمون العودة الى الشريعة الحقبة الخالية من التشديد والتي هي نهج الأنبياء والمؤمنين، بمعنى ان أصل الشرائع خال من الإصر والشدة والضيق، فبالإسلام عادت دورة الشرائع عن الإصر ، وبدأت انطلاقها الأولى من جديد ولكن بثبات ودوام هذه المرة.

(١) كراع الغميم: موضع بالحجاز بين مكة والمدينة على ثلاثة أميال من عسفان .

(٢) انظر صحيح الترمذي ٩٠/٣، الوسائل ١٥٠/٢ .

ومنه عصمة المسلمين من التشديد على أنفسهم في العبادات ،
وتتجلى هذه العصمة بقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

وكانهم سألوا إعادة الشريعة من جديد ليتعاهدوها ويحفظوها
ويتوارثوها بينهم الى يوم القيامة، وسؤال التخفيف هذا مقدمة
خارجية وجزء من الأهلية لخلافة المسلمين للأرض .

النسبة بين الإصر والثواب

ترى ما هي النسبة بين الإصر والثواب، فيه وجوه:

الأول : ازدياد درجات الثواب مع الإصر والضيق والشدة.

الثاني : نقص الثواب مع الإصر، بمعنى ان الحصة الزائدة التي
يؤتى بها في العبادة تسبب نقصاً في الثواب.

الثالث : ذات الثواب مع الإصر او بدونه.

والأقوى هو ذات الثواب مع الإصر او بدونه اذا كان الإصر
جزء من التكليف، اما اذا كان بدعة فلا ثواب بل هو من التشريع
المحرم والتشديد على النفس .

وقد ورد ذم لبني إسرائيل لتشديدهم على أنفسهم في مسألة
ذبح البقرة كما تقدم في قصتها، ولم يكتفوا بالإمتثال المطلق لقول
موسى عليه السلام، كما ورد في التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تَذَبَحُوا بَقَرَةً﴾^(٢)، واتجهوا نحو سؤال التفصيل في أوصاف تلك البقرة
وتكرار هذا السؤال ، وكان هذا التشديد عبرة وموعظة للمسلمين
لذا ورد في أكبر سورة في القرآن.

وجاءت السورة باسم البقرة للذكرى والإعتبار وتنمية الفطنة

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) سورة البقرة ٦٧.

عند المسلمين والإعتبار من الأمم السالفة، فان قلت ان السؤال في البقرة قضية في واقعة بمعنى انها حادثة وليس فعلاً متصلًا ومتوارثاً .

قلت انه شاهد على الطباع والقرائح وكيفية التصرف مع الأنبياء، وفي قصصهم مع موسى عليه السلام شواهد كثيرة قال تعالى ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١).

اخرج النسائي وابن ماجة وغيرهما عن عبد الرحمن بن حسنة: (ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان بني اسرائيل كانوا اذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض)^(٢).

وهو من الإصر والتشديد ، فلجأ المسلمون الى الله عز وجل ملتجئين رحمته وعفوه ليسألوا التخفيف وعدم التشديد في الأحكام، والتشديد على وجوه، تارة يأتي في أصل التكليف والتنزيل وأخرى على نحو تدريجي ومن قبل العلماء والملوك والأفراد .

أما الأول فان التنزيل استمر نحو ثلاث وعشرين سنة ويمكن ان يكون هناك تدرج في الأحكام خصوصاً مع وجود النسخ والمنسوخ، ولكن قراءة في مصاديق النسخ في القرآن تظهر لك وجوه الرأفة فيه، وانه كان باتجاه التخفيف وليس التشديد.

أما الثاني فان الملوك والملأ قد يميلون أحياناً الى إمضاء البدعة بلحاظ مصالحهم ومنافعهم والغايات الخاصة مع تغييب لقول العلماء ، أو يتركون أمرها لأنها خارج شؤون الحكم .

وجاءت الآية لمنع التمادي في ايجاد حيل شرعية على أحكام الشريعة، والتشديد على الأمة والتكليف بما لا يطاق او بما يؤدي الى التعب والعناء.

(١) سورة النساء ١٥٣.

(٢) سنن ابن ماجة ١/١٢٥.

ومن الآيات في الشريعة الإسلامية الإحتراز والإمتناع من البدعة ببركة هذه الآية والآيات الأخرى.

النعم العامة

من الآيات في الإسلام ان النعم التي نزلت على المسلمين في متناول عامة الناس ، وان الله عز وجل لم يقطع النعم بل دعاهم الى الإسلام والإيمان بالأنبياء والرسل جميعاً من غير فرق بينهم. ومن وجوه تفضيل خاتم النبيين انه يرفع الإصر عن الناس .

وبذا تتجلى فلسفة الرسالة وان الإيمان بجميع الرسل له منافع اضافية عظيمة منها رفع الإصر والشدة والتشديد في التكليف ومنعه من الوصول الى المؤمنين ليقى الإيمان بجميع الرسل حاجة للناس جميعاً وباباً للتخفيف ونزول شآبيب الرحمة وعوناً على أداء العبادات.

والخطاب بالإيمان بالرسل كافة وبالنبي محمد خاصة توجه بعناية خاصة وآيات باهرات دخلت الى البيوت وطرقت الأسماع ، بعد ان بشرهم ببعثته الأنبياء السابقون ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ﴾ (١).

وتبين الآية ان النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رحمة لبني اسرائيل وللناس جميعاً وذكر (ان الإصر هو العهد الذي كان الله سبحانه أخذه على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة، عن ابن عباس والضحاك والسدي) (٢).

(١) سورة الأعراف ١٥٧.

(٢) مجمع البيان ٤/٤٨٨.

وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له:
أخبرني عن قوله ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال عهدا ، قال وهل تعرف العرب ذلك، قال نعم أما سمعت
أبا طالب وهو يقول :
أفى كل عام واحد وصحيفة

يشد بها أمر وثيق وأيصره^(١)

وقال الزجاج: الإصر ما عقده من عقد ثقيل.
ويمكن إنشاء علم التخفيف في القرآن وإحصاء الآيات التي
تتضمن التخفيف في باب العبادات والمعاملات عن المسلمين
وغيرهم.

قسمة الماء العامة

قال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاحِقَ فَإِنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾^(٢).

من معاني (ما) النافية أنها تعمل عمل ليس كما في قوله تعالى
﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾^(٣).

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي لستم له خازنين ، فهل تحمل الآية
على خزن دول المنبع الماء بسدود عميقة وواسعة عن دول المصب
وتحجب أكثر الماء عن دول المصب مع حاجتها إليه في عموم الأرض
وبلدان الأرض لأن الخطاب للناس جميعاً ، وهو الواقع الخارجي

(١) أنظر الدر المنثور ١/ ٣٧٧ .

(٢) سورة الحجر ٢٢ .

(٣) سورة يوسف ٣١ .

لعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، الجواب نعم.

ولزوم العمل وفقاً لاتفاقية الأمم المتحدة للمياه والتي تعرف باتفاقية هلسنكي ، والإنفاقات الثنائية بين بلدان المنبع والمصب .
ولو كانت هذه الإتفاقيات لا توفر ماء الشرب لبعض المناطق التي يصلها النهر في دول المصب ، فتقدم آية البحث حاجة الناس لشربه وسقي دوابهم والضروري من المزروعات .
إذ تبين الآية أن الوظيفة الأساسية للماء هو شرب الماء وحاجات الناس ودوابهم وزراعتهم لقوله تعالى ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ وهذا الكلمة أطول كلمة في القرآن إذ تتألف من أحد عشر حرفاً ، وكأنها تخبر عن فضل الله في توفير الماء للأبناء والأحفاد كما أتاحته للأباء والأجداد .
وليس من بركة بهذا الحزن لقاعدة لا ضرر ولا ضرار والآية نفي ونهي ووعيد .

وسميت الرياح لواقع لأنها حوامل تحمل المطر كما في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾^(٢)، وفيه بشارة استدامة الأمطار في كل زمان ، مع حضّ الناس على الدعاء وسؤال وصلاة الإستسقاء .
وهل يدل قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾^(٣)، لزوم معالجة حياة البحر للسقي والشرب ، الجواب نعم ، لمنع الهجرة بسبب الشح العرضي للماء ، وهي بشارة في هذا الزمان على تسخير التكنولوجيا والذكاء الإصطناعي لحمل الغيوم وتسييرها إلى البلدان الفقيرة

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف ٥٧.

(٣) سورة الحجر ٢٢.

والغنية أيضاً ، بالإستمطار وتجميع الغيوم والتحكم بمسيرها ، وهو في طول الأمطار التي تأتي بقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِجَ﴾^(١).

إحصاء صبر المسلمين

لقد نزل القرآن بالأمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وعامة المسلمين بالصبر ، وتعددت آيات الصبر ، وفيه وجوه :

الأول : قانون ضرورة الصبر والتحمل .

الثاني : قانون الملازمة بين الإيمان والصبر .

الثالث : قانون الحاجة إلى الصبر .

الرابع : قانون الصبر سبيل النجاة .

الخامس : قانون الأجر والثواب على النصر .

السادس : قانون الدنيا دار الصبر .

السابع : قانون الترغيب بالصبر ، قال تعالى ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا

لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنْ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٢).

الثامن : حب الله للصابرين والصابرات ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

وحينما جهر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الله ، وأخبر بأنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصار يتلو آيات القرآن ويصلي في المسجد الحرام حتى أظهرت قریش بطشها وكفرها ، والإصرار على الإقامة على الجحود.

ليتلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه أشد الأذى وكان النبي يظهر أسمى مراتب الصبر ، ويدعو أصحابه إلى

(١) سورة الحجر ٢٢.

(٢) سورة آل عمران ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران ١٤٦.

الصبر ، فحينما تخرج قريش آل ياسر إلى الأبطح إذا حميت
الرمضاء لتعذيبهم بشدة الحر ، يمر عليهم النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ويرى عمار وأباه وأمه يعذبون يقول لهم (صبراً آل ياسر ،
فإن مصيركم الجنة) ^(١).

وتموت أم عمار سمية بنت خباط تحت التعذيب على يد أبي
جهل ، وهو من الإمارات على عموم نداء النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لهم بالبشارة بالجنة ، سواء ماتوا تحت التعذيب ، أو قتلوا في
الميدان أو ماتوا حتف أنفسهم ، فهو لم يقل لهم إن الفتح قريب ،
إنما دعاهم للصبر ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَكُنْ صَبِرْتُمْ لَهُوَ
خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ^(٢).

ليبقى هذا النداء خالداً لهم ولكل الذي يعذبون في سبيل الله .
ولا يحصي صبر المسلمين في طاعة الله ، وفي تحمل الأذى في
سبيله إلا هو سبحانه .

ولا يحصي ثواب الصبر في طاعة الله إلا هو سبحانه ، لذا فإن
كل أمر بالصبر في القرآن والسنة النبوية هو من فضل الله وهو رحمة
عامة ، وسبيل هداية وصلاح ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^(٣).

ومن أذى قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم نعتة بابشع
الصفات ، فبعد أن كانوا يسمونه (الصادق الأمين) قبل البعثة ،
صاروا يسمونه بعدها ساحراً ، كذاباً ، كاهناً ، مجنوناً ، مع شمول
هذا الأذى أهل البيت والصحابة ، وفيه دعوة رئاسية لهم للإرتداد

(١) الاصبهاني / معرفة الصحابة ٣٤٤/١٩.

(٢) سورة النحل ١٢٦.

(٣) سورة آل عمران ٢٠٠.

، ولكنهم ثبتوا على الإيمان ، بصبر ، وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان قريشاً تقول لهم : كيف تتبعون كذاباً ، كيف تتبعون مجنوناً ، بما يدل بالدلالة الإلزامية على إنكارهم نزول القرآن .

قانون الصبر تكليف

لقد وردت آيات تأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر منها:

الأولى : قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَكَأَ تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَكَأَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٢).

وآيات تأمر المسلمين بالصبر لتشمل النبي محمد أيضاً من باب الأولوية منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وتبين الآية أعلاه عدم الوقوف عند الصبر وحده ، فلا بد من اليقظة والحيلة والعمل بالمصابرة أي بالثبات في مقامات الإيمان وفي الثغور ، والسبق في منازل الصبر والاجتهاد في العبادة .

و(عن أبي أيوب قال : وقف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل لكم إلى ما يحو الله تعالى به الذنوب ويعظم به الأجر.

(١) سورة النحل ١٢٧.

(٢) سورة المزمل ١٠.

(٣) سورة آل عمران ٢٠٠.

فقلنا : نعم يا رسول الله .

قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة .

قال : وهو قول الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(١) فذلكم هو الرباط في المساجد^(٢) .

وهذا التفسير النبوي خلاف التبادر الذي هو من علامات الحقيقة ، إذ تتبادر إلى الذهن المراقبة في الثغور وميادين الحرب ، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن المراقبة بسنن العبادة والتقيّد بأحكام الصلاة ومقدماتها ، وعمارة المساجد بصلاة الجماعة .

ولا يحصي أفراد صبر المسلمين في العبادات والمعاملات وتحمل الأذى إلا الله عز وجل وهو وحده الذي يشب عليه .

ومن مصاديق خلافة الإنسان في الأرض بيان الحديث النبوي وصفاً بديعاً لحضور أعمال المؤمن معه في القبر لتذب عنه ، أما الصبر فيبقى كالحرز والإحتياط في ناحية من القبر ، إذ ورد في حديث طويل عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(فإذا وضع في قبره ، جاءته الصلاة فكانت عن يمينه ، وجاءه الصيام فكان عن يساره ، وجاءه القرآن فكان عند رأسه ، وجاءه مشيه إلى الصلاة فكان عند رجله ، وجاءه الصبر فكان ناحية القبر .

قال : فيبعث الله ، عز وجل ، عُنُقاً من العذاب .

قال : فيأتيه عن يمينه .

قال : فتقول الصلاة : وراءك والله ما زال دائباً عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره .

(١) سورة آل عمران ٢٠٠ .

(٢) الدر المنثور ٢٥/٣ .

قال : فيأتيه عن يساره ، فيقول الصيام مثل ذلك.
 قال : ثم يأتيه من عند رأسه ، فيقول القرآن والذكر مثل ذلك.
 قال : ثم يأتيه من عند رجليه ، فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك. فلا يأتيه العذاب من ناحية يلتبس هل يجد مساعاً إلا وجد ولي الله قد أخذ جنته.

قال : فينقمع العذاب عند ذلك فيخرج.
 قال : ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعني أن أباشر أنا بنفسي إلا أنني نظرت ما عندكم، فإن عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذ أجزأتم عنه فأنا له ذخر عند الصراط والميزان^(١).
 ولا يحصي مقدار وحسنات كل فرد من أفراد صبر المؤمن إلا الله عز وجل ، لأن الصبر يكون تارة بالقول والعمل ، وأخرى بالكيفية النفسانية سواء الصبر فيما يحب الله وإن استلزم بذل الجهد ، أو الصبر عما حرم الله.

لذا تكرر قوله تعالى ﴿اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، في القرآن أربع مرات ، ليجتمع مع حب الله عز وجل للصابرين بقوله تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).
 وأيهما أكثر نفعاً للمؤمنين الصلبة والمعية أم الحب من عند الله عز وجل ، الجواب لكل منهما منافع لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله عز وجل .

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٥/٤ .

(٢) سورة .

(٣) سورة آل عمران ١٤٦ .

والمختار أن النسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق ،
فالحب من الله أعم من المعية ، وكل منهما لطف لا يقدر عليه إلا الله
عز وجل .

فالحب من الله هو الأصل ، وهو يصاحب الإنسان في الدنيا
والآخرة ، ويكون واقية من العذاب ، وباباً للإذن بالشفاعة يوم
القيامة.

صبر المسلمين معجزة غيرية للنبي محمد

لقد صاحب الصبر الإنسان من أول خلق آدم عليه السلام ، إذ
أباح الله عز وجل له الأكل من ثمار الجنة كلها والتي لا يحصيها إلا
الله عز وجل ، ونهاه عن شجرة واحدة وأخبره بأن الإقتراب منها
ظلم .

وورد لفظ ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةُ﴾ ثلاث مرات في القرآن ، كلها
بخصوصها وهي:

الأولى : قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ
عَنْهُمَا مِنْ سَوَائِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٣٥.

(٢) سورة الأعراف ١٩.

(٣) سورة الأعراف ٢٠.

وهل يدل عدم صبر آدم وحواء عن الأكل من الشجرة على عجز الإنسان عن الصبر ، الجواب لا ، إنما هو درس في الجنة ليتعظ آدم وذريته منه ، ولتجلى الحاجة لقانون عمارة الأرض بملكة الصبر ، وهو سبيل النجاح في الدنيا ، والنجاة في الدنيا والآخرة .
 وهل صبر الأنبياء بالملكة والإجتهاد والتعلم ، أم بالوحي ، المختار هو الجامع بينهما والوحي هو الأصل ، ليكونوا أسوة للمؤمنين .

وأخبر القرآن في آيات متعددة عن صبر الأنبياء وحضهم على الصبر ، ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ مُوسَى لَقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١) .

وأمر الله عز وجل حكام وأمراء المسلمين وعامة أجيالهم المتعاقبة بالصبر ، مع ذكره في ذات الآية الأضرار في الفرقة والشقاق ، قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢) .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدرسة الصبر في الأحاديث النبوية في كثرتها وتعدد موضوعها ، وحضورها في الصبر في طاعة الله ، وعن المعصية ، وعند المصيبة .

و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من نظر في الدين إلى من فوقه وفي الدنيا إلى من تحته كتبه الله صابراً شاكراً ، ومن نظر في الدين إلى من تحته ونظر في الدنيا إلى من فوقه لم يكتبه الله صابراً ولا شاكراً)^(٣) .

(١) سورة الأعراف ١٢٨ .

(٢) سورة الأنفال ٤٦ .

(٣) الدر المنثور ١/٣٠٦ .

و(عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجباً لأمر المؤمن كله خير إن أصابته سراء فشكر كان خيراً ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً)^(١).

لقد اتخذ المسلمون الصبر حبل مودة بينهم ، ووسيلة المواساة ، وعدم اليأس والقنوط ، وفي إبراهيم عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٢).

وكما ورد لفظ ﴿يَقْنَطُ﴾ مرة واحدة في القرآن في الآية أعلاه ، فقد ورد مرة واحدة قوله تعالى ﴿تَقْنَطُوا﴾ بقوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

ليبان أن الصبر نعمة عظمت ، وأنه مادة للتوبة والإنابة والمثابرة في طاعة الله ، وكثرة الإستغفار ، فلا بد من التوبة للفوز بالمغفرة لعدم التعارض بين الآية أعلاه وآيات الوعيد والعذاب للظالمين والفاسقين والكافرين.

وفي أسباب نزول الآية أعلاه ورد عن ابن عباس (أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الأوثان ، ودعا مع الله إلهاً آخر ، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له . فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا الآلهة ، وقتلنا النفس ، ونحن أهل الشرك.

(١) الدر المنثور ١/٣٠٦.

(٢) سورة الحجر ٥٦.

(٣) سورة الزمر ٥٣.

فأنزل الله ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(١)، وقال ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾^(٢)، وإنما يعاتب الله أولي الألباب ، وإنما الحلال والحرام لأهل الإيمان ، فإياهم عاتب ، وإياهم أمر إذا أسرف أحدهم على نفسه أن لا يقنط من رحمة الله وأن يتوب ، ولا يضمن بالتوبة على ذلك الإسراف والذنوب الذي عمل.

وقد ذكر الله تعالى في سورة آل عمران المؤمنين حين سألوا المغفرة فقالوا ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾^(٣)، فينبغي أن يعلم أنهم كانوا يصيرون الأمرين فأمرهم بالتوبة^(٤).

و(عن ابن سيرين قال : قال علي (عليه السلام) أي آية أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾^(٥) ونحوها ، فقال علي (عليه السلام) : ما في القرآن أوسع آية من ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾^(٦)^(٧)).

والنسبة بين الصبر والقنوط هي التضاد والتنافي ، لذا أمر الله عز وجل بالصبر في العبادات واجتناب النواهي ، وهل القنوط من النواهي ، الجواب نعم.

(١) سورة الزمر ٥٣.

(٢) سورة الزمر ٥٤.

(٣) سورة آل عمران ١٤٧.

(٤) الدر المنثور ٤٦١/٨ .

(٥) سورة النساء ١١٠.

(٦) سورة الزمر ٥٣.

(٧) سورة .

ولا يحصي الذين انتفعوا من الآية أعلاه وآيات الصبر في الدنيا والآخرة إلا الله عز وجل .

إحصاء مواطن خزي الكافرين

الخزي : الهوان والوقوع في الذل وأسباب الذم والعار والاحتقار والصغار ، وضد الخزي الشرف ، والعز ، والمجد ، والوقار .

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار إختبار وامتحان وابتلاء ، وكما ان الدنيا مزرعة للآخرة فهي مقدمة لأهوال يوم القيامة فيلحق الكافر الخزي في الدنيا ليكون إنذاراً ودعوة للتوبة ، وتذكيراً بأن خزي يوم القيامة أشد وأعظم .

فاذا كان الانسان لا يطيق الذل في الدنيا فكيف له في ذل يوم القيامة الذي هو أضعاف مضاعفة كماً وكيفاً وزماناً لعذاب الدنيا ، لذا تكرر ذكر الخزي في القرآن بالجمع بين خزي الدنيا وخزي الآخرة .

وقد اقترن الإنذار بالخزي في الدنيا مع الوعيد بالعذاب في الآخرة للذين كفروا في آيات منها قوله تعالى ﴿ثَانِي عَظْمٍ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١) .

ويتجلى التباين الرتبي بين خزي الدنيا وخزي الآخرة بترشح خزي الآخرة عن العذاب الشديد في النار ، والخلود فيها ، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾^(٢) .

(١) سورة الحج ٩ .

(٢) سورة التوبة ٦٣ .

ولا يعلم كثرة مواطن الخزي التي تلحق الكافرين إلا الله عز وجل ، وهل منه الخزي الداخلي بمعنى أن الكافر يشعر في قرارة نفسه بالصغار والذل والفرع.

الجواب نعم ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْسَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

لقد اختص الله لنفسه بملكية السموات والأرض ، وخلق الناس ليعبدوه بالكيفية التي يأمرهم بها بواسطة أنبيائه وكتبه ، لذا أكدت الآيات على وجوب الإيمان بالرسول والكتب السماوية ، والذي يكفر بها يلقي الخزي والصغار في الدنيا .

ويلقى الكافر الخزي عند قبض روحه بشدة وقسوة من قبل الملائكة ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢). وهل يختص خزي الكافر في أيامه في الحياة الدنيا ، الجواب لا ، إنما يلحقه الخزي بعد وفاته أيضاً بدم الناس له على كفره وسوء فعله ، ليكون عبرة لغيره.

ومن الخزي في الدنيا ما لحق كفار قريش يوم معركة بدر ، إذ صاروا على ثلاثة أقسام :

الأول : وقوع سبعين أسيراً منهم بأيدي المسلمين ، مع أن جيش المسلمين يومئذ أقل من ثلث عدد جيش المشركين .

الثاني : سقوط سبعين قتيلاً من المشركين ، وسحبهم إلى القليب .

الثالث : فرار الجموع الباقية من جيش المشركين .

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) سورة النحل ٢٨.

وفي قوله تعالى ﴿سَدَّعُ الزَّيَّاتَةِ﴾^(١)، ورد (عن ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن فعله لأخذته الملائكة)^(٢). وعندما أصر أبو جهل على القتال لحقه الخزي بأن سقط قتيلًا يومئذ، ليلحقه الخزي بين أهل مكة والمدينة وعامة العرب، وتذكره أجيال المسلمين بالذم.

إحصاء الرؤيا ومنافعها

الرؤيا هي الصور والرموز التي يراها الإنسان في المنام، واشتق اسمها من الرؤية البصرية، وقد تأتي بلفظ رأى مع القرينة التي تدل على أنه حلم وليس يقظة، كما ورد بخصوص ملك مصر ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَأْسَاتُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٣).

وتأويل الرؤيا: تدبرها وتقديرها وتحليلها، واستنباط المسائل منها، والرؤيا دعوة للدعاء لتقريب وجلب المصلحة، ودفع المفسدة، وهي بشارة وإنذار لإصلاح الذات والتوبة.

والحلم بضم الحاء أو بضمها وضم اللام -الرؤيا، والجمع أحلام ويقال حلم يحلم: اذ رأى في المنام، قال ابن سيده: حلم في نومه يحلم واحتلم.

(و)عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تحلم كاذبا كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين ولن يعقد بينهما.

(١) سورة العلق ١٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٨/٨.

(٣) سورة يوسف ٤٣.

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وعن (الإمام علي عليه السلام) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كذب في حلمه كلف يوم القيامة عقد شعيرة^(١).

والرؤيا الصادقة من كنوز الدنيا الروحية ، جعلها الله عز وجل بينه وبين كل إنسان من أهل الأرض ، فلا بد لكل إنسان أن يرى الرؤيا الصادقة مع التباين بين الناس في الكم والموضوع ووضوح البشارة أو الإنذار ، والإنشغال منها ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(٢).

ومن الآيات في المقام التقاء المؤمن وغيره في العناية بعالم الرؤيا ، سواء كانت رؤيا بشارة أو رؤيا مفزعة ، مع المائز للمؤمن وهو اتجاهه إلى الدعاء والمسألة في الرؤيا .

وفي رؤيا صاحبي يوسف قال تعالى ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأًا بَأْوِلَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

ذكر أن يوسف عليه السلام (قال لأهل السجن : إني أعبر الأحلام فقال أحد الفتين لصاحبه : تعالى حتى نجرب هذا العبد العبراني فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا)^(٤).

وهو بعيد خاصة وأن علة عرض رؤياهما على يوسف هي إقرارهم بأنه من المحسنين ، مما يدل على أنهما لم يذكر الرؤيا للاختبار ونحوه .

(١) تفسير القرطبي ١٦٠/٩ .

(٢) سورة السجدة ٩ .

(٣) سورة يوسف ٣٦ .

(٤) تفسير القرطبي ١٦٠/٩ .

ومن العسير تأليف الرؤيا المتعددة بالصيغة التي ذكرت في القرآن وتعقبها بتأويل النبي يوسف ، وتحقق مصداق هذا التأويل .
ولو دار الأمر بين هل هي رؤيا صدق أم كذب فالصحيح هو الأول ، وهو من عمومات قوله تعالى في الشاء على القرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١).
وفي المقام مسائل :

الأولى : لا يحصي عدد رؤيا كل إنسان إلا الله عز وجل ، فهو وحده الذي يعلم خفايا النفوس .
الثانية : لا يحصي أثر وبركة الرؤيا في إصلاح الأفراد والمجتمعات إلا الله عز وجل .

الثالثة : الرؤيا الصادقة من مصاديق قوله تعالى ﴿يُحَوِّلُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) ، فيقبل الإنسان على بشارات الرؤيا ويمتنع عما فيه إنذار.

الرابعة : قانون الرؤيا حجة على الإنسان .
وهل تحضر الرؤيا الصادقة يوم القيامة ، المختار نعم ، لبيان فضل الله عز وجل على الناس ، ولقوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٣).
الخامسة : لا يحصي منافع الرؤيا إلا الله عز وجل ، ولا تختص هذه المنافع بالدنيا ، بل تشمل الآخرة أيضاً .
السادسة : دعوة الناس للعناية بالرؤيا الصادقة وتأويلها .

(١) سورة فصلت ٤٢.

(٢) سورة الرعد ٣٩.

(٣) سورة الأنعام ١٤٩.

السابعة : البعث على التصديق والدعاء لصرف مصداق رؤيا الإنذار ، فلا يقول الإنسان عند وقوع مصداقها إني علمت بالرؤيا أن هذه المصيبة ستقع بل عليه أن يدعو الله لصرفها.

فمثلاً رأى شخص سقوط أحد أسنانه ، وتم تأويله بموت أخ أو قريب ، فاذا اجتهد في الدعاء لصرف شر هذه الرؤيا ، فإن الله عز وجل يحو أثرها ، ويمد بعمر الذي أخبرت الرؤيا عن موته .

ولو توجه صاحب يوسف عليه السلام الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ، بأنه يصلب وتأكل الطير من رأسه ، فهل يتحقق ذات الصلب ، أم يحوه الله عنه ، وإذا كان يحى الأثر المتعقب لهذه الرؤيا لماذا لم يأمره يوسف عليه السلام بالدعاء .

والجواب يتجلى في ذات الآيات باخبار يوسف لهما بأنها من مجتمع مشركين ، قال تعالى ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

وهذا الشرك من أسباب الصلب ، وحجب الإنتفاع من الرؤيا وتأويلها فأراد يوسف توبتهما ، ولا يعلم كثرة اتخاذ الناس التوبة طريقاً للنجاة في الدنيا والآخرة بسبب رؤيا البشارة أو رؤيا الإنذار إلا الله عز وجل ، ويتجلى قانون الرؤيا مقدمة للتوبة .

قانون سؤالنا الله بربوبيته المطلقة

قد تقدم ذكر عدد المرات التي ورد فيها لفظ (الرب) اسماً لله تعالى في القرآن وما له من الدلالات^(٢).

ويبين الإتيان باسم (الرب) مضامين الخضوع والتضرع والرجاء

(١) سورة يوسف ٤٠.

(٢) انظر الجزء الأول / ١٢٩ .

للقادم من الأيام، ولأن سؤال المؤمنين جاء شاملاً لما يتعلق بالإرادة التكوينية والتشريعية جاء النداء (ربنا) وهو النداء الذي تبدأ به لغة الدعاء في القرآن ، وتكرار النداء به يدل على أهمية موضوع التكليف والحاجة العامة للتخفيف وعدم التشديد في الفرائض، وبدراسة مقارنة في النداء في آيات (ربنا) يظهر الإرتقاء العقائدي عند المسلمين.

فمع ان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة لاقوا أشد الأذى من قريش والكفار مطلقاً فان تكرار ندائهم جاء بخصوص التكاليف بينما جاء سؤال قوم شعيب عليه السلام فيما يتعلق بالكفار والإحتجاج عليهم وسؤال الإنتقام منهم .

وفيه نوع اعجاز ودلالة على ثقة المسلمين في استدامة أحكام الإسلام، فلو كان التكليف امراً طارئاً وعرضياً لما كرروا النداء بربنا وسؤال التخفيف في الأحكام بالإضافة الى معرفتهم بالتخلص من أذى الكفار ودحر الشرك ومنع تعدي الظالمين، وفعلاً فما مرت سنوات معدودات على الإسلام حتى أصبح أكثر رؤوس الكفر مسلمين بعد ان قتل جماعة منهم في بدر وأحد وغيرهما.

لقد أراد المسلمون حفظ الأرض ومن عليها بأدائهم للتكاليف فيقومون بأداء الصلاة والصيام والحج ودفع الزكاة امتثالاً لأمر الله تعالى.

فيحفظ الله بني آدم والنظام الكوني العام ويمنع الكواكب من التساقط، والأنهار من التفجر، والعالم من الزوال، والكائنات من الهلاك والاندثار، لقد أرادوا التخفيف ليكون سبيلاً لدخول الناس الى الإسلام وعدم الإمتناع بسبب التكاليف.

لقد أراد المسلمون التذكير بأنهم محتاجون إلى ربوبية الله في دوام حياتهم وتوالي النعم عليهم، وعند الحساب في النشأة الآخرة وانهم متمسكون بالربوبية في مراتبها الثلاث:

الأولى : في أصل الخلق وما قبله ، وفي التنزيل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

الثانية : في استدامة الحياة والنظام الكوني العام.

الثالثة : في عالم الآخرة والجزاء.

انه بعث لروح التوكل والإرتقاء في منازل الكمال، وإذا تضمن اللفظ القرآني منافع اضافية لا يسمى تكراراً لتعدد الموضوع ولتكرار لفظ (ربنا) خصوصية في كل مرة.

قانون التكليف بالممكن والميسور

لقد توجه المسلمون للسؤال لما يعينهم ويخصهم ويقيض لهم أسباب الإطاعة واعلنوا تسليمهم لله تعالى واستعدادهم للإستجابة وانتظارهم للتكاليف، وفوضوا الأمر اليه تعالى وتوسلوا اليه بخصوص ماهية التكليف .

فلم يسألوا انعدام التكليف والإعفاء منه، ولم يقولوا اعفنا مما حملته الأمم السابقة، بل اعلنوا رضاهم بالتكليف واهليتهم للإمتثال الأحسن، ولم يسألوا المدد والقدرة على التحمل فيما لا يطيقون، بمعنى انهم لم يقولوا اعنا ووفقنا لأداء ما لا طاقة لنا به، انما اختاروا الأخف لأن ﴿اللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، لا يكلف بما لا يطاق ابتداء او استدامة، وطلبوا عدم التكليف بما فيه مشقة وثقل.

لذا ترى التخفيف ظاهر في التكاليف ذاتاً وعرضاً، اما في ذات التكاليف فان المكلف يستطيع أداء الأكثر مما فرض عليه كما في الصلوات اليومية التي لا تأخذ من يومه الا بمقدار الواحد الى

(١) سورة الحديد ٣.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

الخمسين، ولا تفرض عليه الا بعد بلوغه سن التكليف، وبالنسبة للزكاة فان مقدارها قليل يستطيع الغني أدائه من غير ان يؤثر سلباً على ما في يده .

وجعل الله سبحانه صلاة النوافل والصدقة المستحبة لمن اراد الإكثار من العبادة والإنفاق والتقرب إلى الله بهما، وكذا بالنسبة للصيام وان العبد يستطيع صيام أكثر من شهر.

ومن التخفيف العرضي تيسير أداء التكاليف وتهئية أسبابها ودقة النظام في مقدماتها، فالأذان وصلاة الجماعة من التخفيف، وسرعة انقضاء ساعات الصيام وافاضات شهر رمضان من التخفيف، وهناك اسباب سكية وآيات عديدة يحس بها العبد عند التوفيق لأداء العبادات فتجعله يقبل بشوق على العبادات فتصبح من افراد الإطاعة ، وهي من اللطف الإلهي ، الذي يختص باحصائه الله وحده.

وهل الرؤيا من مصاديق ﴿مَاسِرُونَ﴾ في قوله تعالى ﴿أَوْكَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(١)، الجواب لا ، لإرادة الفاعلية في كتم العبد لأسراره وإحاطة الله عز وجل علماً بها ، إنما الرؤيا من مصاديق قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٢).

بمعنى اصلاح الحالة النفسية والشوق لأداء الفعل والرغبة فيه، فالإطاعة التي سألها المسلمون اعم من ان تنحصر بذات الفعل العبادي ، بل تشمل أموراً :

الأول : أسباب ذات الفعل .

الثاني : مقدماته .

(١) سورة البقرة ٧٧.

(٢) سورة طه ٧.

الثالث: الحال .

الرابع: الشأن وكيفية التلقي .

الخامس: انجذاب النفس له .

السادس: طرد الشيطان ، والحيلة من الوسوس .

السابع: دفع المعصية والرجس عن المكلف .

الثامن: الغبطة والسعادة عند التوفيق لأداء الفعل العبادي .

التاسع: إدراك المؤمن للأجر والثواب العظيم على أدائه كل

فرد من أفراد الفعل العبادي .

و(عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله عز وجل، جعل حسنة ابن آدم بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم، والصوم لي وأنا أجزي به . وللصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره وفرحة يوم القيامة، واخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)^(١).

قوانين في تلاوة القرآن

من إعجاز القرآن أمور:

الأول: قانون تصرف الذهن والقلب في معاني ودلالات القرآن
بشوق ومن غير ملل عند قراءته أو الإنصات له .

وهل لهذا التصرف والتفكير من أجر إضافي أم يبقى ذات الأجر على كل حرف عشر حسنات ، المختار هو الأول ، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢).

الثاني: قانون قراءة القرآن وأقية من الضجر والسأم .

الثالث: قانون بعث تلاوة القرآن على الصلاح طوعاً وانطباعاً
بفضل من الله عز وجل.

(١) تفسير ابن كثير ٦٩١/١ .

(٢) سورة محمد ٢٤ .

الرابع : قانون الأجر والثواب في قراءة كل حرف ، وكل كلمة من القرآن.

الخامس : قانون قراءة القرآن حرز ومادة وعون للإحتجاج به .

السادس : قانون تلاوة القرآن مدرسة في الصبر .

السابع : قانون تلاوة القرآن رجاء للفوز بحب الله .

ورود كلمة ﴿يُكَلِّفُ﴾ مرتين في القرآن

من الإعجاز في قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، تجليات اللطف الإلهي ، والرحمة بالناس جميعاً ، فلا يشدد الله على الناس بكثرة التكاليف الإضافية ، ويؤاخذهم على التخلف عنها ، بل يسري قانون التكليف دون الطاقة والقدرة والتحمل على كل إنسان .

وقد ورد لفظ ﴿يُكَلِّفُ﴾ مرتين في القرآن ، أحدهما في الآية أعلاه بالتكليف من الله ، لبيان أن أسمائه تعالى المُكَلِّف -بضم الميم وكسر اللام - وأنه ينفرد وحده بتكليف العباد ، وإنزال الشرائع والأحكام.

أما الثانية فهو قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٢).

والنسبة بين الآيتين عموم وخصوص مطلق ، فالآية أعلاه أعم ، وفيه إشارة إلى تخفيف واستجابة من الله عز وجل للدعاء في الآية

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) سورة الطلاق ٧.

الأخيرة من سورة البقرة ، ويدخل اليسر في الآية على التكليف بما يطاق لينقص ويقل ، وهو من بديع فضل الله عز وجل ورحمته بالناس بما تعجز الخلائق عن الإحاطة به كيفاً وكماً ، وعن إحصائه .

وذات اليسر مصاحب للعسر وغالب عليه لقوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١).

وهذا لا يعني الجحود والتفريط بالواجبات ، وإرتكاب المعاصي ، لمحجى الإنذار المتعدد في القرآن ، قال تعالى ﴿وَكَايْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبُنَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾^(٢).

قانون استدامة الرحمة

من أسماء الله تعالى (الرحمن) (الرحيم)، ومن الآيات ان هذين الاسمين معروفان لدى المسلمين وأهل الملل جميعاً، وقد وردا في البسملة وهي من أعظم آيات القرآن وفيها وجوه :

الأول : البسملة آية من كل سورة عدا براءة وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ونسب إلى ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبي هريرة، وأهل مكة كابن كثير، وأهل الكوفة كعاصم والكسائي، وبه قال الإمام أحمد بن حنبل في رواية عنه وابن المبارك، وأكثر أصحاب الشافعي، ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري، وهو المختار.

الثاني : أنها آية مستقلة كانت تنزل لبيان الفصل بين السور وتحديد رؤوسها، وبه قال مالك والأوزاعي وأكثر أصحاب أبي

(١) سورة الشرح ٥-٦ .

(٢) سورة الطلاق ٨-٩ .

حنيفة.

الثالث : هي آية من سورة الفاتحة دون سواها.

كما ورد الاسمان في سورة الفاتحة التي يقرأها المسلمون على نحو الوجوب العيني في الصلاة اليومية واختصا بآية مستقلة هي قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

ولأن الله سبحانه الرحمن الرحيم وهو الهادي الى منازل الإيمان جاء سؤال طلب الرحمة من الله، وهذه الرحمة ليست ابتدائية بل انها مستديمة ومستمرة فأصل الخلق رحمة من الله تعالى، ودوام الحياة رحمة، والتوفيق للإسلام رحمة، واجابة الدعاء ودفع الأسقام ودقائق النعم كل منها رحمة وفضل من الله تعالى، ان سؤال الرحمة اقرار بانحصار العظمة والجبروت بالله تعالى وانه استولى على كل ما دق وكبر.

ومن وجوه الرحمة دوام نعمة الإيمان والقرب من منازل التقوى والترقي في مراتب العبادة فان حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومن رحمة الله تعالى بقاء باب التوبة مفتوحاً وعدم غلقه ما دام في الإنسان نفس.

وجاء سؤال الرحمة مطلقاً في موضعه وزمانه وحكمه ومصاديقه وشاملاً للنشأتين، ومن الرحمة استدامة الإيمان والمحافظة عليه والولد الصالح، وتعاهد الإيمان في الذرية والأعقاب والنجاة من أعداء الدين والقوم الظالمين.

وهناك فرق بين المؤمن والكافر في تلقي الرحمة، فالكافر لا ينال رحمة الله تعالى الا في الدنيا، أما المؤمن فانه ينالها في الدنيا والآخرة وبأبهى أفرادها وأحسنها في الكم والكيف.

لقد سألوا الرحمة مباشرة من الله تعالى من غير واسطة،

فبينما نزل القرآن بواسطة الملك على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وقام بتبليغه للأمة وأجيالها فان سؤال الرحمة لا حاجب او واسطة فيه بين المؤمنين، وبين الله عز وجل.

ومن مفاهيم الرحمة الإلهية ان فتح الله باب الدعاء للمؤمنين وأرشدهم اليه ولقنهم صيغته المباركة، فصيغة الدعاء الواردة في هذه الآية لها قدسية خاصة وفيها اسرار ملكوتية ومنافع خاصة لا يعلمها الا الله عز وجل، لذا فان خاتمة سورة البقرة كنز وذخيرة وسلاح عقائدي مبارك يحتاج اليه كل مسلم ومن التخفيف ان جاءت ادعيتها بآية واحدة وبصيغة الجمع.

قانون عجز الخلائق عن إحصاء رحمة الله

لا يحصي رحمة الله على الخلائق إلا هو سبحانه ، وحتى إذا ارادت بعض أجناس الخلائق حساب وعدّ أفراد ومصاديق الرحمة فانهم يعجزون عن معرفتها ، فمنها ما لا يكون ظاهراً للخلائق ومداركهم وحواسهم ، وفي التنزيل ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١).

وورد لفظ ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أربع مرات ، وكل واحدة منها على لسان نبي :

الأولى : في موسى في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢).

الثانية : على لسان يعقوب عليه السلام بقوله تعالى ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ

(١) سورة يوسف ٦٤.

(٢) سورة الأعراف ١٥١.

الرَّاحِمِينَ ﴿١﴾.

الثالثة : في يوسف عليه السلام ، قال تعالى ﴿قَالَ لَا تَحْزَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٢).

الرابعة : في أيوب عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٣).

لييان مصداق لقانون (المسلمون ورثة الأنبياء) إذ يتلون كل يوم أدعية ومناجاة الأنبياء ، ولا يحصي تلاوة المسلمين لهذه الآيات إلا الله تعالى ، وفيه معجزة غيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن أسماء الله تعالى الولي ، وهو الناصر والملك والمالك والذي يتولى شؤون الخلائق وتديرها والقادر على حفظها، لقد جاء الخطاب بلفظ ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ (٤) وفيه مسائل:

الأول : ظاهره يدل على القرب.

الثاني : بلحاظ موضوع الدعاء والإقرار لله بأنه المتولي لكل نعمة فإن اسم الإشارة ولغة الخطاب تدل على الخضوع والخشوع.

الثالث : تبين الآية التوجه إلى الله تعالى بمنتهى صيغ التذلل.

الرابع : الدعاء انقطاع إلى الله سبحانه، وإعلان لإنحصار الحاجة به سبحانه.

الخامس : مجيء الدعاء بصيغة الجمع يبين إقرار المسلمين بالحاجة النوعية للباري عز وجل ورحمته ، فليس من أحد ينصر أحد من

(١) سورة يوسف ٦٤.

(٢) سورة يوسف ٩٢.

(٣) سورة أيوب ٨٣.

(٤) سورة البقرة ٢٨٦.

دون الله تعالى.

والولي والمولى بمعنى، ولا تعارض بين هذا الحصر وبين قوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١)، لأن ولايتهم مشتقة من ولاية الله وتأتي في طولها .

وكذا بالنسبة لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(٢)، فولاية الرسول مشتقة من ولاية الله تعالى وهي فضل ولطف وتخفيف منه تعالى على المؤمنين.

وقد اذن الله عز وجل وأخبر بها، فقابلها المؤمنون بالإقطاع اليه تعالى وإن ولاية الرسول لا تؤدي إلى الغلو بمقام النبوة، وبهذا يمتاز المسلمون عن غيرهم من الملل، ويتصفون بالإقياد التام لأوامر الله تعالى، واللجوء إليه، والإستجارة به وطلب النصرة والمدد منه سبحانه.

ولم يرد ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾^(٣) في القرآن إلا مرة واحدة في خاتمة سورة البقرة، ويتضمن المدح والثناء على الله بالإقرار بالولاية المطلقة له، وهو من اعجاز الآية بلحاظ كونه خاتمة السورة .

وعن جابر قال (لما نزلت آمن الرسول قال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أحسن الله الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل لا يكلف الله نفساً إلا وسعها حتى ختم السورة بمسألة محمد صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤).

(١) سورة التوبة ٧١.

(٢) سورة المائدة ٥٥.

(٣) سورة البقرة ٢٨٦.

(٤) الدر المنثور ١/٣٧٦.

وحدة المسلمين العبادية

ترى الفوارق بين الفرق الإسلامية في المسائل الصغرى ولا ترقى إلى مرتبة الفروق أو مسائل اختلاف، لأنها لا تتعرض للأصل والفرع والحكم الشرعي وماهية التكليف، ومع ان الشاذ النادر امر شائع في كل القواعد والمفاهيم وانه لا يغير من الحقائق وصحة القاعدة شيئاً الا ان الشاذ منعدم في فتاوى علماء المسلمين فيما يخص اصل الأحكام والعبادات وأجزائها.

فالإجماع على عدد الصلوات اليومية وركعاتها مثلاً بالإضافة الى الإجماع على وجوب الوضوء مقدمة لها ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١)، وهكذا باقي الفرائض.

وتبين الآية تعاهد المسلمين على حصر الولاية بالله تعالى.

فمع التفاوت الزماني بين أجيالهم وانعدام التقاء الأجيال، فكل جيل في زمن غير زمان الآخر فانك تراهم تعاهدوا فيما بينهم التسليم بالولاية المطلقة لله تعالى .

وهذا من إعجاز القرآن ان يكون ميثاقاً ثابتاً لتجديد العهد كل جيل يتبع الآخر ويدرك انه يشترك معه بهذا العهد والسابق يعلم ان الجيل اللاحق سيتبعه في تسليمه بالولاية المطلقة لله، وانها الأمانة

التي جعلها الله عند أهل الأرض فانفرد المسلمون بحملها وتعاهدوها، بل إن المسلمين منتشرون في أمصار متعددة، وجاءت القيود السياسية والحدود الدولية الى جانب الفواصل الجغرافية ولم تقلل من الصلات بينهم، ولكنهم مجتمعون على هذا الميثاق وتعاهده على نحو الاجتماع والتضامن والإشتراك، فلا شيء يمنع من اتحادهم في الإقرار العملي بالولاية المطلقة لله تعالى، والتسليم بولاية الله للمسلمين، فهو الذي يتولى أمورهم، ويدبر شؤونهم، ويهديهم سبل الرشاد، وهذا التسليم المحور الثابت الذي تلتقي عليه كلمتهم ويعرف بعضهم بعضاً بالإتحاد في مقام العبودية والخضوع لله تعالى. إنها مسكنة تتضمن الشرف والعز والرضا بالولاية والشكر على الهداية والتوفيق لها.

معنى الولاء

يدل لفظ (مولى) على المدح ويتعلق بالانتماء والولاء، وله في اللغة معان عديدة فيطلق على المالك والسيد والعبد والمعتق والمعتق والصاحب والقريب والجار والحليف والابن والعم والشريك والولي والرب والناصر والمنعم والمنعم عليه والمحب والتابع والصهر. أما في اصطلاح علم الرجال فيطلق على غير العربي الذي يوالي قبيلة عربية، وبه يقول الأكثر بل هو الشائع عرفاً، أو لعنقه أو عتق أبيه من قبل أحد رجال تلك القبيلة، والحلف غيره، فقد حالف وأخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين الانصار والمهاجرين مرتين أي أخى بينهم وكل من الفريقين عربي. لذا قد يطلق لفظ المولى على غير العرب، فيقال فلان عربي وفلان مولى، وكأنه مركب من أمرين:

الأولى : بدل لفظ أعجمي.

الثانية : ترتب على العتق له.

والظاهر انه أعم وان لم يكن معتقاً ولكن تركيبة المجتمع العربي

وتقسيمه الى قبائل وافخاذ جعل المسلم الاعجمي الذي يعيش بينهم ينتمي بالولاء الى احدى القبائل العربية ولو بالسكن في ربعمهم وحيهم وارضهم، وهذه اللفظة في المقام لا تفيد مدحاً.

نعم لو جاءت بلفظ المصاحب والملازم فانها تفيد ذلك ان كانت الصحبة لمن عرف بالعلم والصلاح، وتفيد ذماً اذا كانت الصحبة لكافر او ملحد.

كما يرد لفظ (غلام) ومن غلمان فلان ويعني انه مولاه وعبداه او انه تتلمذ على يديه وكان تابعاً له او صحبه وأخذ منه، بل ان التلاميذ وهو جمع تلميذ قد تطلق على الخدم والإتباع.

وعن بعضهم ان المراد منه المتعلم والخدام الخاص للمعلم، والعرف السائد ان المراد منها المتعلم.

وفي لسان العرب ذكر مادة تلمذ مع اختصار في شرحها، فقال (تلمذ: التلاميذ: الخدم والأتباع واحدهم تلميذ)^(١)، مما يدل على ان الكلمة لم تكن من الكلمات الشائعة والتي يكثر استعمالها.

ولكن ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال لهشام بن الحكم: يا هشام علمه فاني احب ان يكون تلميذاً لك" دلالة على ان المراد منه التعلم.

وهو في اللغة يطلق على الذكر أول ما يبلغ^(٢) وهذه اللفظة لا تفيد مدحاً ولا ذماً، نعم لو كانت تفيد الصحبة والملازمة فانها تفيد ذلك في حال الورع والتقوى، لأنها نوع تأدب ورفقة طويلة وحسن صحبة.



(١) لسان العرب ٤٧٨/٣.

(٢) وفي لسان العرب مادة غلم، الغلام معروف، ابن سيده: الغلام الطار الشارب، وقيل هو من حين يولد الى ان يشيب وهذا التعريف أعم من المورد.

الولاية لله

لقد توجه المسلمون الى الله باعلان الولاية لله تعالى على نحو الإطلاق لأنها الوسيلة لإحراز النصر والظفر على الأعداء ، ويدل قوله تعالى ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، على ان النصر بيد الله تعالى ولا يمنحه الا لأوليائه، وان ظهور الكافرين في بعض المعارك ليس نصراً انما هو من الإستدراج والإفتتان ، قال تعالى ﴿أَنَّا نُمَلِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّا نُمَلِّئُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢)، ويمكن الخروج بنتيجة وفق القياس الإقتراني وهي :

الكبرى : النصر بيد الله لا يمنحه الا لأوليائه.

الصغرى : المؤمنون أولياء الله.

النتيجة : النصر للمؤمنين.

نعم جاءت الآية على سبيل الدعاء والتوسل وليس في ظاهرها ما يدل على حصول الإستجابة ولكنها تجلت بوضوح في معارك الإسلام الأولى، والنصر اعم من تحقيقه في المعركة وسوح القتال .

فمنه الحجة والبرهان وإراءة الآيات واثبات ان الإسلام دين سماوي وان نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حق وصدق، وهذا النصر أكبر من النصر في المعارك والقتال في أحيان كثيرة، لذا ورد عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: (إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد ، ووضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء ، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء)^(٣).

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) سورة آل عمران ١٧٨.

(٣) بحار الأنوار ١٤/٢.

ومن النصر العز والرفعة للمسلمين وللنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشخصه وهويته وذاته ورفعة الإسلام وقوته، ومن النصر بعث الخوف في قلوب الكافرين واجتنابهم التعدي على الثغور الإسلامية وحقوق المسلمين المادية والاعتبارية، والإعلان العالمي لإكرام مقدسات المسلمين، ولحقوق الخزي والفضيحة لمن يحاول التعدي عليهم في مبادئهم.

سيادة التوحيد

لقد تجلت معالم الإسلام عقيدة روحية وعملية يومية منبسطة على جميع أرجاء الأرض ومنتشرة في مختلف البلدان، فمع التداخل الحضاري لم يعد أحد يجهل فلسفة الإسلام وثبات المسلمين على التوحيد والتصديق بالكتب السماوية والإيمان بجميع الرسل من غير تمييز بينهم، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١)، وهو أمر موافق للمقولات العامة التي تدعو إلى التقارب بين الحضارات، بمعنى أن الإسلام دعا إليها قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة ولا زال الناس متخلفين عن دعوة الإسلام، الأمر الذي يعني مقدمة كريمة لمنع تأثر المسلمين السلبي بالنظريات الجديدة، بل بالعكس فإن هذه النظريات واطروحات التقارب مناسبة كريمة لإظهار وجوه الإعجاز في القرآن وخواتيم سورة البقرة.

ومن النصر على الكافرين عودتهم إلى ما يدعوا إليه الإسلام من الإتحاد في الإيمان، واعطاء الأولوية للتوحيد والتصديق بالنبوات واقتباس الأحكام.

ولقد جعل القرآن الإيمان التام أهم الثوابت التي يجري على أساسها التقارب، وبذا وضع الحواجز دون الزيف والتهاون وغلبة الهوى والتفريط وتقديم رغبات النفس الشهوية والمنافع الدنيوية والإنصات الى أصوات الطواغيت واعوان الشياطين، فالصلة مع المشركين لها مضمون واحد هو النصر عليهم وليس الإلتقاء معهم لأن الواجب يقتضي اتخاذهم التوحيد والإيمان رداءً.

قانون من النصر إنتفاء العدو

لقد بينت آيات القرآن التناقض بين الإيمان والكفر ولم تكتف ببيانه بل أخبرت عن حاجة المسلمين الى النصر على الكافرين كحاجتهم الى العفو وسؤال عدم المؤاخذه على النسيان والخطأ ورجاء العفو والمغفرة وهي أمور يحتاجها المسلم في آخرته أكثر من حاجته لها في دنياه، فلا بد ان النصر على الكافرين يحتاجه المسلمون في آخرتهم ايضاً بشواب الدفاعة والصبر مقدمة لأداء العبادات والمواظبة على الطاعات.

ومن النصر على الكافرين انتفاء موضوع الكفر في المحلة والقربة والبلدة، ويمكن ان نشرع قانوناً وهو (من النصر انتفاء العدو)، وجاء الدعاء بطلب النصر من عند الله تعالى للإمتناع عن اتباع صيغ غير شرعية في محاربة العدو وقتاله ومناظرته والتعامل معه، لذا وضعت ضوابط دقيقة وقواعد ثابتة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب القتال إلا في حال الدفاعة.

فطلب النصر من الله تعالى يعني اجتناب الحرام في المعاملة ومنه الهداية الى أفضل السبل للجهاد وتهيئة مقدماته، وقد يكون من النصر الصبر والإمهال والرفق والعفو.

وقد وردت آيتان في موضوع الإقتراب من التقوى والفوز بمروضة

الله بقوله تعالى ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١)، وقال تعالى ﴿اغْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢).

وبين قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾^(٣)، فلسفة أخذ الحيلة والاستعداد للمواجهة وعدم الغفلة أو الركون للكافرين في أفعالهم وأقوالهم، ومن مفاهيم طلب النصر على جهة ما الحذر منها والتوقي من غدرها.

قانون السورة القرآنية دعوة للإيمان

من الإعجاز في تقسيم القرآن إلى سور تفصل بينها آية البسملة أن كل سورة كنز سماوي ، وهي مادة للهداية والرشاد . سورة البقرة اسماً ومسمى دعوة للإيمان ، ومدرسة للأجيال ، وآية سماوية بين الدفتين، وقد ورد لفظ (البقرة) بصيغة المفرد اربع مرات في القرآن كلها في سورة البقرة على التعاقب في الآيات (٦٧-٦٨-٦٩-٧١).

وتشير كلها الى موضوع شخصي وقصة بقرة واحدة، كانت آلة ملكوتية ، في اثبات نبوة موسى وكشف الحقائق والمنع عن التعدي والباطل كما ورد بصيغة الجمع خمس مرات، واحدة في سورة البقرة في الآية السبعين ضمن التسلسل أعلاه ، واثنين في سورة الأنعام ، ومثلهما في سورة البقرة.

في بيان فضل الله عز وجل على الناس في الأنعام وحليتها وتسخيرها في أمور الدين والدنيا .
وسأل رجل الإمام علياً عليه السلام (عن الهدى ، مم هو .

(١) سورة البقرة ٢٣٧.

(٢) سورة المائدة ٨.

(٣) سورة النساء ٧١.

قال : من الثمانية الأزواج ، فكان الرجل شك .

فقال علي : تقرأ القرآن ، فكان الرجل قال نعم .

قال : أفسمعت الله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ

بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾^(١) ، قال : نعم .

قال : وسمعتة يقول ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ

الْأَنْعَامِ﴾^(٢) ، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمْلَةَ وَقَرْشًا﴾^(٣) ، فكلوا من بهيمة الأنعام ،

قال : نعم .

قال : أفسمعتة يقول ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ

اثْنَيْنِ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾^(٤) ، قال : نعم .

قال : أفسمعتة يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾^(٥) ،

إلى قوله ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ .

قال الرجل : نعم .

فقال : إن قتلت ظيياً فما علي ، قال : شاة .

قال علي : هدياً بالغ الكعبة .

قال الرجل : نعم .

فقال علي : قد سماه الله بالغ الكعبة كما تسمع^(٦) .

وورد بالإسناد عن بريدة قال (قال: كنت جالساً عند النبي صلى

(١) سورة المائدة ١ .

(٢) سورة الحج ٣٤ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٢ .

(٤) سورة الأنعام ١٤٣-١٤٤ .

(٥) سورة المائدة ٩٥ .

(٦) الدر المنثور ٤٨٢/٣ .

الله عليه وآله وسلم فسمعتة يقول : تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة.

قال : ثم سكت ساعة، ثم قال : تعلموا سورة البقرة، وآل عمران، فإنهما الزهراوان، يُظْلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمابتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني .

فيقول : ما أعرفك.

فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة. فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا .

فيقال : بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً^(١). وفي الحديث وجوه :

الأول : اقتران سورة آل عمران مع سورة البقرة في الفضل.

الثاني : الحديث دعوة لتعلم سورة البقرة وسورة آل عمران مع ان التعلم أعم من التلاوة والقراءة، وبين القراءة والتعلم عموم وخصوص مطلق، فكل تعلم هو قراءة بالذات أو الواسطة وليس العكس.

لأن تعلم السورة القرآنية ليس تعلماً لموضوع أدبي أو فقهي كي تكون النسبة عموماً وخصوصاً من وجه.

الثالث : روي عن عبد الله بن مسعود انه قال: (كان الرجل اذا

تعلم سورة البقرة جد فينا أي عظم^(١).

الرابع : يؤكد الحديث وجود علوم وافاضات في سورة البقرة وآل عمران ويحث المسلمين على تعلمهم وأبنائهم السورتين . وصيغة الحديث جاءت بلغة الأمر (تعلموا)، والذي يحمل على الوجوب الا مع القرينة الصارفة على الإستحباب والظاهر ان المراد هنا الإستحباب لحصر الواجبات.

الخامس : يدل الحديث على موضوعية علم التفسير والتأويل والحاجة اليه، والى استخراج كنوز سورة البقرة وآل عمران.

السادس : يقال زهر الشيء: صفا لونه واضاء، واليوم الأزهر هو يوم الجمعة، ويقال رجل أزهر أي ابيض مشرق الوجه، وفي صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه أزهر اللون ، ونعت سورة البقرة وآل عمران بانهما زهراوان مدح مستقل وإخبار عما تبعث كل سورة من الضياء والنور.

السابع : التظليل يوم القيامة أمان ورحمة ، والغمامة واحدة الغمام وهي السحابة البيضاء، والغيابة الهبطة والستر كعنوان للأمن والسلامة من العذاب، والفرقان- بكسر الفاء- القطعتان أي ان كل سورة لها نفع عظيم على نحو مستقل عن الأخرى.

وستبقى سورة البقرة مدرسة عقائدية وإفاضة ملكوتية، ورحمة ساهمت في الإرتقاء الأخلاقي، وبيان وتثبيت أحكام الشريعة في الأرض الى يوم القيامة وكذا بيان الأحكام الشرعية في سورة آل عمران .

ولا يحصي ثواب قراءة المسلم لسورة البقرة وآل عمران إلا الله عز وجل ، لقد أنزل الله القرآن ليتجلى عجز الملائكة عن إحصاء النعم الدنيوية والآخروية التي تترشح عن تلاوته والتقيد بسننه وأحكامه .

كلمة واحدة جملة مفيدة

كلمة ﴿فَاسْتَيْنَازُوهُ﴾ جملة من حرف عطف وفعل وفاعل ومفعول به أول ومفعول به ثاني .
وهو من الإعجاز في عربية القرآن واحاطة كلماته المحدودة باللامحدود من الوقائع والأحداث .
﴿فَاسْتَيْنَازُوهُ﴾ أكثر كلمات القرآن حروفاً ، وعدد حروفها أحد عشر حرفاً .

وتأتي بعدها كلمة ﴿أَنْزَلْنَاهُ وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(١) ، وعدد حروفها عشرة حروف .

و﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ كلمة تفيد جملة مفيدة

الهمزة : للإستفهام .

نلزم : فعل مضارع .

كم : ضمير في مفعول به .

الواو : حركة لإشباع الميم ، ويقال في الصناعة النحوية أنها زائدة ، والمختار ليس من زائد في القرآن فيجب أن يكتفى بالقول أنها حركة لإشباع الميم ونحوه .
ها : ضمير مفعول به ثان .

والفاعل نحن يعود لله عز وجل ورد بصيغة الجمع للتعظيم .
ومن إعجاز القرآن إنفراد الله عز وجل بصيغة الجمع للتعظيم ، فلا يطلق هذا اللفظ على المفرد من الإنس أو الجن أو غيرهما من الخلائق .

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ جملة إنشائية تامة .

وقد يجتمع المدح والذم في آية واحدة بلحاظ عالم الفعل ،

وموضوعية التخيير المقرون بالتكليف كما في قوله تعالى ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

أما ثالث أطول كلمة في القرآن فهي ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ وهي جملة مفيدة .

الفاء : رابطة لجواب الشرط المقدر .

السين حرف استقبال يفيد القرب في مقابل سوف للبعيد ، لبيان سرعة نزول المدد والعون والكفاية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله عز وجل .

يكفي : فعل مضارع مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة المقدرة .

الكاف : ضمير مفعول به أول .

هم : ضمير متصل مفعول به ثان .

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع .

وجملة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ جملة إنشائية تامة .

وعلم إحصاء الجمل الخبرية والإنشائية في القرآن ، وكذا علم إحصاء المدح والذم في القرآن لا يقدر عليه الذكاء الإصطناعي فلا بد من تتبع كلمات القرآن كلمة كلمة ، في كل إحصاء منها ، ومن الأوامر والنواهي .

وقد يتضمن الخطاب القرآني الواحد المدح والذم وفق السبر والتقسيم كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ إذ يتضمن المدح والشكر للمؤمنين ، والذم والتوبيخ للكافرين بحسب موضوع الآية ، منه مثلاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا

فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا^(١)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا^(٢)﴾، وهذه الآية الوحيدة من بين عشرين آية تضمنت النداء العام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ لم يأت النداء في أولها ، لإكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ^(٣)﴾، ففيه تشريف للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتوبيخ ووعيد للذين كفروا .

ومع ورود ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تسعاً وثمانين خطاباً مباشراً في القرآن من عند الله للمسلمين والمسلمات فلم يأت الخطاب للذين كفروا إلا بالآية أعلاه وبواسطة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قانون الدنيا دار ثواب الحمد لله

لقد خلق الله عز وجل الأكوان والجن والإنس لطفاً منه تعالى ، وآية في بديع صنعه ، وعظيم قدرته وسلطانه ، وجعل الحمد لله قانوناً وضابطة كلية في كل جنس من الخلائق ، واختار الله عز وجل الإنسان للخلافة في الأرض .

وجعل عليهم ملائكة يحصون أقوالهم وأفعالهم ، ولم يكن هذا الجعل سراً بل أخبر الله عز وجل الناس جميعاً وهو من ضروب حاجتهم إلى البلاغ من عند الله ، فبعث الأنبياء وأنزل الكتب السماوية لبيان خصائص الخلافة وأن الدنيا مزرعة للآخرة ، وأن الحمد لله واجب على كل إنسان ، ويصير الملائكة في حال غبطة عند كتابة قول الحمد لله ، أما ثوابه فانهم يعجزون عن الإحاطة به علماً .

(١) سورة النساء ١٧٠.

(٢) سورة الأعراف ١٥٨.

(٣) سورة الكافرون ١.

و(عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ)^(١).

ولا يعلم الأجر والثواب على الحمد لله إلا الله عز وجل لأن هذا الأجر مفتوح من جهة الزيادة والمضاعفة مع تقادم الأيام في حياة قائل الحمد لله وبعد مماته لقانون قول الحمد لله إدخار في النشأتين.

لذا ورد (عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد ينعم الله عليه بنعمة إلا كان (الحمد) أفضل منها)^(٢). وفي قول الحمد لله منافع لا يحصيها إلا الله منها :

الأول : الحمد لله دعاء ، وهل منه قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) ، في سورة الفاتحة ، الجواب نعم ليجمع الدعاء مع القرآنية ، وهل هو من الشواهد على وراثة المسلمين للأنبياء في مناجاتهم وكنوز الدعاء .

الثاني : قول الحمد لله دعاء وتسليم بأن النعم كلها من عند الله عز وجل .

الثالث : قول الحمد لله ذكر لله عز وجل باللسان والذي ينعكس على الأركان ، قال تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَكُنَّا تَكْفُرُونَ﴾^(٤).

الرابع : قول الحمد لله باعث للسكينة في النفوس ، قال تعالى

(١) تفسير ابن كثير ١/١٣٠ .

(٢) الدر المنثور ١/٢ .

(٣) سورة الفاتحة ٢ .

(٤) سورة البقرة ١٥٢ .

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

الخامس : وردت أحاديث في السنة النبوية هي ثروة بخصوص الحمد لله .

منافع آيات النار

لقد صدر والحمد لله الجزء الخامس والأربعون بعد المائتين والسابع والأربعون بعد المائتين ويختصان بعلم (الإحصاء القرآني غير متناه)^(٢).

وبلحاز الآيات التي تتضمن بيان سوء حال الذين يدخلون النار ، واجتماع ضروب الأذى والضرر عليهم .
ومن بدائع خلافة الإنسان في الأرض وجود أمة في كل زمان تستحضر عذاب النار وشدة والأسباب التي تؤدي إليه ، من الكفر والمعاصي والظلم وسفك الدماء بغير حق ، فيحرصون على الإبتعاد عنها ، وهذا الحرص كيفية نفسانية وقول وفعل لا يحصيها إلا الله عز وجل وهو من بركات استحضار عذاب النار ورجاء الثواب الأخرى.

لذا جعل الله عز وجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً على المسلمين ، ومنه في المقام الأمر بالصالحات التي تحجب النار عن الإنسان في الآخرة ، والنهي عن المعاصي التي تجعل الملائكة يسوقونه إلى النار ، قال تعالى ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٣).

(١) سورة الرعد ٢٨.

(٢) كان التسلسل ٢٤٦-٢٤٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٥.

ومن خصائص أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدم الإستهانة بالذنوب ، فتراهم يتاجون باجتنابها ، كما أن الفرد الواحد منهم يخشى الله بالغيب ، ويمتنع عن الفواحش ، ولا يعلم بهذه الخشية إلا الله عز وجل .

فصحيح أن الملائكة يقومون بتدوين الأعمال ، ولكنهم لا يعلمون بالأسباب والمقاصد النفسية منها ، التي لا يعلمها إلا الله عز وجل لذا يأتي الأجر والثواب على نية العمل الصالح ، وعلى النية والعزم على إجتناّب السيئات .

ومن آيات النار وصفتها في القرآن هي :

الأولى : قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾^(٣).

الرابعة : قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٣٩.

(٢) سورة البقرة ٨١.

(٣) سورة آل عمران ١٩٢.

(٤) سورة النساء ١٤٥.

وهل تلاوة القرآن واقية من النار ، الجواب نعم ، سواء للقارئ أو السامع ، وهو من أسرار وجوب تلاوة القرآن على كل مسلم ومسلمة خمس مرات في اليوم .

ولا يحصي منافع تلاوة آيات القرآن في الصلاة في الوقاية من النار يوم القيامة إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق نعت القرآن بالذكر والبركة ، قال تعالى ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(١).

قانون الإطلاق في بركة القرآن

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الخير والبركة وزيادة الفيوضات الإلهية على الناس ، وهو من أسرار وعلة خلق الناس .

فمن معاني ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) ، وجوه :

الأول : أفيض على الجن والإنس ليعبدون .

الثاني : اديم النعم على الجنس والإنس ليعبدون .

الثالث : احيط الدنيا بالبركات الظاهرة والخفية ليعبدون .

ولا يحصي هذه البركات إلا الله عز وجل وحده .

الرابع : تفضل الله بتهيئة مقدمات العبادة للناس جميعاً ، ومنها النبوة والتنزيل ، ومنها الرئاسات العامة ، وشؤون الملك التي تكون عوناً للناس لتقريبهم لعبادتهم لله عز وجل .

الخامس : ينزل الله عز وجل الغيث من السماء للرزق الكريم الذي هو مقدمة للعبادة ، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾^(٣).

(١) سورة الأنبياء ٥٠.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

(٣) سورة ق ٩.

ويتجلى قانون الملازمة بين التنزيل والبركة كل يوم ، وتعددت الآيات التي تتضمن الإخبار عن بركة القرآن منها :

الأولى : قوله تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (١).

الثانية : قوله تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢).

وسورة الأنعام مكية مما يدل على ترغيب أهل مكة بالإسلام وكانت قريش أهل تجارة وأصحاب أموال ، كما في قوله تعالى ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣).
فهل اتباع القرآن وأحكامه يزيد من أموالهم ويرفع من شأنهم بين الناس ، الجواب نعم .

ولكنهم اختاروا محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن فانشغلوا عن التجارة ، وسخروا إبلها ورؤوس الأموال في القتال والعدوان وغزو المدينة لبيان قانون الخسارة بعدم إتباع القرآن بينما فاز الذين اتبعوا القرآن من أهل البيت والمهاجرين والأنصار .
ومن فضل الله عز وجل استدامة وتجدد البركة ، فالذين تابوا وآمنوا من قريش شملتهم البركة بمعجزة للقرآن والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وأيهما أكثر بركة القرآن في الدنيا أم في الآخرة ، الجواب هو الثاني ، ولا يعلم أفراد ومصاديق وكيفية البركة في الدنيا أو الآخرة إلا الله عز وجل .

(١) سورة الأنعام ٩٢.

(٢) سورة الأنعام ١٥٥.

(٣) سورة قريش ١-٣.

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ أي مبارك في الدنيا والآخرة .

بركة القرآن في الآخرة

النسبة بين الآخرة ويوم القيامة عموم وخصوص مطلق ، فالآخرة أعم ، وتبدأ من دخول القبر . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من مات فقد قامت قيامته)^(١) .

وتأتي البركة في الآخرة من وجوه :

الأول : الإيمان والعمل الصالح في الدنيا .

الثاني : الأجر والثواب على الصالحات في الدنيا .

الثالث : البركة ومضاعفة الثواب ساعة الفعل الصالح ، قال

تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا﴾^(٢) .

الرابع : من بركة القرآن أنه شفاء ورحمة ، وواقية للبيوت والنفوس من الشيطان ، وهذه الواقية خير محض ونفع في الدارين .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)^(٣) .

الخامس : البركة التي تأتي للإنسان بعد وفاته ، ومن مصاديقها عدم الإختصاص بالفعل العبادي له ، إنما تشمل ذكر واستغفار الصالحين من أهل الدنيا له .

السادس : بركة القرآن في عالم البرزخ ، وصيرورته انيساً وحارساً لمن حفظ آياته .

(١) تفسير القرطبي ٤١٦/٢ ، البحار ٧/٥٨ .

(٢) سورة الأنعام ١٦٠ .

(٣) تفسير القرطبي ١٩٧/١ .

و(عن ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر. فإذا إنسان يقرأ سورة الملك (تَبَارَكَ) حتى ختمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر"^(١).

السابع : بركة التنزيل يوم القيامة بحضوره شفيعاً وشاهداً لمن قرأه ، ومن عمل بأحكامه ، ومن سهر الليل في التدبر في علومه ، واتخذ حجة ومادة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
و(عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)^(٢).
وقد وردت صفة مبارك للقرآن بصيغة التنكير في قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣) ، ويفيد التنكير مقام الإثبات الإطلاق .

فليس من حصر لوجوه البركة في القرآن من جهات :

الأول : الموضوع .

الثاني : الحكم .

الثالث : التخفيف عن الناس .

الرابع : شمول البركة للذي يتلو القرآن والسامع وغيرهما.

(١) تفسير ابن كثير ١٧٤/٨ .

(٢) ابن الجزي / التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥/١ .

(٣) سورة الأنعام ١٥٥ .

الخامس : عدم وقوف بركة القرآن لخصوص المسلمين بل يعم أهل الأرض ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

السادس : قانون جذب القرآن الناس للتوبة وعمل الصالحات .
السابع : بركة القرآن في درء المفسد ، وفي حجب إغواء الشيطان.

وهل بركة القرآن من مصاديق تصديقاً للكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل بقوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٢).

الجواب نعم ، من وجوه :
الأول : القرآن شاهد على ما في الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء السابقين من البركة .

الثاني : قانون حفظ بركة الكتب السماوية السابقة في القرآن ، قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيُلَوِّكُمُ فِي مَا أَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٣).

الثالث : حفظ القرآن لأحكام الشرائع السماوية ، وسلامته من التحريف أو الزيادة أو النقيصة.

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام ٩٢.

(٣) سورة المائدة ٤٨.

يوميات علمية للمرجعية الإسلامية

المرجع الصالح الطائي

بفيض من الطاف الله عز وجل الظاهرة والخفية تم هذا اليوم ١٩-١-٢٠٢٤ إتمام روضة ناضرة من معالم الإيمان الجزء (٢٥٧) :إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

والمساهمة في تنزيده وطبعه ونشره من الخمس والحقوق الشرعية مبرئة للذمة ، وفيها الأجر والثواب.

العدد : ٢٤/١٩ في ٢٠٢٤/١/١٩

يَتَجَلَّى الْإِعْجَازُ فِي آيَةِ الْيَقْطَعُ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ، من وجوه منها :

الأول : سبب نزول الآية أعلاه هو معركة أحد التي وقعت في (١٥) شوال من السنة الثالثة للهجرة ، ويذكر علماء السيرة والتفسير هذه المعركة بأنها غزوة للنبي محمد (ص) وكأنه هو الغازي.

والحق أن مشركي قريش هم الغزاة إذ قطعت جيوشهم مسافة (٤٥٠) كم من مكة إلى مشارف المدينة مع العزم على اقتحامها واستباحتها ، فقطعوا هذه المسافة ليقطعهم الله «أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا».

الثاني : موضوع الآية متجدد وباق إلى يوم القيامة ، وهو من الشواهد على قانون بقاء آيات القرآن غضة طرية إلى يوم القيامة .

الثالث : من معاني صيغة الجمع في الآية «فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» قذف الخوف والفرع في قلوب الرؤساء والأتباع من الذين أشركوا وليخيم الرعب في معسكرهم.

من الجزء (٢٥٧) من معالم الإيمان

العدد : ٢٤/٢٠ في ٢٠٢٤/١/٢٠

لقد قمت بتقسيم إعجاز الآية القرآنية إلى ١- الإعجاز الذاتي ٢- الإعجاز الغيري ، ومن الأول ورود أربع صفات عظيمة للقرآن في شطر آية واحدة لم ترد في وصف أي كتاب سماوي أو ملك ، إذ قال تعالى

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ
لِّلْمُسْلِمِينَ﴾.

ومن الإعجاز الغيري لهذه الآية تحقق ملايين المصاديق لها كل يوم
بتقوى وأداء المسلمين الفرائض العبادية ، وبالرحمة المتصلة والرزق
الكريم من عند الله عز وجل.

ومن هذا الإعجاز والتبيان المطلق صيرورة السنة النبوية القولية
والفعلية وتوثيقها مرآة لصفات التبيان المطلق والهدى والرحمة
والبشارة في الآية .

العدد : ٢٤/٢١ في ٢٠٢٤/١/٢١

بين البسملة والتسمية

البسملة هي قول (بسم الله الرحمن الرحيم) وهي آية من القرآن .
أما التسمية فهي قول (بسم الله) وهي من الذكر ، ويؤتى
بالتسمية عند الإبتداء بالوضوء ، وذبح الحيوان ، والصيد ونحوه.

العدد : ٢٤/٢٢ في ٢٠٢٤/١/٢٢

اختراق الرعب لقلوب الكفار يوم معركة أحد معجزة حسية
غريبة للنبي محمد (ص) ووعيد وإنذار لهم بالخيبة والخسران في
معركة الأحزاب ، وحنين ، وتخفيف وبشارة عن النبي (ص) والمؤمنين ،
قال تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى لِّلظَّالِمِينَ﴾.

العدد : ٢٤/٢٣ في ٢٠٢٤/١/٢٣

النسبة المنطقية بين الذين آمنوا والمؤمنين عموم وخصوص مطلق ،
فكل مؤمن هو من الذين آمنوا وليس العكس .

وعن الإمام الصادق عليه السلام: يدخل في «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»
المنافقون والضلال وكل من أقر بالدعوة الظاهرة/ البحار ١١/١٤٨.

العدد : ٢٤/٢٤ في ٢٠٢٤/١/٢٤

من معجزات النبي محمد (ص) معجزة كثرة الصحابة ، فلم يغادر الدنيا إلا وعدد أصحابه نحو مائة ألف مدة النبوة (٢٣) سنة ، اختاروا النطق بالشهادتين وأداء الفرائض العبادية ، وجاهدوا الكفر والضلالة وعبادة الأصنام ، لتتوالى عليهم النعم ، قال تعالى **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** .

العدد : ٢٤/٢٥ في ٢٠٢٤/١/٢٥

من معجزات النبي محمد (ص) وقانون تجدد نصر الله عز وجل له ، قانون سلامة المدينة المنورة من الإستباحة حتى عندما زحف عشرة آلاف مقاتل من كفار قريش وحلفائهم عليها في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة في معركة الخندق **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** .

العدد : ٢٤/٢٦ في ٢٠٢٤/١/٢٦

من إعجاز القرآن الغيري تفقه المسلمين والمسلمات في الأحكام والسنن والعلم العام بأن خطاب جمع الذكور في القرآن يفيد اشتراك الرجال والنساء في الأحكام إلا ما خرج بالدليل ، وفي قوله تعالى **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** .

ورد التذكير مرتين في ذات نداء التشريف وفي ضمير جمع الذكور في **عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ** ولوحدة الحكم والتكليف يدرك الجميع شمول المسلمات بهذا الخطاب والتكليف لوحدة الموضوع في تنقيح المناط .

العدد : ٢٤/٢٧ في ٢٠٢٤/١/٢٧

معجزة انقطاع الإبادة الجماعية برسالة محمد (ص)

وقعت حرب داحس والغبراء في أواخر العصر الجاهلي بين فرعين من قبيلة غطفان ، بين قبيلتي عبس وذبيان ، ودخلت معهم قبائل عديدة مثل فزارة ، وشيبة ، وأسد ، وطي .

وبلغ عدد القتلى فيها نحو (١٥٦) ألف قتيل قتل فيها عروة بن الورد وعنترة بن شداد وحمل بن بدر ، وسببها حدوث غش ومكر في رهان لسباق بين الحصان داحس والفرس الغبراء ، أيهما يسبق ، ومقدار الرهان مائة من الإبل ، ومثلها في الإبادة وطول المدة حرب البسوس .
 لتنتقطع برسالة النبي محمد (ص) حروب الإبادة بين العرب بدخول القبائل الإسلام ، قال تعالى [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ].
 العدد : ٢٤/٢٨ في ٢٠٢٤/١/٢٨

الإسلام دين العلم والمعرفة
 أول كلمة نزلت من القرآن [اقْرَأْ] إذ قال تعالى [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ] مما يدل على أن الإسلام دين العلم والمعرفة والسلام والإحتجاج .
 وعندما تم أسر سبعين من الكفار يوم بدر اشترط النبي على عدد منهم لفك أسرهم تعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة .
 العدد : ٢٤/٢٩ في ٢٠٢٤/١/٢٩

معجزة صلح الحديبية
 بعد سنة من معركة الخندق التي غزا فيها عشرة آلاف من المشركين المدينة المنورة تم عقد صلح الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة ليدخل الإسلام بسنتين بينه وبين فتح مكة أكثر من الذين دخلوه في (١٩) سنة وهي السنين السابقة من حين بعثة النبي محمد (ص) لقانون الإسلام دين السلام، وأنه انتشر بالحجة والمعجزة والبرهان ونزل بخصوص هذا الصلح قوله تعالى [إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا].
 العدد : ٢٤/٣٠ في ٢٠٢٤/١/٣٠

ذكر الله الإنسان قبل خلقه بعنوان [فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ] وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم طاعة لله قال تعالى [فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ] وهو تشريف وإكرام للناس يجب أن يقابل بالشكر لله وعمارة الأرض بالتقوى والمودة العامة.

العدد : ٢٤/٣١ في ٢٠٢٤/١/٣١

من معجزات النبي محمد (ص) في باب الأسماء والكنى نسيانك اسم عمرو بن هشام بن المغيرة حالما تسمعه ، ولا تذكر منه إلا كنيته (أبا جهل) التي سماه بها النبي (ص) فذهبت شياعاً لشدة إيدائه للنبي (ص) والمسلمين والمسلمات الأوائل .

وفي معركة بدر أصر أبو جهل على الإبتداء بالقتال فلقى حتفه في ساعاتها الأولى .

العدد : ٢٤/٣٢ في ٢٠٢٤/٢/١

النسبة بين الوحي والقرآن هي العموم والخصوص المطلق ، فالوحي أعم ومنه الحديث القدسي والسنة النبوية ، قال تعالى [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] .

والقرآن كتاب الله المعجز الذي نزل جبرئيل بالفاظه وكلماته .

العدد : ٢٤/٣٣ في ٢٠٢٤/٢/٢

معجزة كثرة الأوامر من الله عز وجل إلى النبي محمد (ص) ولحقوق أجيال المسلمين به ، إذ ورد لفظ (قل) في القرآن (٣٣٢) مرة منها (٣٢٨) مرة إلى النبي محمد (ص) ، وكل مرة منها هي ذكر وإكرام له ، وتقدير هذه الآيات (قل يا محمد) إلى جانب أوامر بصيغ أخرى مثل [أَقِمِ الصَّلَاةَ] [قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا] والنواهي المتعددة .

مما يدل على أنه أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن .

العدد : ٢٤/٣٤ في ٢٠٢٤/٢/٣

المراد من النفس

نزل قوله تعالى [لَا تَكْلَفْ نَفْسَ إِلَّا وَسْعَهَا] بلفظ النفس، والمراد

من النفس وجوه :

الأول : ذات الشيء ، والإنسان روحاً وجسداً كما في قوله تعالى [فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ] .

الثاني : الجوهر المتعلق بالأجسام تعلق التدبير والتصرف .

الثالث : اسم النفس الحيوانية لكل حساس.

الرابع : اسم النفس الناطقة.

الخامس : الباقي من الإنسان بعد الموت.

السادس : المزاج الذي هو عبارة عن اعتدال الأركان والأخلاط.

السابع : الروح ، كما في قوله تعالى في حال الإحتضار [وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ].

والمراد في المقام وعنوان التكليف هو الأول أي ذات الإنسان كمكلف ومركب من جسد وجوارح وروح لاشتراكها في أداء التكليف .

العدد : ٢٤/٣٥ في ٢٠٢٤/٢/٤

الحمرة المشرقية هي حمرة في السماء من جهة المشرق تزول بعد غروب الشمس ليأتي بعدها الشفق وهو حمرة من جهة المغرب بزوالها ينتهي وقت صلاة المغرب ، ويأتي بعد الشفق الغسق ، وتحدث حمرة مشرقية أخرى قبل طلوع الشمس هي آخر وقت فضيلة صلاة الصبح.

العدد : ٢٤/٣٦ في ٢٠٢٤/٢/٥

لقد كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ترجمان القرآن ، ومبيناً لمعارفه ، وهو من مصاديق حديث الثقلين . ومع شدة البلاء والسجون التي تعرض لها فقد كان الإمام يحضّ الناس على التدبر في أحكام وسنن وإعجاز القرآن ، ويدفع الشبهات عنه .

العدد : ٢٤/٣٧ في ٢٠٢٤/٢/٦

قانون سد الذرائع

الذرائع جمع ذريعة وهي الوسيلة والسبب والوصلة إلى الشيء ، وسدها في الاصطلاح منع الفعل المباح والسالم من المفسدة إذا كان يؤدي إلى مفسدة وأمر محظور ، أي أن النسبة بين المعنى اللغوي

والإصطلاح للذريعة هو العموم والخصوص المطلق ، فالأخير هو الأخص .

ومنه قوله تعالى : **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** .

فمع أن سبّ وذم الأوثان وآلهة المشركين الزائفة تعظيم لشعائر الله ، فقد نهى الله عز وجل عنه لصيروته ذريعة لسب الله عز وجل فالمصلحة العامة بترك سب الله عز وجل أولى من مصلحة سب آلهة المشركين .

ولأن النفع العام بالإحتجاج واقامة النبي (ص) والمؤمنين البرهان على التوحيد ، ولكفاية ذم القرآن لعبادة الأوثان وبيانه لسوء عاقبتها .

العدد : ٢٤/٣٨ في ٢٠٢٤/٢/٧

عندما بلغ النبي محمد (ص) أربعين سنة قمرية بدأت البعثة النبوية ، وكان لسته أشهر لا يرى رؤيا إلا تحققت كفلق الصبح ، ثم نزل عليه الوحي في غار حراء الذي كان يتحنث فيه اأقرأ باسم ربك الذي خلق ♦ خلق الإنسان من علق .

وقد هالته رؤية جبرئيل باليقظة ، فرجع إلى زوجه خديجة لتبدأ الدعوة السرية ، وتليها الدعوة العلنية وأندز عشيرتك الأقرين . وليتوالى نزول آيات القرآن كمعجزة عقلية لم يشهد لها ولنافعها العظيمة التاريخ مثيلاً .

العدد : ٢٤/٣٩ في ٢٠٢٤/٢/٨

معجزة أصحاب الصفة

الصفة - بالضم - السقيفة - ، وهي بجوار المسجد النبوي محلاً لإيواء فقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى أو مسكن ، ويتعلمون فيها القرآن ، ويحضررون الصلاة اليومية مع النبي (ص) ، ويخرجون في السرايا ، ويزيد عددهم أو ينقص ، وقد يصلون إلى (٣٠٠) أحياناً وليس لهم مهنة أو عمل يناسبهم ، وكانوا يتوزعون على الصحابة عند الغذاء ، ويتولى النبي (ص) إطعام بعضهم ونزل بعض الأنصار الصفة مواساة لهم .

وأصحاب الصفة معجزة غيرية للنبي محمد (ص) وكذا تحسن حياتهم فيما بعد ليورث عدد من أهل الصفة أموالاً طائلة فمثلاً ترك خباب بن الارت مالا قدره أربعون ألف دينار، وترك عبد الله بن مسعود تسعين ألف درهم، ودفع عثمان لورثته بـ (٢٥) ألف أخرى كان قد حبسها لستين.

وكانت تركة الزبير بن العوام نحو (٣٥) مليون درهم عدا الأراضي الزراعية كما أنه اتجه إلى شراء العقارات في المدينة والكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها.

وقدرت تركة طلحة بن عبيد الله بـ (٦٠٠) ألف دينار ذهب، ونحو مليوني درهم فضة عدا الدور والأراضي الزراعية، وكانت له ضيعة في العراق يقدر دخلها بنحو (٤٠٠) ألف درهم سنوياً.

العدد : ٢٤/٤٠ في ٢٠٢٤/٢/٩

آية الضمائر

وهي التي انفردت بين آيات القرآن باجتماع خمسة وعشرين ضميراً فيها
 «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

العدد : ٢٤/٤١ في ٢٠٢٤/٢/١٠

قانون ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية.

كما في قوله تعالى «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» فالوصف هو السرقة، ويطرأ عليها الحكم وهو القطع، إن تحققت شرائط السرقة كما مبين في السنة النبوية.

العدد : ٢٤/٤٢ في ٢٠٢٤/٢/١١

في كتيبة رسول الله (ص) إلى بُواط في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة مرت عبر لقريش برئاسة أمية بن خلف، وفيها ألفان وخمسمائة بعير محملة بالبضائع ، وليس معها إلا مائة رجل .
وكان مع النبي (ص) مائتان من الصحابة لو شاء لاستولى على القافلة بسهولة .

وهو من الشواهد على عدم تعرض النبي (ص) لقافلة أبي سفيان التي صارت ذريعة لمعركة بدر .

العدد : ٢٤/٤٣ في ٢٠٢٤/٢/١٢

كان في زمان الإمام علي عليه السلام رجل مجنون (يمشي أمام الجنائز وينادي: الرحيل الرحيل، لا تكاد جنازة تخلو منه، فمرت يوماً جنازة (بالإمام علي ع ولم يره أمامها ولم يسمع ندائه فسأل عنه ف قيل له: هو هذا الميت فقال: لا إله إلا الله
ما زال يصرخ بالرحيل منادياً

حتى أناخ ببابه الجمال)

العدد : ٢٤/٤٤ في ٢٠٢٤/٢/١٣

[لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ]

لمناسبة ذكرى ولادة الإمام الحسين عليه السلام يطل على الأرض ضياء شمس من شمس التوحيد ، ونور قمر من أقمار العرفان بصدور الجزء (٢٥٨) من معالم الإيمان في آية علمية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، فهي بفيض ولطف من عند الله عز وجل .

وأقوم بتأليف وتصحيح ومراجعة كتيبي بمفردي والحمد لله ، وجميع أجزاء تفسيري وكتبي الفقهية والأصولية معروضة على

موقعنا WWW. Marjaiaa.COM

العدد : ٢٤/٤٥ في ٢٠٢٤/٢/١٤

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز/ ملك المملكة العربية السعودية "حفظه الله"
- ٢- صاحب السمو رئيس وزراء دولة الكويت.
- ٣- صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض
- ٤- صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة .
- ٥- صاحب السمو الشيخ وزير خارجية مملكة البحرين.
- ٦- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٧- الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي.
- ٨- سماحة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.
- ٩- سماحة العلامة الشيخ أ.د مفتي جمهورية مصر العربية.
- ١٠- سيادة مستشار الأمن القومي .
- ١١- سماحة العلامة المفتي العام لسلطنة عمان
- ١٢- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ١٣- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية
- ١٤- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.
- ١٥- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة .
- ١٦- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية /العراق .
- ١٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ الأردن.
- ١٨- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ١٩- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجزائر.
- ٢٠- سعادة أ.د. رئيس جامعة سومر/ العراق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
(١٧٢)
إمارة منطقة الرياض
(٠٠١)
مكتب الأمير
إدارة العلاقات العامة

فضيلة الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:-

تلقينا خطابكم رقم ٢٢٤ وتاريخ ١٤٣٠/٥/٤ هـ .. ومشفوعه نسخة من كتابكم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء (٦٧).

نشكركم على هذا الإهداء متمنين لكم دوام التوفيق.. ولكم تحياتنا. ،،،

أمير منطقة الرياض

سلمان بن عبدالعزيز

The Prime Minister
State of Kuwait



رئيس مجلس الوزراء
دولة الكويت

سماحة الأخ الكريم الشيخ / صالح الطائي المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

تحية طيبة وبعد...

تلقينا مع الشكر تهنتكم الكريمة بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، مع إهدائكم
الطيب من الجزء الحادي والخمسين من تفسير "معالم الإيمان" والذي تناولتم فيه
تفسير قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ الآية ١١٠ من سورة آل عمران.
ويسرنا ان نعرب لكم عن خالص تقديرنا لمبادرتكم الكريمة، مشيدين بجهودكم الطيبة
التي تبذلونها لخدمة الإسلام، وإيضاح معاني الكتاب الشريف، آملين ان تسهموا
بهذا العمل الصادق في تقريب المقاصد الربانية للآيات بما يعود بالخير على أمتنا
الإسلامية.

نكرر الشكر، آملين لكم دوام التوفيق والسداد في خدمة كتاب الله، وان يحفظ أمتنا
العربية والإسلامية، ويجمع كلمة المسلمين ويوحدتهم لما فيه خيرهم.
مع أطيب التمنيات.

ناصر المحمد الأحمد الجابر الصباح



الكويت في: 13 محرم 1429 هـ
الواثق: 22 يناير 2008 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
(٢٧٢)
إمارة منطقة الرياض
(٠٠١)
مكتب الأمير
إدارة العلاقات العامة

فضيلة الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

تلقينا خطابكم رقم ٤٥٥ في تاريخ ٢٠١٢/٥/١٩ م ومشفوعة بنسخة
من كتاب الجزء الثاني والتسعين من التفسير من القسم الثاني من
تفسير الآية (١٣٥) من سورة (آل عمران).

نشكركم على هذا الإهداء متمنين لكم دوام التوفيق. ولكم

تحياتنا...،،،

امير منطقة الرياض

سطان بن عبدالعزيز



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَهُدًى كَرِيمًا
وَزَارَةُ الدَّخْلَةِ
إِمَارَةُ مَنَاطِقِ الْمَكَّةِ
الدراسات والعلاقات العامة

المحترم

سعادة الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة إلى خطابكم رقم ١٦/٧٨١ وتاريخ ٢٠١٦/٢/١٨
والمرفق به الجزء الثامن والعشرون بعد المائة من (معالم الإيمان في
تفسير القرآن).

نشكركم على ذلك متمنين التوفيق للجميع، ولكم تحياتنا.
والسلام عليكم.

خالد الفيصل

مستشار خادم الحرمين الشريفين
أمير منطقة مكة المكرمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتب الوزير
Minister's Office



مملكة البحرين
وزارة الخارجية

23 نوفمبر 2016

فضيلة الشيخ محمد الشيخ صالح الطائي المحترم
مدير مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،
تسلمت بجزيل الشكر نسخة من الجزء الأربعين بعد المائة من
تفسيركم المستنير وتدبركم الحكيم في الآية القرآنية الكريمة [وَكُنْ مِنْ
أُولَئِكَ لَئِيَّ اللَّهِ تُحْشَرُونَ] مقدراً ما بذلتموه من جهد كبير وما
استنبطتموه من مسائل وقوانين تفيد كافة المسلمين ، مقدراً جهودكم
الدينية والتوعوية الملموسة والدؤوبة، سائلاً الله تعالى لكم موفور
الصحة والعافية ودوام التوفيق والسداد.

وتفضلوا بقبول فائق تحياتي.

أفرح

١١ -

خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة

وزير الخارجية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GENERAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

أحمد القبروني

مستشار الأمين العام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلس الشورى لدراسة وإحياء التراث - الأمانة العامة



مكتب الأمين العام

رقم ٢٠٠٩ / ٢٠٠٩

تاريخ ٢٠٠٩ / ٨ / ٢٠٠٩

الوقت ٢٠٠٩ / ٧ / ٢٠٠٩

فضيلة الشيخ الجليل/صالح الطائي المحترم

المرجع الديني _ أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق.

المنامة - مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بوافر التقدير، تلقينا إهداءكم الكريم نسخة من الجزء السابع والأربعين من تفسير "معالم الإيمان في تفسير القرآن".

يطيب لي، بهذه المناسبة، أن أعرب لفضيلتكم عن التقدير والثناء على جهودكم العلمية الحثيثة، وإسهاماتكم الموفقة من خلال تعاهدكم كتاب الله العزيز، وحبله المتين، الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

شاكراً تفضلكم بالإهداء القيم، ومشهداً، على نحو خاص، بما تشتمل عليه إصدارات أجزاء التفسير من البحث العميق والاستقراء الشامل والاستنباط الدقيق الذي يجسد حقيقة الإعجاز الذي تناولتموه فضيلتكم بعمق وشمولية، ويسند ذلك ما توافر لكم من العلم الغزير والفقه المتمكن والمرجعية العريقة. بارك الله جهودكم، وأمدكم بعونه وتوفيقه، وكتب لكم المثوبة والأجر، وجزاكم خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

وتفضلوا فضيلتكم بقبول وافر التقدير والاحترام.

عبد الرحمن بن حمد العطية

الأمين العام

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩ / ٥
١٨ / ٤ / ٥

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/ صالح الطائي
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي
والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.
نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله
في ميزان حسناتكم.
وشكر الله لكم حسن عملكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
مكتبة

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس

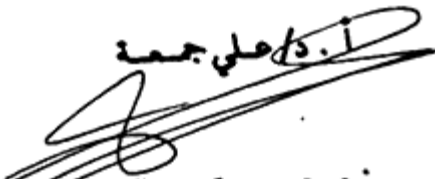
بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام
على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.
وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رئيس الوزراء
رئيس الاستشارة
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٢٢٥١
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٦

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته
ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس
عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم
لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما
ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله
كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في
الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا
لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل
خير.

مع خالص الدعاء

أخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

کوټ ماری عیراق

داد کای بالایی ئیتتیجادی



جمهورية العراق

المحكمة الاتحادية العليا

العدد : ٥٥ / مکتب / ٢٠٢١

مكتب رئيس المحكمة

التاريخ: ٢٠٢١ / ٩ / ١٦

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طبية

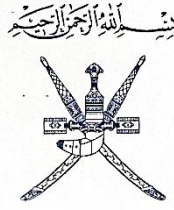
تلقينا ببالغ الاعتزاز اهداءكم القيم (الجزء ٢٢٣)
من تفسيركم للقرآن خاصاً بالآية (١٨٨) من
سورة آل عمران.
نقدم شكرنا وتقديرنا مع وافر التقدير .

القاضي
جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

2.21/9/16

Sultanate of Oman
Ministry of Endowments
and Religious Affairs
Al Ifta Office



سُلْطَنَةُ عُومَانِ
 وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشُّعُورِ الدِّينِيِّ
 مَكْتَبُ الْإِفْتَاءِ

No. :

Date : / / 142

/ / 200

الرقم : ٣٠١١ / ٩٩ / ٢٦ / ٢٠١١

التاريخ : ١٤٣٢ / ١ / ٢٩ هـ

: ٢٠١١ / ١ / ٢

المحترم

فضيلة الشيخ العلامة صالح الطائي

مكتب المرجع الديني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

فببدا الشكر والتقدير تلقيت خطابكم المؤرخ في ٢٠١٠/١١/٢م المرفق به هديتكم المباركة كتاب تفسير القرآن الجزء الثمانون .

شاكرًا لكم تواصلكم الدائم معنا، والله يوفقكم لما فيه الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أحمد بن محمد الخليلي
 المفتي العام لسلطنة عمان



Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتَابِعُ لِنَجْمَةِ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
اتِّحَادُ الْمُؤَرِّخِينَ الْعَرَبِ
الْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ

العدد : ت/ ٢٨٠

التاريخ : ٢٥ ذو الحجة ١٤٤٢

الموافق : ٢٠٢١ / ٨ / ٤

إلى / سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.

عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت بمزيد من الفخر والاعتزاز الجزء (الواحد والعشرين بعد المائتين) من موسوعة (معالم الإيمان في تفسير القرآن) وهو الجزء الخاص بقانون (النزاع المسلح بين القرآن والإرهاب) التي تدلل على ما حباكم الله تعالى به من رعاية ربانية علمية في انجاز هذا العمل العلمي الكبير ، وهو أول عمل علمي في العالم الإسلامي بهذا الحجم وبهذا العمق وبهذا المنهج ، وأسأل الله تعالى أن يديم عليكم نعمة العافية والستر والتوفيق والسداد من أجل تقديم المزيد من العطاء الفكري والعلمي في هذا التخصص النادر ، والله يحفظكم ويرعاكم بعين حفظه ورعايته إنه سميع مجيب الدعاء.

أكرر شكري وتقديري وامتناني العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

م

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي

والتراث العلمي للدراسات العليا



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية
بجامعة الإمام
محمد بن عبد
الواحد
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ / مدير مكتب المرجع الديني للشيخ صالح الطائي الموقر
ص.ب. ٢١١٦٨ - المنامة - مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الشناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/٢٤٢٠
وتاريخ ٢٠١٦/١٠/١٦ م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن" الجزء الأربعون بعد المائة.

أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم بتزويد إدارة
الجامعة بهذه النسخة القيمة، وستحال إلى مكتبة الجامعة للإطلاع عليها
والاستفادة منها، سائلا المولى جلت قدرته للجميع التوفيق والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:

Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

النمرة: .. ج ك/م/م/١٧/ح/٣

التاريخ: ٢٠١٦/٧/١١

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا، مقرونة بأحر التهاني وأبهى التبريكات بمناسبة عيد الفطر المبارك، أعاده الله علينا وعليكم والأمة المسلمة بالخير واليمن والبركات، وعظفاً على خطابكم الصادر بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠ بالرقم ١٦/١٨٥٧، والمرسل معد إصدار الجزء الثاني والثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) فإن الواجب يقتضي أن نزجي لكم وافر الشكر وفائق التقدير على هذا المدد والفيض العميم من العلم القرآني النافع، ترسيخاً لمعاني التدبر، وتحريكاً للملكة العقل من الجمود، فهي المعرفة ذات الحدود الواسعة، لاكتشاف مكنونات عظمة هذا القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تعظيماً لقدرة الله جل وعلا والإعتراف له بالوحدانيه، وهذا ما يقوم به مكتب المرجع الديني لخدمة الإسلام والمسلمين عبر مؤسساتهم الأكاديمية والعلمية والبحثية، وختاماً لا يسعنا إلا أن نقول جزاكم الله خيراً وأن يتقبل منكم هذا العمل المبارك، وكل عام وأنتم بخير.

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور
مدير الجامعة



الرقم: ١١٤٦٠ / ١ / ١٧٢
 التاريخ: ١٤ / ٢ / ١٤٣٦ هـ
 الملاحظات:
 الموضوع:



الجمهورية العربية السورية
 وزارة التعليم العالي
 الجامعة الإسلامية
 مكتب المصنف
 (٠٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

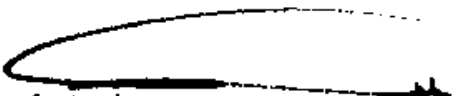
فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرنني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية


 أ. د / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السعيد

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٧ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠
١٤٣٧ / ١ / ١٠

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.

ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

Jadara University

Office of the President

**جامعة جدارا**

مكتب الرئيس

Ref. _____

Date _____

الرقم ١٦٩ / ١١١١: ٨ / ٤٦

التاريخ ٢٠١٢ / ٥ / ٢٦ م

الموافق ٢٠١٢ / ٥ / ٢٦ م

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم**صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم****وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق**

بكل فخر وإعزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)

تاريخ ٢٠١٢/٥/٢٦م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية (١٣٣)

من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا،

سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن

يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامنة

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret :

Date:

العدد : ٢٤ / ١٩٩٦

التاريخ : ١٩ / ٥ / ٢٠١٥

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

م/شكر على اهداء

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير وهو القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.

...مع التقدير

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رئاسة الجامعة



قسنطينة في: 25/03/2015

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة
الرجوع: ١٤/٣/٢٠١٤

إلى السيد المحترم/الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

شكر وتقدير

تحية طيبة وبعد :

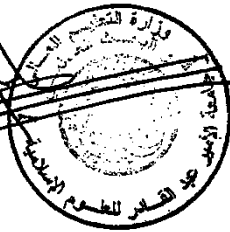
تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبّر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا نسخة
من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال
مدير الجامعة



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University Of Sumer
Bureau Of University President



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سومر
مكتب رئيس الجامعة

Ref :

Date : / /2017

العدد : ٥٦٧ / ٤ / ٦

التاريخ : ٢٠١٧ / ٩ / ٢٠

اعتماد الجودة دليل تقدم جامعتنا

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا إهداءكم لنا نسخة من الجزء الخامس والخمسين بعد المائة
من معالم الإيمان في تفسير القرآن لا يسعنا إلا أن نتقدم
لشخصكم الكريم بالشكر الجزيل متمنين لكم دوام
الصحة والعافية، وأن يجعلكم سندا وذخرا للأمة الإسلامية
متمنيا لكم كل التقدير والإزدهار.

مع وافر التقدير والاحترام

أ.د. قاسم نايف علوان المحياوي
رئيس الجامعة وكالة

٢٠١٧/٩/٢٠



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٣٤	قانون تعدد مصاديق التقوى
١١	تحدد موضوع الآية	٣٦	المعنى الإصطلاحي للإيمان
١٢	إحصاء أسماء السور والآيات	٣٧	قانون الهداية إلى الإيمان
١٤	قسمة تفصيلية للمكي والمدني	٤٠	إحصاء مصاديق الإيمان في القرآن
١٤	إحصاء حروف وكلمات القرآن	٤١	قانون كل آية دعوة للإيمان
١٨	قانون توالي النعم	٤٢	إحصاء دقيق وجديد للآيات المكية والمدنية
١٩	هل ﴿نِعْمَةٌ﴾ اسم جنس	٤٣	هل هذه السور مكية أو مدنية
٢١	اسم العلم	٤٤	علامات تختص بها السور المكية وأخرى المدنية
٢٢	اليوم في القرآن	٤٦	تنقيح أسباب النزول
٢٤	من معاني اليوم في القرآن	٥٠	كنوز الإحصاء في سبب النزول
٢٦	إحصاء الشفاعة	٥٢	الاختلاف في سبب نزول آية المواريث
٢٨	إحصاء مصاديق التقوى	٥٣	قانون صلاة الجماعة معجزة للنبي محمد (ص)
٣١	قانون التقوى الذاتية والغيرية	٥٥	قوانين في صلاة الجماعة
٣٣	من أقسام التقوى	٥٧	إحصاء صلاة وسلام الأجيال على النبي محمد (ص)

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٨	وجوه في رد الملائكة	٨٥	استهزاء قريش بالنبوة
٥٩	إحصاء الصلوات على النبي (ص)	٨٧	قانون النبي محمد (ص) رسول
٦١	مسائل في الصلاة على النبي (ص)	٨٨	إحصاء إخوة النبي (ص) من الرضاة
٦٣	إحصاء السلام على النبي (ص)	٩١	خبر لا أصل له
٦٤	لماذا الصلاة على النبي (ص)	٩٣	أسباب الهجرة إلى الحبشة
٦٦	إحصاء الأسئلة للنبي محمد (ص)	٩٤	قانون هجرة الحبشة سد للذرائع
٦٨	قانون السؤال سبب للنزول	٩٧	إحصاء منافع هجرة الحبشة
٧٠	قانون الجواب النبوي حجة	١٠٠	تأريخ الذين ولدوا في الحبشة
٧٢	تأليف مجلدات عن الأجوبة النبوية	١٠١	إحصاء منافع معجزات الأنبياء
٧٦	قوانين في أجوبة النبي (ص)	١٠٣	منافع علم مقدمات النبوة
٧٧	علم الإحصاء في الحديث النبوي	١٠٤	الحجج الغيرية للنبوة
٧٨	الإختفاء في دار الأرقم	١٠٦	المعجزة الحسية والعقلية
٨١	توثيق القرآن لإيذاء قريش للنبي (ص)	١٠٨	تعاهد المسلمين للزكاة
٨٣	سوء عاقبة أعداء النبوة	١٠٩	نعمة إيلاف قريش

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٢	قانون توالي النعم مقدمة للبعثة	١٤١	الخطاب الخاص والمراد منه العموم
١١٤	إحصاء البركة	١٤٢	خطاب المدح
١١٥	قانون كل آية بركة	١٤٤	خطاب الذم
١١٧	من أقسام البركة	١٤٥	إحصاء آيات المدح والذم
١١٩	نزول تحريم الخمر وبراءة ونزاهة الإمام علي (ع)	١٤٦	الأمر بالتقوى
١٢٢	إحصاء المنافقين والمنافقات	١٤٨	الإلتفات بلاغة في الخطاب
١٢٤	أقسام فترة النبوة	١٥٠	الجامع بين التشريف والعمل
١٢٧	كثرة آيات النفاق	١٥١	الخطاب الجامع بين الموجود والمعدوم
١٢٨	إحصاء علوم التفسير والتأويل	١٥٢	إحصاء مصاديق ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
١٣١	إحصاء علوم ذات القرآن	١٥٤	تقدير ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
١٣٣	قانون القرآن واقية من الردة	١٥٦	أيهما أكثر في القرآن الجملة الخبرية أو الإنشائية
١٣٥	كيفية الشفاء بالقرآن	١٥٩	الجملة الخبرية والإنشائية
١٣٦	إحصاء منافع إتحاد لغة القرآن في أقطار الأرض	١٦٠	منافع إحصاء الجمل الخبرية والإنشائية
١٣٨	لماذا نزل القرآن بالعربية	١٦١	إحصاء منافع الحروف المقطعة
١٤٠	صيغ الخطاب في القرآن	١٦٢	من منافع الحروف المقطعة

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٦٣	السور التي بدأت بالحروف المقطعة	١٩٣	قبول النبي (ص) خبر الواحد
١٦٥	قانون موضوع الآية أعم من سبب النزول	١٩٤	الوثوق بالخبر
١٦٨	قانون تلقي أخبار السماء بالقبول	١٩٥	خبر الواحد في القرآن
١٧٠	الملائكة في الآخرة	١٩٩	سبب نزول آية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾
١٧٤	نزول رضوان	٢٠٢	قانون الآية ضد للإرهاب
١٧٥	خزنة النار	٢٠٣	قانون الإنذار الذاتي حرب على الإرهاب
١٧٧	فتنة القبر	٢٠٤	تفسيرنا والذكاء الإصطناعي
١٧٩	الجمع بين العطف والإستئناف	٢٠٦	خبر الواحد في العقائد
١٨١	من معاني حرف الباء	٢٠٧	بحث فقهي
١٨٣	انتفاء موضوع الجزية	٢٠٩	قانون تقديم النفع العام
١٨٦	معجزة بر الوالدين قرآناً وسنة	٢١٠	بحث اخلاقي
١٨٩	مكارم الأخلاق	٢١٢	يستحب تناول تمرات أو شربة ماء حال الشروع في أذان المغرب
١٩٠	ابتداء الدعوة إلى الإسلام	٢١٥	قانون خلود الشريعة السماوية
١٩١	بحث كلامي	٢١٦	سؤال التجاوز
١٩٢	الخبر المستفيض	٢١٧	حديث الرفع

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٩	قانون اللطف بعدم المؤاخذه على النسيان	٢٥١	صبر المسلمين معجزة غيرية للنبي محمد
٢٢١	قانون النسيان آفة	٢٥٥	إحصاء مواطن خزي الكافرين
٢٢٣	أصالة عدم العدم	٢٥٧	إحصاء الرؤيا ومنافعها
٢٢٤	قانون الإستجابة	٢٦٠	قانون سؤالنا الله بربوبيته المطلقة
٢٢٥	قانون الإستغفار حاجة	٢٦٢	قانون التكليف بالممكن والميسور
٢٢٦	قانون تعدد صيغ الإستغفار	٢٦٤	قوانين في تلاوة القرآن
٢٣٥	السؤال العام للتخفيف	٢٦٥	ورود كلمة ﴿يُكَلِّفُ﴾ مرتين في القرآن
٢٣٨	قانون الدعاء بالتخفيف	٢٦٦	قانون استدامة الرحمة
٢٤٠	قانون التنزه عن التشديد	٢٦٨	قانون عجز الخلائق عن إحصاء رحمة الله
٢٤١	النسبة بين الإصر والثواب	٢٧١	وحدة المسلمين العبادية
٢٤٣	النعم العامة	٢٧٢	معنى الولاء
٢٤٤	قسمة الماء العامة	٢٧٤	الولاية لله
٢٤٦	إحصاء صبر المسلمين	٢٧٥	سيادة التوحيد
٢٤٨	قانون الصبر تكليف	٢٧٦	قانون من النصر إنتفاء العدو

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٧٧	قانون السورة القرآنية دعوة للإيمان	٢٨٧	قانون الإطلاق في بركة القرآن
٢٨١	كلمة واحدة جملة مفيدة	٢٨٩	بركة القرآن في الآخرة
٢٨٣	قانون الدنيا دار ثواب الحمد لله	٢٩٢	يوميات علمية للمرجعية الإسلامية
٢٨٥	منافع آيات النار	٣٠١	ردود كريمة
		٣٢٢	الفهرس

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٤١٥ لسنة ٢٠٢٣

طُبِعَ هَذَا الْجُزْءُ عَلَى نَفَقَةِ
الْأَمِيرِ الشَّيْخِ غَانِمِ الشَّيْخِ دَرَعِ الْفَيَاضِ